

# الكتاب وجاهات نظر

Weghat Nazar - Volume 5 - Issue 59 - December 2003

مجلة شهرية، العدد التاسع والخمسون، السنة الخامسة، ديسمبر ٢٠٠٣، الثمن عشرة جنيهات



حالة التوى  
2003

توتنى جوت / فيرجينيا تيلي / دولة واحدة من البحر إلى النهر!  
محمود عبد الفضيل / محاضير محمد .. طبيب ضمد جراح ماليزيا!  
خيرى شلبى / بوح على بوح .. فى سيرة ماركيز!  
إبراهيم العريس / يوسف شاهين .. الأنا .. الآخر!  
سلامة أحمد سلامة / الديمقراطية بين التحدى الأمريكى والمراوغة العربية!





## كتب العدد :

- إبراهيم العريس .. كاتب وناقد سينمائي من لبنان.
- إبراهيم فرغلي .. صحفي وروائي.
- آدم شاتس .. المحرر الأدبي لـ The Nation الأمريكية.
- أيمن الصياد .. صحفي.
- توفيق .. أستاذ الدراسات الأوروبية بجامعة نيويورك.
- خالد الحروب .. باحث فلسطيني بكامبردج.
- خيري شلي .. روائي مصري.
- سلامة أحمد سلامة .. صحفي.
- سوزان سوتاج .. أدبية أمريكية.
- هيرجيتا ليلي .. مدرّس العلوم السياسية بكلية ويليام سميت بنيويورك.
- ليلي عنان .. أستاذ الحضارة .. جامعة القاهرة.
- محمد أبو الفار .. أستاذ بكلية الطب جامعة القاهرة.
- محمد السماك .. كاتب لبناني.
- محمود عبد الفضيل .. أستاذ الاقتصاد بجامعة القاهرة.
- فليل علي .. خبير استراتيجيات المعلومات.
- ياسمين الشاذلي .. باحثة مصرية في جامعة جونز هوبكنز الأمريكية.

## رسوم العدد للفنانين :

## محمد حجي - محمد حاكم - أحمد اللباد



يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على دعوات ورقية  
أو غير الحاسبات لكل أو بعض الفئات المنشورة أو أجزاء  
منها، بصغير إذن كتابي مسبق من الناشر.



## المراسلات :

الشركة المصرية للنشر العربي والمصري  
٣ ميدان طلعت حرب، القاهرة .. جمهورية مصر العربية  
ت : ٢٩٢ - ١٩٢ / ٢٩٢ - ١٩٢ .. فاكس : ٢٩٢ - ١٩٢ (٢٠٠٣)  
البريد الإلكتروني (التحرير) : info@alkotob.com  
الموقع على الإنترنت : www.weghatnazar.com

## الاشتراكات :

السنّة الواحدة (عشر أشهر عدداً) شاملة أجرة البريد .. داخل مصر : ١٠٠ جنيه مصري ..  
اتحاد برید عربي : ٦٠ دولاراً أمريكياً .. أوروبا وأفريقيا : ٧٠ دولاراً أمريكياً .. أمريكا  
وكندا : ٨٠ دولاراً أمريكياً .. باقي دول العالم : ١٠٠ دولار أمريكي.  
إدارة الاشتراكات : ٨ شارع سيبيه القصر، ص. ب. ٢٢ البانوراما .. مدينة نصر  
هاتف : ٥٠٢٢٢٩٩ .. فاكس : ٥٠١٨٥٤٦ e-mail : weghai@alkotob.com

## ثمن النسخة :

في مصر : ١٠ جنيهات مصرية .. السعودية : ٢٠ ريالاً .. الكويت : ١٥ ديناراً .. الإمارات  
٢٠ درهماً .. البحرين : ديناران .. قطر : ١٥ ريالاً .. عُمان : ريالان .. لبنان : ٥٠٠٠ ليرة .. سوريا  
١٥٠ ليرة .. الأردن : ديناران ونصف .. ليبيا : ديناران .. الجزائر : ٢٠٠ ديناراً .. المغرب : ٣٠ درهماً  
.. تونس : ٣٠٠ ديناراً .. اليمن : ٣٠٠ ريالاً .. فلسطين : ٣ دولارات.

Austria , France, Germany and Italy: EURO 6 - United Kingdom £3 - USA \$5.

طبع بمطابع الشرق بالقاهرة

## محتويات العدد :

- ٣ • سلامة أحمد سلامة .. ثور .. الديمقراطية : بين التحدي الأمريكي والمواجهة العربية ..
- ٦ • توني جوت .. دولة واحدة .. من البحر إلى النهر ..
- ٩ • فيرجينيا تيلي .. ما بعد الصهيونية ..
- ١٢ • سوزان سوتاج .. أمريكا وأوروبا .. خلاف أم صراع ؟ ..
- ١٦ • محمود عبد الفضيل .. محاضير محمد .. الطبيب الذي ضمد جراح ماليزيا ..
- ٢٠ • محمد السماك .. الغرب والإسلام .. ثقافة الكراهية ..
- ٢٢ • آدم شاتس .. الجزائر .. إلى أين انتهت الثورة ؟ ..
- ١ • La Sale Guerre .. تأليف : حبيب سميدة
- ٢ • The Battlefield: Algeria 1988-2002 .. تأليف : هيو روبرتس
- ٣ • Double Blanc .. تأليف : باسمنية خضرا
- ٤ • Human Rights in Algeria .. تأليف : Enforced Disappearances Watch
- ٢٨ • نبيل علي .. الاقتصاد المعرف .. المعنى والحزب ..
- ٣٦ • إبراهيم فرغلي .. تأملات في الفصل بين المرئي والمكتوب : أوهام الصورة ..
- ٤٤ • التمثيل الثقافي : بين المرئي والمكتوب .. تأليف : ماري تيريز عبد المسبح
- ٤٤ • ليلي عنان .. بنو إسرائيل مضطهدون أم مضطهدون ؟ ..
- ٤٨ • خالد الحروب .. استيعاب الصراعات الثقافية : Clash within Civilizations .. تأليف : ديتير سينجهاس
- ٥٢ • إبراهيم العريس .. يوسف شاهين .. التاريخ / الأنا / الآخر ..
- ٦٠ • ياسمين الشاذلي .. قحط ليلية وآلهة ومبتذون .. التوائم في مصر القديمة ..
- ٦٣ • محمد أبو الفار .. القاضون من سيام ..
- ٦٦ • خيري شلي .. بوعلى عبد بوع .. تداعيات شخصية على هامش السيرة الذاتية لجارثيا ماركيز ..
- ٧٣ • رسائل .. أن تعيش لتحكي .. تأليف : جابريل جارثيا ماركيز
- ٧٤ • إصدارات جديدة ..
- ٨٢ • أيمن الصياد .. قراءة : لا ساميون .. لماذا ؟ ..



# “ نهج ”

## الديمقراطية بين التحدي الأمريكي والمراوغة العربية

### سلامة أحمد سلامة

تحكم النظام العالمي القائم، لم تفتأ المحاولات المتكررة تتوالى لإحداث تغييرات جذرية في النظام العربي. ولعل الغرب لم يابه كثيراً قبل أحداث سبتمبر التي وقعت في واشنطن ونيويورك، لطبيعة الأوضاع السياسية السائدة في العالم العربي.. إلا فيما يتعلق ببعض جوانب الخلاف والمواجهة بين الإسلام والغرب وبين العرب وإسرائيل. بسبب تباين بعض المثلثات الحضارية والتاريخية. في إطار فكر استشرافي امتلته طبيعة الاستعمار الغربي لأقطار إسلامية شاسعة إثر سقوط الإمبراطورية العثمانية. وقد استغل الغرب فكرة التناقض بين الإسلام والشيوعية لتعبئة الدول الإسلامية في محاصرة الأيديولوجية الشيوعية والحيلولة دون انتشارها. وكانت آخر المماركات التي استغلت فيها أمريكا الوازع الديني لدى الشعوب الإسلامية. هي تلك التي انتهت بخروج القوات السوفييتية من أفغانستان. ولم يكن ذلك على يد قوة أخرى غير تنظيم القاعدة وطالبان بفضل التسليح الكثيف والمساعدات المالية الضخمة التي تدفقت على تنظيمات المجاهدين الأفغان من الولايات المتحدة وباكستان والسعودية وعدد من الدول العربية. وأُنزلت خسائر فادحة بالقوات السوفييتية. في وقت كانت الكتلة السوفييتية تتعرض فيه لضغوط خارجية واشتباكات داخلية تنذر بانهارها. ولا يمكن فصل ما حدث في أفغانستان آنذاك عما كان يحدث من مواجهة بين العراق وإيران. ثم ما تلاه من غزو عراقي للكويت. حيث هيات

بفعل ظروف خارجية بعد سقوط حائط برلين، حتى بدأت عملية التحول الكبرى في مسيرة هذه الشعوب نحو الديمقراطية والتعددية. على أيدي قوى سياسية من داخلها طامحة إلى التغيير. وفي غضون عشر سنوات أو أكثر قليلاً تغير وجه الحياة الثقافية والسياسية والاقتصادية لهذه الشعوب. ودخلت طوراً جديداً في تاريخها كجزء من أوروبا الموحدة.. ذهب الحرس القديم وأزيلت قشرة الشيوعية التي كانت قد بدأت تتحطم ليحل مكانها جيل جديد، تحمّل عبء التغيير.



منذ الانقلاب السريع الذي أحدثته أمريكا في العناصر التي

بصفة خاصة.. تحديات عسكرية وسياسية وثقافية. بل هي ثقافية قبل أن تكون عسكرية أو سياسية. وتقع على كاهل النخب مسئولية استنباط الحلول والتوفيق بين أشياء تبدو أشبه بالمستحيلات. ينهض بها ذوق الرؤية والخيال. من أبناء جيل جديد لم تولته أخطاء الماضي وانحرافات. ولم تكبل عقله أحكام مسبقة. أو أيديولوجيات محببة. أو تجارب مهجشة. وهذا ما فعلته دول الكتلة الشيوعية في أوروبا الشرقية، التي خضعت ما يقرب من نصف قرن لنفوذ موسكو في ظل أيديولوجية شمولية. تدين لسيطرة حزب واحد وزعيم واحد يحركه الكروملين كما تتحرك خيوط المرائس. وتساق الشعوب كالقطعان المغلوبية على أمرها. وما إن سقط الحكم الشيوعي وتبدد الفكر الشمولي.



لم تكن قضية الديمقراطية في المنطقة تثير اهتمام السياسة الأمريكية بأي حال. بل سعت على العكس من ذلك إلى الحفاظ على النظم القائمة وحمايتها. وانتهى الأمر بعد حرب الخليج الثانية إلى وجود عسكري أمريكي ثابت يحمل كل مؤشرات البقاء لأمد طويل



لماذا يتغير العالم ويتطور من حولنا ولا تتغير؟ وهل بات محتماً على العالم العربي أن يبيت عن الظروف الحركة للتقدم والتطور من خارجه. أم إن لديه في داخله من الطاقات والقرارات ما يمكنه من التفاعل مع التحديات التي تواجهه لكي يحقق القفزة المطلوبة لعبور الهوة التي تفصله عن العالم؟ هذه الأسئلة تتجدد بصيغ مختلفة على السنة النخب الثقافية والسياسية في الأمة العربية. فلا تسمح لها غير إجابات متفرقة متضاربة: تشخص الوضع ولا تقدم الحل. تبصر عن الضيق بالواقع القائم ولكنها لا تتحول إلى سلوك عملي يطرح الجديد... تحلق في سماء الأوضاع العربية المتريدة لبعض الوقت، فتعلو أصوات الجدل والسجال حولها من كافة الاتجاهات والأحزاب، ثم سرعاً ما تخمد وتهدأ دون أن تتمخض عن نتائج ملموسة محسوسة. تنهم في تغيير الواقع وتجديده ولو بالاقتراب من الهدف خطوة واحدة. ثم لا تلبث بعد فترة من الوقت لتطول أو تقصر. وبفعل أسباب وضغوط خارجية تتراوح بين التحدي والتذكير. وبين الإملاء والتحفيز. أن تشتعل فيها جذوة الاهتمام والقلق من جديد. يقق العالم العربي في خضم بحر هائج من المتغيرات والمفارقات، تستدعي سرعة الحركة. وقبل كل شيء سرعة العتور على جواب إزاء هذه التحديات. يفرض هذه السرعة، التي ما عاد يفلح معها التلكؤ والتردد والتباطؤ. ذلك الاجتياح الأمريكي الذي يطرح تحدياته واحداً تلو الآخر على العالم كله. وعلى دول العالم الثالث بصفة عامة. وعلى الأمة العربية



هذه الصراعات الفرصة للتدخل العسكري الأمريكي المكشوف في المنطقة. بعد أن كان تدخلاً حذراً محدوداً وبحسب الظروف... ولم تكن قضية الديمقراطية في المنطقة تثير اهتمام السياسة الأمريكية بأي حال. بل سعت على العكس من ذلك إلى الحفاظ على النظم القائمة وحمايتها. وانتهى الأمر بعد حرب الخليج الثانية إلى وجود عسكري أمريكي ثابت يحمل كل مؤشرات البقاء لأمد طويل. لم تعد تبدو له في الأفق نهاية قريبة بعد احتلال العراق. بل بدا وكأن الهدف الأساسي هو احتواء النفوذ المارقي، وقمع الحركات الراديكالية المناوئة ضماناً لتدفق النفط وحماية منابعه.



بدرجة ما. فإن النمو الهائل الذي طرأ على الولايات المتحدة الأمريكية. بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي، وجعل منها أكبر وأقوى دولة في العالم عسكرياً واقتصادياً وسياسياً، اقنعها بأن تنتزع لنفسها الحق في إعادة تشكيل المناطق التي تتركز فيها مصالحها وعلى رأسها منطقة الشرق الأوسط. يغيرها على تحقيق هذا الهدف، حالة الفراغ السياسي، والتخلف الاقتصادي والوهن الاجتماعي، وانتشار الجماعات والقوى المتطرفة المناوئة للنظم الحاكمة في الدول العربية، وقبل كل شيء حماية ذلك الجسم الغريب الذي زرعته الإمبريالية العالمية في الشرق الأوسط ليكون نقطة تجمع للحركة الصهيونية في إطار دولة إسرائيل.

ومن هنا فلا غرابة في أن تنهزم مراكز الأبحاث وإدارات التخطيط الأمريكية في وضع الخطط التي تراها ضرورية لإحداث تغيير في الشرق الأوسط،

عن اقتناع بأن قوى التطرف المعارضة لنظم الحكم العربية، يمكن أن تصب جام غضبها وأحباطها على أمريكا باعتبارها مسنولة عن وجود إسرائيل في المنطقة من ناحية وحامية هذه النظم والراعية لها من ناحية أخرى، وكانت أحداث سبتمبر ٢٠٠١ من خلال الهجوم الذي شنته جماعات إسلامية على المؤسسات الأمريكية الكبرى الدليل الناصع على ذلك في رأيهم.

وتبدو الولايات المتحدة الآن على استعداد لضك الارتباط القديم بينها وبين النظم العربية الحاكمة التي تحملها واشتغل مسنولة هذه الهجمات والتي تعتبرها عائقاً دون تطوير نفسها والتآلف مع الأوضاع العالمية التي تظن إدارة الرئيس بوش والدائرة المحيطة به من اليمين المحافظ بأنها مبعوثة إلهية لحمل رسالة الهداية إلى الديمقراطية وقيم الحرية والحياة الأمريكية وتستشهد في ذلك بما إنجزته في كل من اليابان وألمانيا اللتين تحولتا على يد القوة الأمريكية من النظام الديكتاتوري إلى الديمقراطية... ولا ترى ما يحول دون تطبيق نفس التجربة على العراق بعد أن حررته من طغيان

النظام الصدامي. وأصبحت جاهزة لتقديم نموذجاً يحتذى به للدول العربية المحرومة من الديمقراطية بعد أن تأكد لها أن النظم الديكتاتورية والثيوقراطية الحاكمة في العالم العربي أسهمت في نمو النزعات الراديكالية الإرهابية.



ومنذ اللحظة التي أعلنت فيها واشتغل انتهاء المارك العسكرية في حرب العراق في أواخر أبريل، طرحت وبقوة فكرة تطبيق الديمقراطية في الدول العربية المحرومة منها. ورميت هذه الخطة بمشروع شراكة اقتصادية وتجارية بالشرق الأوسط. جاءت بعض تفاصيلها في مايو على لسان بوش ثم على لسان وزير خارجيته كولن باول... وأخيراً أعاد الرئيس الأمريكي في خطاب له أمام «المنتدى القومي للديمقراطية» وأقره البعض خطاباً تاريخياً فارقاً في الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط، طرح رؤية متكاملة حيال دعم الحرية والديمقراطية في الشرق الأوسط. وتحدث فيه بإسهاب عما يتصوره



**يبدو المشهد العربي في بعض الأحيان مذهولاً عن نفسه، يحاول أن يخوض معاركه بنفس الأسلحة القديمة التي خاضها بها ضد الاستعمار منذ قرنين بلا تبديل أو تحوير أو تجديد**



استحقاقاً لشعوب الشرق الأوسط التي بالكاد لامست وجه الديمقراطية العالمية. ثم أخذ يكيل المديح للإسلام وتقاليدته باعتبارها لا تعادي الديمقراطية. بل تحمل في طياتها قيماً عظيمة تقوم على المحاسبة الفردية والأخلاقية، وأعطى تقييماً متدرجاً لمعطى الدول العربية في امتحان الديمقراطية تفاوتت درجاته. ولكنها لم تسمح لأي من هذه الدول أن تحصل على درجة الامتياز أو حتى درجة مقبول، لأن تأكد لها أنها جميعاً وبدون استثناء في حاجة ماسة إلى دروس خصوصية، تمكنها من اللحاق بعصر الحرية الذي تحمل أمريكا على عاتقها مسؤولية نشره وترويجه في الشرق الأوسط... وهي تتحمل أعباء هذه المسؤولية، لأن الاستقرار لا يمكن أن يشتري على حساب الحرية؛ ولأن غياب الحرية في رأي بوش سيجعل من الشرق الأوسط مكاناً يتسم بالتشنج ومشاعر الغضب والغف الجاهزة للتصدير، ومع انتشار أسلحة الدمار الشامل التي يمكن أن تلحق بأمركا وأصدقائها، فإن القبول بالوضع الراهن سيكون عملاً طائشاً، كما جاء في الخطاب المذكور.



هذه هي المعادلة التي تطرحها أمريكا على الشعوب والنظم العربية، وتسعى إلى تسويقها بكل السبل الممكنة. وتشكر وجود أدنى صلة بينها وبين قضية السلام والصراع في المنطقة بسبب القضية الفلسطينية أو الاحتلال العراقي. بل تعتبرها استراتيجية ضرورية للدفاع عن نفسها وعن أصدقائها ومصالحها في الشرق الأوسط، حتى لا تتفجر موجات الإحباط من داخل دوله إلى خارجها، فتعير البحار والمحيطات إلى قلب أوروبا



وبالعزو الاقتصادي والثقافي أوضاعا تساعد على قلقلة النظم وتفتيكها واختراقها.. وهو ما يحدث في العراق الآن بطريقة علنية مجافية لكل الاعراف والقوانين الدولية. وتسد أناره أيضا إلى الدول العربية المجاورة بدرجات متفاوتة.

لم تعد الأمور قابلة للطرح الثنائي البسيط: الديمقراطية أم الشورى؟ التنمية الاقتصادية أولا والحرية ثانيا؟ الإصلاح الاقتصادي أم الإصلاح السياسي؟ إلغاء الأوضاع والقوانين الاستثنائية أم الانتظار حتى يحل السلام؟ تحرير المرأة وإدماجها في المجتمع أم وضعها وراء قضبان التقاليد البالية؟ إطلاق سراح جماعات المجتمع المدني وحقوق الإنسان أم وضعها تحت رحمة أجهزة الأمن والرقابة؟

هذه خيارات مصيرية تحتاج إلى إجابات واضحة قاطعة، لا تجدي معها موارفات النخب السياسية والنظم الحاكمة في العالم العربي. وإذا كان الرئيس بوش قد أعطى لبعض هذه النظم درجات مقبولة في ممارسات الحرية والديمقراطية، فالواقع العملي والمقارنة الموضوعية تؤكد أن البون مازال شاسعا. وأن أوجه القصور أقوى من درجات التميز. وأن العنصات في وجه الحرية والديمقراطية أكثر من حوافزها والإيمان بجودها، فلم يعد يكفي لقائمة ثقافة الاستبداد أن تعتمد على حلول جزئية أو معارضة ورقية، تليفزيونية أو إلكترونية يسهل تجاوزها بعد أن تؤدي وظيفتها أمام العالم. ولا على أحزاب صورية تلعب دور المعارضة دون أن يكون لها وزن في الواقع السياسي، بينما يجري تجاهل القوى الحقيقية، ولا أن تخضع الأخطار التي تواجهها، وتكتسب عن دفع ثمن الحرية، ثم تستسلم لحاضر كئيب ومستقبل مظلم! ❏

قضية حياة أو موت، لا تحتلل التأجيل والتراخي والتمترد. والثابت أنه إذا كان أميركا من فضل في بناء الديمقراطية في ألمانيا أو اليابان، فذلك لأن الهزيمة العسكرية التي ألحقها بالشعبين كانت بمثابة بعث جديد لبناء الذات من نقطة الصفر، وليس مجرد سد للذرائع، وترميم للأنقاض، وترقيع لأوضاع مهترلة، وتعلل بأسباب وأهية كما تفعل النظم العربية كلها بدون استثناء. والأمة العربية الآن في نقطة لا تبعد كثيرا عن الهزيمة، بل هي على وشك أن تقع تحت نير احتلال ثقافي وعسكري واقتصادي. لم يكن العراق غير مقدماته.

لا مناص إذن من أن تأخذ الأنظمة العربية والإسلامية المبادرة بيدها، دون أدنى اعتبار لما تطرحه أميركا من مشروعات لدعم الحرية والديمقراطية في المنطقة. وهي معرضة إذا لم تبادر بنفسها إلى إصلاح سياسي يربط بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية. ويخلق الظروف المواتية لتحديث الفكر الديني، وإعادة إنتاج واقع ثقافي متحرر من القيود.. لأن تصبح حقل التجارب لقوى خارجية، تفرض بالقوة العسكرية

والثاني: حماية الوجود الإسرائيلي وضمان ثقوفه الإقليمي الدائم على الوطن العربي. ومن ثم فإن دعاوى تحرير العراق من ديكتاتورية النظام والديمقراطية في العالم العربي، لا تلقى قبولا من أحد على جميع المستويات.

ولكن الأنظمة العربية تجد نفسها مع ذلك في موقف حرج، محصورة بين شقى الرضى.. بين ضغوط أمريكية من فوق، ولا أحد يعرف ماذا تخبئه جعبة المحافظين الجدد في واشنطن من حيل ومخططات، وبين ظروف التخلف السياسي والاجتماعي والاقتصادي من تحت، والتي تخلق التربة الصالحة للتطرف والعنف، وتمرر لمسيرة التقدم وتشوه الميراث الثقافي والحضاري وتحرفه عن مقاصده المشروعة وهي تجربة مرت بها مصر، وتطبق على سائر الدول العربية بدرجة أو بأخرى.

من هنا تبدو قضية الإصلاح والتجديد في العالم العربي قضية وجود يحسمها مبدأ البقاء للأصلح، بل هي في أقل القليل

وأمركا كالحوش الهائج يدمر مظاهر الحضارة الغربية الأمريكية ويقتض مضاجعها.



لم تجد هذه النظرية الأمريكية المتكاملة، والتي تؤيدها معظم الدول الأوروبية بتحفظات محدودة، ردا مقنعا حتى الآن أو تحركا ذكيا أو تفكيرا عاقلا يملك القدرة على مواجهة التحدي واستيعابه، أو امتصاصه وتثنيته في جسم الكيان العربي. ويبدو المشهد العربي في بعض الأحيان منهولا عن نفسه، يحاول أن يخوض معاركه بنفس الأسلحة القديمة التي خاضها بها ضد الاستعمار منذ قرنين بلا تبديل أو تحوير أو تجديد.. في الهجمة الاستعمارية الأولى كان شعار الحركة هو نشر الحضارة الغربية ضد ظلام التخلف الشرقي. وفي الهجمة الثانية أصبح الشعار هو الحرب ضد الإرهاب الذي يولده فهم ديني متطرف ونظم حكم فاسدة غير ديمقراطية.

ويملك الطرف الأقوى دائما القدرة على تزييف أسباب الصراع وأهدافه الحقيقية ولكن في اللحظة التي تلعب فيها دور الضحية دون محاولة للإصلاح، نقدم لأنفسنا مبررات الهزيمة الذاتية، ونقدم لخصومنا أسباب النيل منا بما يمكنهم من تحقيق أهدافهم.

ولعل المعضلة الحقيقية التي تواجه العالم العربي، هي الاقتناع العميق الذي يسود النخبة الحاكمة كما يتغلغل في أعماق الشعوب، بزيغ الادعاءات الأمريكية التي ترفض الاعتراف بحقيقة أهدافها من وراء حرب العراق، وهي في مجملها لا تخرج عن هدفين.. الأول: إقامة قاعدة استراتيجية في الشرق الأوسط تضمن لها السيطرة على النفط، وردع الجماعات المتطرفة العادية للنفوذ الأمريكي.

## الأنظمة العربية تجد نفسها

في موقف حرج، محصورة بين شقى الرضى.. بين ضغوط أمريكية من فوق، ولا أحد يعرف ماذا تخبئه جعبة المحافظين الجدد، وبين ظروف التخلف السياسي والاجتماعي والاقتصادي من تحت، والتي تخلق التربة الصالحة للتطرف والعنف





# البديل: دولة واحدة..

## توني چوت

عليها في ١٩٦٧ والتي يشكل اليهود فيها أغلبية واضحة. وبذلك تظل دولة يهودية وديمقراطية أيضاً، لديها مشكلة دستورية تتمثل في وجود طائفة من المواطنين العرب يعتبرون مواطنين من الدرجة الثانية.

والوضع البديل هو أن تستمر إسرائيل في احتلال الضفة الغربية وغزة حيث يصبح الأهالي العرب في إسرائيل الحالية الأغلبية الديموقراطية خلال مدة خمس إلى ثماني سنوات. وفي هذه الحالة ستكون إسرائيل من دولة يهودية (ويها الغلبة تتزايد باستمرار من غير اليهود المرحومين من الحقوق) أو أن تصبح دولة ديمقراطية، لكنها منطقياً لا تستطيع أن تجمع بين الصفتين. والاحتمال الآخر (الثالث) هو أن تستمر إسرائيل بالسيطرة على الأراضي المحتلة ولكن تتخلص من الأغلبية الساحقة من سكانها العرب، إما بالطرز القسري أو بصرامهم من الأراضي ووسائل العيش. بحيث لا يعود أمامهم خيار غير الخروج إلى المشرق. ويهدد الطريقة تستطيع إسرائيل أن تظل يهودية وكذلك ديمقراطية من الناحية الشكلية، ولكن ذلك على حساب أن تصبح أول ديمقراطية عصرية تمارس التمييز العرقي على نطاق واسع باعتباره مشروعاً لدولة، مما يجعل إسرائيل إلى الأبد دولة خارجة عن القانون ومنبوذة دولياً.

وأي شخص يشترط أن هذا الخيار الثالث لا يمكن التخلي عنه بالنسبة لدولة يهودية. لم يتنبه إلى التوسع المستمر في المستوطنات والاستيلاء على الأراضي في الضفة الغربية خلال ربع القرن الماضي، أو لم يستمع إلى القيادة العسكرية والسياسيين المنتمين إلى اليمين الإسرائيلي والذين يغلب عليهم الآن مقاعد الحكومة. فحزب الليكود يشغل الآن المنطقة الوسطى في السياسة الإسرائيلية والجزء الرئيسي فيه هو حزب جيروت الذي أقامه الراحل مناحيم بييجين. وحزب جيروت هو وريث الصهيونيين المرحومين الذين ظهروا ربع فترة ما بين الحريين بقيادة فلاديمير جابوتنسكي. الذين أدى عدم اهتمامهم بالحقوقي والقانونية والديمقراطية في الأرض إلى أن أطلق عليهم الصهيونيون دوق الميول اليسارية وصف «الناضحين». وعندما يسمع المرء اليهود أوركنت رئيس الوزراء في إسرائيل يعلن متباهياً أن بلده لم يستعد خيار اغتيال الرئيس

هل تذكرون الشعار القديم لمنظمة التحرير الفلسطينية «دولة ديمقراطية لجميع الأديان والقيومات...؟» هل تذكرون اقتراح العقيد القذافي «إسرائيل» الذي رفض الكثيرون مجرد الإنصات لهذه الفكرة الفلسطينية أصلاً بحكم النشأة: أصبحت فجأة على مدى الأسابيع الماضية موضوعاً للحوار والجدل على الساحة «الفكرية» اليهودية. ففي مجلة The New York Review of Books الرصينة كتب توني چوت الفكر اليهودي البريطاني والذي يعمل أستاذاً للتاريخ في جامعة نيويورك مقالاً مهماً أثار ضجة وغضباً شديدين في إسرائيل والدوائر اليهودية في العالم.

ويعلن المقال الجزئي في صميم الفكرة الصهيونية التي قامت عليها إسرائيل. ويؤكد أن الزمن تجاوزها منذ عشرات السنين. وبعد أن يوضح كيف تؤدي سلوكيات «الدولة» الإسرائيلية إلى تنامي مشاعر الانسامة والعداء لليهود في العالم كله (منذ أسبوعين فقط تم تجيير معبدتين يهوديتين في تركيا العلمانية) يؤكد المفكر اليهودي أن مصلحة اليهود «كيهود» تكمن في اختيار الحل «الوحيد» وهو قيام دولة ثنائية الهوية «يهودية/عربية» في فلسطين التاريخية.

بعد أيام فقط خرجت London Review of Books الدريقة البريطانية لتلك الأمريكية بمقال لغيرجينا تلي صمب في الاتجاه ذاته. وتستشهد فيه بالمفكر الفلسطيني الراحل إدوارد سعيد. موضحة بالأرقام والبيانات كيف أن وضع المستعمرات الاستيطانية الإسرائيلية في الضفة وغزة لا يسمح «واقعيًا» إلا بالأحل الوحيد: «الدولة الواحدة» أهمية مقال الجليلتين المحترمتين إنهما يأتيان بعد شهر قليل من المقال الشهير لرئيس الكنيست الإسرائيلي السابق «إبراهيم بورغ» الذي دعا فيه أصدقاء إسرائيل إلى إنقاذها من الهاوية التي يهددها إليها حكماها!! «وجهات نظر» تشر الماقلين، وتدعو إلى حوار حول الموضوع.

الحزب

عالم تحركت خطاه إلى الأمام. عالم الحقوق الفردية، والحدود المفتوحة، والقانون الدولي، وفلسف فكر «الدولة اليهودية» أي الدولة التي لليهود ويستبعد منها إلى الأبد المواطنين غير اليهود. فظهر جديدها في عصر سابق. ويمكن سابق أن إسرائيل بإيجاز هي مفارقة تاريخية Anachronism.

غير أن إسرائيل في إحدى سماتها المهمة تختلف عن سلفياتها السابقة من الدوليات الصغيرة غير الأمنة التي ولدت من انهيار الامبراطوريات، وهي أنها دولة ديمقراطية. وهذا هو مصدر المعضلة الحالية. فببب احتلالها للأراضي التي استحوذت عليها في ١٩٦٧. تواجه إسرائيل اليوم ثلاثة اختيارات ليس بينها اختيار جذاب. بل هي أنها جاءت بعد المستوطنات اليهودية في الأراضي المحتلة، وتعود إلى الحدود التي كانت

إين عملية السلام في الشرق الأوسط انتهت. وهي لم تمت بل قتلت. لقد اضطر رئيس السلطة الفلسطينية موقف محمود عباس وقام رئيس وزراء إسرائيل بالآلافة. وينتظر خليفته أحمد قريع مصير مماثل. ومازالت إسرائيل تسخر من راعيها الأمريكي. وتبني مستوطنات غير شرعية في تحد سافر لخريطة الطرقي. وتحتل رئيس الولايات المتحدة الأمريكية إلى دمية ترد بشكل محزن أقوال زعماء إسرائيل: «إن الخطأ كله خطأ عرقات» والإسرائيليون أنفسهم ينتظرون في تهجم الفدالي الثاني الذي سيغير نفسه. والعرب الفلسطينيون المسجونون داخل باتشونسات متقلصة. يعيشون على صفحات الاتحاد الأوروبي. ووفق الساحة الفلسطينية لللال الحبيب التي تتناثر فيها جثث القتلى. يستطيع إزييل شارون ويسار عرقات وصفه من الإسرائيليين أن يدعو النصر. وهم يفعلون ذلك. فهل وصلنا إلى نهاية الطرقي؟ وما الذي يمكن عمله؟

في فجر القرن العشرين، وعند مغرب الإمبراطوريات الغازية، كانت شعوب أوروبا مسددة لحلم بتشكيل «الدولة الأم» أوطاناً يعيش فيها البولنديون والتشيكيون والصرب والأرمن وغيرهم أحراراً، سادة خالصتهم. وعندما انهارت إمبراطورية الهابسبورج وإمبراطورية رومانوف في أعقاب الحرب العالمية الأولى، انقسمت قادة الشعوب الفرصة. وظهرت مجموعة من الدول الجديدة، وكان أول ما فعله هؤلاء «القادة» هو تأكيد حقوق الأغلبية التي يمسكونها وامتيازاتها الوطنية والعرقية. وحدوا تلك الأغليات باللغة أو الدين أو التاريخ أو بهذه العناصر جميعاً. وذلك على حساب الأقليات المحلية التي اضطرت، والتي فرض عليها وضع المواطنين من الدرجة الثانية: فأصبحوا غرباء دائمين داخل أوطانهم.

ولكن حركة وطنية واحدة، هي الصهيونية. تعرضت أمالها للإحباط،

ترجمة: أسعد حليم

عن مجلة: The New York Review of Books



# من البحر إلى النهر!

# EXIT



أحمد النباد

إسرائيل كإشارة للسياسة الخارجية الأمريكية. فمن خلال الدعم الأمريكي دأبت إسرائيل على التحدي المتساير لقرارات الأمم المتحدة التي تطلب منها الانسحاب من الأراضي التي استولت عليها واحتلتها بالحرب. وإسرائيل هي الدولة الوحيدة في الشرق الأوسط المعروفة أنها تملك أسلحة حقيقية وفشاعة للتدمير الشامل. وبإغناء الولايات المتحدة بصرها عن ذلك دمرت عملياً جهودها المحمومة لمنع وقوع هذه الأسلحة في يد الدول الصغيرة الأخرى والتي يمكن أن تصبح لديها نزعات عسكرية. وتأييد واشنطن تغير الشروط لإسرائيل بالرغم من اعتراضاتها (العصامة) هو السبب الرئيسي في أن معظم بقية دول العالم لم تعد تعتقد بأننا نتصرف بنية حسنة.

وقد أصبح الآن من المسلم به من جانب من يسمح لهم وضعهم بأن يعرفوا أن الأسباب التي دعت الولايات المتحدة لخوض الحرب في العراق لم تكن بالضرورة بالأسباب التي أعلنت وقت شن الحرب. وبالنسبة لكثيرين في الإدارة الأمريكية الحالية، كان شمة اعتبار استراتيجي رئيسي هو الحاجة إلى زعزعة الاستقرار في الشرق الأوسط ثم إعادة تشكيله بطريقة يبرونها مناسبة لإسرائيل. وما زالت هذه القصة مستمرة. فنحن الآن نثير صخباً وتهديدات موجهة إلى سوريا لأن المخابرات الإسرائيلية أكدت لنا أن أسلحة العراق قد نقلت إليها. وهو زعم ليس هناك دليل يؤيده من أي مصدر آخر. ولا شك في أن سوريا تساند حزب الله والجبهة الإسلامية، وهما من الأعداء الألداء لإسرائيل ولكن يصعب القول بأنهما يمثلان خطراً دولياً. ومع ذلك، فإن دمشق ظلت حتى الآن تزود الولايات المتحدة بمعلومات مهمة عن القاعدة.

في ١٦ سبتمبر ٢٠٠٣ استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو لرفض قرار لمجلس الأمن الدولي يطلب من إسرائيل التخلي عن تهديدها بإبعاد ياسر عرفات. وحتى المسؤولون الأمريكيون أنفسهم يسلمون، بعيداً عن الترسيمات، بأن القرار كان متطعياً ومعتقلاً. وأن التصريحات الهانجة المتزايدة من جانب إسرائيل الحالية، تؤكد مكانة عرفات في العالم العربي، وتعتبر عائقاً أساسياً في سبيل السلام. ومع ذلك فقد حالت الولايات المتحدة دون صدور القرار، لتزبد بذلك من ضعف

السياسي العمالي البارز إبراهيم بورج مؤخراً يقول، «بعد ألفي سنة من النضال من أجل البقاء على قيد الحياة، فإن واقع إسرائيل أنها دولة استعمارية، تقودها عصابة هابسة تستخر من القانون والأخلاق المدنية وتستعزّز بهما. وما لم يتغير شيء، فإن إسرائيل خلال نصف عقد لن تكون يهودية ولا ديمقراطية. وفي هذا الوضع تدخل إلى الصورة الولايات المتحدة. فقد كان سلوك

عربي أن يرتاح لهم بال حتى يتم إلغاء كل فرد من اليهود في البحر المتوسط ولكنهم لا يمتثلون خطراً استراتيجياً على إسرائيل، والعسكريون الإسرائيليون يعرفون ذلك. وما يخشاه العقلاء الإسرائيليون أكثر من حماس وكتائب الأقصى هو الظهور المستمر لأغلبية عربية في إسرائيل الكبرى، وفوق كل شيء تأكل الثقافة السياسية والروح المعنوية داخل مجتمعهم. وقد كتب

المنتخب للسلطة الفلسطينية، يغدو من الواضح أن هذا الوصف ينطبق على أولئك القادة بأكثر من أي وقت مضى. فالقتل السياسي هو ما يفعله الفاشيون. إن الوضع في إسرائيل ليس مبنياً منه، ولكنه هرب من أن يكون مفقود الأمل، إن الفلسطينيين الذين يفجرون أنفسهم لن يسبقوا دولة إسرائيل، والفلسطينيون ليست لديهم أسلحة أخرى، ولا شك في أن شمة متطرفين



مصدقها كوسيط أمين في المنطقة. ولم يعد أصدقاؤا أمريكا وحلفاؤها في أنحاء العالم يستفخرون منها هذه المواقف، ولكنهم مع ذلك يشعرون بالحزن وخيبة الأمل.



وإذا كان ساسة إسرائيل يعملون بنشاط على زيادة التصعوبات التي يواجهونها على امتداد سنوات، فلماذا تستمر في مساندتهم ودعمهم في أخطائهم؟ لقد حاولت الولايات المتحدة في وقت ما في الماضي أن تضغط على إسرائيل عن طريق التهديد بأن تحتجز من حزمة مساعداتها السنوية بعض الأموال التي تستخدم في تمويل المستوطنين في الضفة الغربية، ولكن في المرة الأخيرة التي جرت فيها تلك المحاولة أثناء إدارة كلينتون، تحالفت إسرائيل عليها بالحصول على المال باعتباره نفقات الأمن، وأغضت واشنطن عينها عن هذه المرافعة، ومن بين ١٠ مليارات دولار من المساعدات الأمريكية على امتداد أربع سنوات بين ١٩٩٣ و ١٩٩٧ تم احتجاز مبلغ غير أقل من ٧٥ مليون دولار، واستمر برنامج إقامة المستوطنات في مساره بلا عائق ونحن الآن لا نحاول حتى وقفه.

إن هذا الإجماع عن الكلام أو العمل ليس في مصلحة أحد، وقد اضرب أيضا بالاحواز داخل الولايات المتحدة، فبدلاً من التفكير المستقيم بشأن الشرق الأوسط فإن الساسة والحكام الأمريكيين يوجهون الشتم إلى حلفائنا الأوروبيين عندما يرفضون، وتحدث الأمريكيون بطريقة بعيدة عن المسؤولية عن عودة العداء للسامية إلى الظهور عندما يوجه انتقاد لإسرائيل، ويوبخون بتحد أية شخصية عامة في الداخل تحاول الخروج عن الإجماع.

ولكن ذلك لن يؤدي إلى إنهاء الأزمة في الشرق الأوسط، ومن المتوقع أن يتأى الرئيس بوش بنفسه عن هذه المناقشات الساخنة خلال السنة المقبلة (الانتخابات الرئاسية) بعد أن قال ما يكفى عن خريطة الطريق، في شهر يونيو الماضي لترضية تولى بلير، ولكن طال المدى أم قصر سيفطر أحد الساسة الأمريكيين لأن يذكر الحقيقة للرئيس وزراء إسرائيل وأن يجد وسيلة لإلزامه بالاستماع له، فقد قضى الميسراليون الإسرائيليون والفلسطينيون المعتدلون عقدين من الزمان يؤكدون بلا جدوى أن الأمل

الوحيد أمام إسرائيل هو تفكيك ما يفرق من جميع المستوطنات والعودة إلى حدود ١٩٤٧، في مقابل اعتراف حقيقي من جانب العرب بتلك الحدود وإقامة دولة فلسطينية خالية من الإرهاب، تسانداها (وعينها) الهيئات الغربية والدولية، ومازال هذا هو توافق الرأي السائد، وكان في وقت ما حلاً عادلاً وممكنًا.

ولكنني أتصور أن الوقت قد فات لتحقيق ذلك، فالمستوطنات قد تعددت، والمستوطنون اليهود زاد عددهم، وكذلك زاد عدد الفلسطينيين، وكلهم يعيشون معاً، وإن كانت الأسلاك الشائكة وقوانين تصاريح المرور تفصل بينهم، وأياً كان ما نضوله عن «خريطة الطريق»، فإن الخريطة الحقيقية هي الخريطة الموجودة على الأرض، وهذه الخريطة، كما

يقول الإسرائيليون، هي انعكاس للواقع. وقد يحدث أن يضاد ربع مليون من المستوطنين اليهود المدعومين بالمال وال السلاح فلسطينيين عربيين طاعينين، ولكن ليس بين من أعرفهم شخص واحد يعتقد أن ذلك سوف يحدث، وكثيرون من هؤلاء المستوطنين سوف يمولون. ويقاتلون بدلاً من أن يهاجروا. وكان آخر سياسي إسرائيلي أطلق النار على اليهود تفتيداً لسياسة الدولة هو دافيد بن جوريون الذي استخدم القوة لتزوع أسلحة ميليشيا أرجون غير الشرعية التي كان يقودها بينجمن في ١٩٤٨ وأدمجها في جيش الدفاع الإسرائيلي، المشتاة حديثاً، ولكن أرييل شارون ليس بن جوريون.



**كان سلوك إسرائيل كارثة  
للسياسة الخارجية الأمريكية.  
وبالمساندة الأمريكية دأبت إسرائيل على التحدى  
السافر لقرارات الأمم المتحدة التي تطلب منها  
الانسحاب من الأراضي التي استولت  
عليها واحتلتها بالحرب**



أخيراً، لقد جاء وقت التفكير فيما يمكن مطروحاً للتفكير، فالحال القائم على وجود دولتين، وهو محور عملية أوسلو، وخريطة الطريق الحالية، قد بات محكوماً عليه بالفشل، ففي كل يوم يمر نقوم بتأجيل ما لا مفر منه، وهو الخيار الصعب الذي لم يعترف به حتى الآن غير أقصى اليمين والقصى اليسار، كل منهما لأسبابه الخاصة، وستكون البدائل التي تواجه الشرق الأوسط في السنوات المقبلة هي بين «إسرائيل الكبرى، المطهرة عرقياً، ووجود دولة واحدة متكاملة مزجوجة القومية تضم اليهود والعرب، الإسرائيلييين والفلسطينيين».



هذا ما يراه في الواقع المتشددون في مجلس وزراء شارون، وهو السبب في أنهم يتوقعون طرد العرب بانتدابهم الشرط المحتسب لبقاء الدولة اليهودية. ولكن ماذا يكون الحال إذا لم يكن في عالم اليوم مكان لدولة يهودية؟ ماذا لو أن أمر الدولة الثانية لم يعد فقط أمراً محتملاً بصورة مطردة، بل حلاً مرغوباً؟ فليس هذا الفكرة غريبة للغاية، فمعظم من يقرأون هذه المقالة يعيشون في دول تعددية أصبحت منذ أمد طويل متعددة الأعراق ومتعددة الثقافات. فقد قال فانيري جيكسار ديستان «إن أوروبا المسيحية لم يعد لها وجود، والحضارة الغربية اليوم هي خليج من الألوان والأديان واللغات، من المسيحيين واليهود والمسلمين والعرب والهنود وكثيرين غيرهم... وهو ما يعرقله أي زائر للندن أو باريس أو جنيف».

وإسرائيل نفسها مجتمع متعدد الثقافات من كل النواحي فيما عدا الاسم، ومع ذلك فهي تظل ذات طابع خاص بين الدول الديمقراطية من حيث جعلها إلى معايير عرقية دينية تستخدمها للسيطرة على مواطنيها والتفرقة فيما بينهم، وهي كيان غريب بين الأمم العصرية ليس، كما يقول مؤيدوها المجهوسون، بأنها دولة يهودية وليس هناك من يريد أن توجد دولة لليهود، بل لأن الدولة اليهودية التي تعيش فيها فئة واحدة، اليهود، فوق الآخرين، لا تعيش في مصر لم يعد فيه مكان لثقافة الدولة.

وعلى امتداد سنوات طويلة كان لإسرائيل معنى خاص لدى الشعب اليهودي، وبعد سنة ١٩٤٨ استقبلت مئات الآلاف من الناجحين الذين لا حول لهم



# ما بعد الصهيونية

## فيرجينيا تيلي



في الضفة الغربية وغزة وهي تشق الطرق وتقيم الآلاف من الوحدات السكنية في مستعمرات مخططة تخطيطاً جيداً، ونشر كلمة «مستوطنة» إلى يضع مقطورات سكنية فوق أحد المنازل يحتميها المصنوب، ولكن ما لدينا هو شبكة ضخمة من المدن الصغيرة التي تحترق عمق الضفة الغربية وغزة وتضم حالياً ٢٠٠ ألف شخص (بالإضافة إلى ١٨٠ ألفاً في مستوطنات القدس الشرقية) التي لا يعتقد أحد أنها سوف تلتحق). وهناك عشرات الآلاف من البيوت والنشقات التي تخدمها المدارس ومراكز التسوق والمخار ومراكز الفنون وترمطها طرق رئيسية وإمدادات المياه والكهرباء الهائلة والحوارز والأسوار والأسياج وأنظمة المراقبة المحيطة بها. وهذه الشبكة لا يمكن إزالتها بحسب بنيتها التحتية الضعيفة، وبسبب الاستثمار النفسي الخاص بالمقيمين فيها. وربما كان من الممكن أن يؤدي الجهد الدولي الإسرائيلي كثيرة السكان، فإن أي منهما لا يمكن أن تكون أرضاً قومية. ويشترك على ذلك أنه لا يمكن بالإمكان إلقاء سياسة الاستيطان، فلن تكون الدولة الفلسطينية ممكنة، ويتقدم جوت، ومع الحق فيما يراه، أن لم يكن في الدولة الواحدة، مهما كان شكلها (ثنائية القومية أو محطرة لتطهيراً عرقياً)، هو الآن الحل الوحيد.

■ هناك أنواع مختلفة من الأقليات. وما فكرة دولة مصرية للمصريين، ودولة يهودية لليهود، إلا تمر على الواقع. إن ما نطلبه هو إعادة التفكير في الحاضر في ضوء التغيرات الحدود التي يسهل عبورها واختراقها.

إدوارد سعيد، ١٩٩٩

ظل معظم المتعاطفين مع الطامع القومية الفلسطينية، أو مجرد المثبتين لقدرة حق البقاء وللأخطار السياسية التي تشكلها، يفترضون على مدى بضع سنوات أن أي حل دائم للصراع الفلسطيني الإسرائيلي يتطلب تشكيل دولة فلسطينية في المناطق (المتدهورة أحوالها) التي لم تضمها إسرائيل بعد، فيما تبقى من منطقة الانتداب البريطاني.

ومع ذلك فقد أصبح ذلك المبدأ الأساسي في وقت ما من العقد المنصرم خيالا لا يؤثر الارتباك والتشوش، فكما يعترف كثيرون في السر، فقد قضى التقدم العربي الذي لا رجعة فيه في إنشاء المستوطنات في الضفة الغربية وغزة على شروط الدولة الفلسطينية المستقبلية.

طول الوقت، ويوماً وياوم، كانت طواقم البناء الإسرائيلية يعالج ضحاياها

ترجمة: أحمد محمود

عن مجلة

London Review of Books

في العالم الذي تتداخل فيه الشعوب والأمم بصورة مطردة وتتزاوج بمحض إرادتها، بحيث انتشرت العواطف الثقافية والوطنية التي كانت قائمة في سبيل التواصل والتفاهم، وأصبح لعدد متزايد منا هويات متعددة ونشر باننا نتمسك بقيود زائفة إذا كان علينا أن نعالم صارت إسرائيل حقاً مفارقة تاريخية، وهي ليست مجرد مفارقة بل إنها كيان عاجز عن العمل في عالم اليوم حيث «تتصادم الثقافات، بسين الديمقراطية التعددية المنفتحة والدول الديمقراطية المدفوعة بالعقائد، ولا تقبل التسامح وذات النزعات العدوانية، فإن إسرائيل معرضة في الواقع لأن تستقط في المعسكر الخاطئ».

وإن يكون تحويل إسرائيل من دولة يهودية إلى دولة ثنائية الجنسية أمراً سهلاً، وإن لم يكن مستحيلاً كما يبدو لأول وهلة، فقد بدأت العمليات بالفعل على أساس الأمر الواقع، ولكن من شأنها ألا تحدث اختراقاً لعظم اليهود والعرب يزيد عما يزيد أعداء هذه الحال على أساس ديني أو عرقي، وعلى أي حال، فليس بين الأشخاص الذين أعرفهم من لديه فكرة الفصل، إن أي شخص يفترض حقاً أن الجدار الإسرائيلي المختلف بشأله والذي يجري بناؤه سوف يسوى الأمور، يبدو واضحاً أنه لم يدرك حقائق السموات الخمينية الأخيرة من التاريخ فهذا «الجدار»، وهو في الواقع منطقة مسلحة تشمل خنادق وجواز وأدوات استكشاف وطرقاً ترابية (للتعب الأثر) وجداراً يصل ارتفاعه إلى ثمانية وعشرين قدماً، يتغلغل ويقتسم، ويسرق المزارع العربية، وسوق يدمر شري، ومصارف للزرق، وما تبقى من الاتصال بين العرب واليهود، وما يتكلم ما يقرب من مليون ولاز لكل ميل ولن يتربط عليه غير الإذلال والقلق لكلا الجانبين، وهو كجدار برلين يؤكد الإفلاس الأخلاقي والمؤسسي للنظام الذي يرمي لحمايته.

إن قيام دولة ثنائية الجنسية في الشرق الأوسط يحتاج إلى قيادة أمريكية شجاعة عازمة على الوصول إلى حل. ولابد من ضمان الأمن لليهود والعرب معاً بوجود قوة دولية، إن قيام دولة ثنائية الجنسية في الشرق الأوسط يتطلب ظهور طليقة سياسية جديدة بين اليهود والعرب على السواء، والأقترع في تقصصه هي مزيج من الواقعية واليوتوبيا، وليس من السهل العثور على نقطة بدايتها، ولكن البدائل أسوأ منها بكثير. ■

ولا طول والذين لم يكن لديهم مكان آخر يذهبون إليه، وبدون إسرائيل كان موقفهم سيئاً يائساً إلى أقصى حد، كانت إسرائيل بحاجة إلى اليهود، واليهود بحاجة لإسرائيل، وورطت ظروف ميلاد إسرائيل هويتها ارتباطاً لا يفصل بفكرة «الشواء» Shoah، أي المشرع الأثافي للقضاء على يهود أوروبا، ونتيجة لذلك، فكل الانتقادات الموجبة لإسرائيل ترجعها لتكريرات ذلك المشرع، وهو أمر يصارع المدافعون الأمريكيون عن إسرائيل بلا حياة إلى استغلاله، ويقولون أن الانتقاد الدولية اليهودية هو انتقاد لليهود، ويرون أن مجرد تصور وضع بديل في الشرق الأوسط أمر مكافئ للقتل الجماعي.

وفي السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية، كان مجرد وجود إسرائيل عاملاً مطمئناً لملايين اليهود الذين لم يعيشوا فيها، سواء أكانوا يعتبرونها بوليصة تأمين ضد عودة ظهور الهادة اللاسامية أو كمجرد تذكرة للعالم بأن اليهود يستطيعون أن يردوا أي اعتداء عليهم، وقبل وجود دولة يهودية، كانت الأقليات اليهودية في المجتمعات المسيحية تلتفت حولها وتلتزم وضعاً هامداً، أما منذ ١٩٤٨ فإن تلك الأقليات تسير رافعة هامتها، ولكن في السنوات الأخيرة تغير الوضع تغييراً مؤسفاً.



إن اليهود من غير الإسرائيليين يشعرون اليوم بأنهم معرضون مرة أخرى للانتقاد والهاجمة ضد أشياء لم يشعروا بها، ولكن في هذه المرة بسبب الدولة اليهودية، التي تجعل منهم رهائن بأعمالها. ولا يستطيع يهود الشتات أن يثيروا على سياسات إسرائيل، ولكنهم مبروطون بها، ومن دواعي ذلك إصرار إسرائيل نفسها على الحديث عن ملايين يهود الدولة التي تسمى نفسها الدولة اليهودية يؤثر على نظرة كل إنسان لليهود، ولإذابة عمليات الهجوم على اليهود في أوروبا وغيرها يرجع في المقام الأول إلى جهود شاردة، غالباً من شيان مسلمين، لرد على أعمال إسرائيل، والحقيقة المحزنة هي أن سلوك إسرائيل الحالي ليس مضرًا فقط بأمریکا، وهو ضرر مؤكّد، وليس فقط مضرًا بإسرائيل ذاتها، وهو ما يعترف به كثير من الإسرائيليين صامتين، الحقيقة المحزنة هي أن إسرائيل اليوم أصبحت مضرّة لليهود.



إن بحث مستقبل المستوطنات في ظل القوانين يعني أنه ليس حلاً بالرة. فمن الناحية النظرية يمكن استيعاب المستوطنات وسكانها البالغ عددهم ٢٠٠ ألف في الدولة الفلسطينية، حيث تجعل المستوطنات على المؤقتة الفلسطينية أو على نوع من وضع الإقامة الدائمة. غير أنه في ظل حجم التوسع الفلسطيني الرسمي، وكذلك صلات المستوطنين العاطفية والسياسية والاقتصادية بإسرائيل، لا تكون المواجهة خياراً جاداً. كما أن الإقامة الدائمة لن تؤدي إلا إلى تعقد الموقف الحالي؛ فستكون جيوباً غير المواطنين داخل فلسطين نفسها، وهي عملية مكلفة بالنسبة لإسرائيل، من الناحيتين المالية والسياسية. أو لن تسلّم المستوطنات في حالة سلمية كي يستفيد منها الفلسطينيون (مما يساعد على استيعاب العائلين الفلسطينيين) بينما ينقل السكان اليهود، غير الآخرين، إلى داخل إسرائيل نفسها؛ وهو ما يفرض كذلك تكاليف مالية وسياسية كبيرة على إسرائيل. وثائق جنيف محاولة لفهمال بمرحلة من هذه المواقف، حيث تسحب بعض المستوطنات، مع ترك بعض المستوطنات الكبيرة الأخرى. إلا أن أي من الخافعين الذين لديهم سلطة تطبيق الاتفاق، الحكومة الإسرائيلية والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي أو غيره منه) ليس لديه الرغبة في أن يفعل ذلك. ليس منظوراً طبيعياً الحال من الحكومة الإسرائيلية الحالية تفهين مثل هذا المشروع. وليست المشكلة في فهدل شارون الذي يخوض حجة واحدة نشطة من أجل السيادة الإسرائيلية على كل فلسطين التي كانت خاضعة للاستيطان، بعد استعمال المستوطنات. ولا تكمن المشكلة في تلك الأقلية من المستوطنين في يهودا والسامرة، الذين هم في واقع الأمر متعصبون دينيون مدججون بالسلاح (مخطفهم من الولايات المتحدة، حتى ولو كان التأثير السياسي الحللي مبرعاً. فإنهم إذا قاوموا النقل بالرة، وهو ما سيفعله البعض، فإن السلطة الأخلاقية لأية حكومة تحاول نقلهم، وحتى مشروعية دولة إسرائيل نفسها. قد تكون موضع شك بالنسبة لهؤلاء الصهاينة الذين يفهمون السيادة اليهودية على الأرض على أنها حق وواجب، حيث تنبع في المقام الأول من السلطة التوراتية وثانياً من ضرورة حماية اليهود من الأخطار المعاصرة المعادية للسامية بالحفاظ على الملاذ والوطن اليهودي. ولأن المستوطنين

المتدينين يتسمون بالدهاء السياسي والإيمان الشديد بتلك المبادئ، فإنهم قد يستعملون الأمر معاً. ويشمل المتعصبون نوعاً من التنشيط. فعلى مدى عقدين أو أكثر، تعدى التواطؤ الحكومي مع مشروع الاستيطان ما هو ضروري لإقامة المتطرفين. ولا يزال الالتزام به متصلاً في المؤسسات والسياسة الحكومية، بالقدرة التي تعدى السياسة الانتخابية. وتولى شارون منذ عام ١٩٨٤ وزارات التجارة والصناعة، والتشيد والإسكان، والبنية التحتية القومية. وكان بذلك في موقع يضمن توفير المنح والقروض منخفضة الفوائد لبناء البعثات وللصناعة الإسرائيلية الجديدة في المناطق. وزاد من مشاركة الحكومة في توفير الخدمات والأعمال المصرفية وإمدادات الكهرباء والمياه، ويسر الاستثمارات الخاصة في الإسكان والبنية التحتية. وشجع التعاون الاستراتيجي بين الوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية العالمية في تطوير كتل الاستيطان الواقعة على جانبي الخط الأخضر، وعلى سبيل المثال، بنات كل وزارة وهيئة حكومية تقريباً في أي شكل الريهان التي ألغت الخط الأخضر على طول الحدود الشمالية الشرقية للفضة القديمة. وقد يتطلب إعادة ترتيب هذه الهيئات لوقف الدعم والخدمات وغيرها من الحوافز المقدمة للاستيطان في المناطق تغيير تصميمها الأساسي (البنية التحتية قدرة أي سياسي إسرائيلي أو ائتلاف للسامية.

ليس هناك ما يوثق أن يحدث، وذلك لأسباب نجحها في عمق التسريح السياسي الأمريكي، أو حتى استراتيجيات أمريكا العسكرية التي طال أمدها وتفترض أن إسرائيل هي الحليف الأساسي.

إن، فليست الولايات المتحدة



## ليست الولايات المتحدة

محايمة، بل هي محيطة. فما زالت سياستها الخارجية ملتزمة بتأييد «رفاهية» إسرائيل مهما كانت الطريقة التي تراها بها الحكومة الإسرائيلية، مما لا يجعل لها تأثيراً محايداً على سياسة الاستيطان



محايمة، بل هي محيطة. فما زالت سياستها الخارجية ملتزمة بتأييد «رفاهية» إسرائيل مهما كانت الطريقة التي تراها بها الحكومة الإسرائيلية، مما لا يجعل لها تأثيراً محايداً على سياسة الاستيطان. يقترح شارون من تحقيق هدفه الذي طالما حلم به، وهو السيادة الإسرائيلية على كل فلسطين التي كانت خاضعة للاستيطان، مع وجود بعض الجيوب الفلسطينية العزولة غير القادرة على البقاء وتوفر حكماً ذاتياً كلياً معزولاً ومحصراً لتحل فيها بقايا المجتمع الفلسطيني ببساطة. إلا أن هذا سوف يجعل في حوزته غير مرغوب فيها إلى حد كبير، وهي منطقة تضم ما يزيد على المليونين من المسلمين والمسيحيين العرب المقيمين الذين ليست لهم دولة حقيقية خاصة بهم، الأمر الذي يؤدي إلى فتحت إسرائيل مثلما فتحت في مجتمعاتهم القومية. فالمشكلة قديمة قدم الصراع نفسه، وهي ماذا تفعل بالشعب

إذا كان ما تريده هو الأثر؟ وكما أن الترامسفير، الترحيل بالقوة من الضفة الغربية، في الغالب مبرر الحدود الأردنية، سوف يطلق العنان للعنف الإقليمي على نطاق لا يتركه أحد الآن، ربما أن شارون أدرك أن أي يسمى إلى ذلك، مهما كانت ضغوط الجناح اليمني على، فقد يظل الفلسطينيون على أجزاء مستقلة من ظل سلطة فلسطينية، مستقلة، ما تكلف بالحفاظ على النظام. وكما أعلن شارون نفسه، فمن يهم الفلسطينيين الوضع النظري للدولة في هذه الخطة، لذلك أن اقتصادهم سيظل مشلولاً، وسوف تتلاشى مجتمعاتهم في نهاية الأمر لتصبح أثاراً عرقية لا علاقة لها بشيء. وكما أشار جوت، ربما كان هذا الحل يتناسب مع الانيودولوجيات العربية القومية في القرن التاسع عشر أو بداية



القرن العشرين التي أفرزت الحركة الصهيونية، إلا أنه يتناقض مع المبادئ الديمقراطية التي تقوم عليها إسرائيل الحديثة، وسوف تستعبد سيادة إسرائيل على الضفة الغربية التي تضم جيوباً معزولة عوائل لوجيستية وأخلاقية تحول دون تماسكها.

يبقى حل الدولة الواحدة، وتصنيف العقبات التي تصف في سبيله. ومن الواضح أنها عقبات ضخمة، فالمشكلات الخاصة بإسرائيل عسيفة، ذلك أن التنافس بين يهودية الدولة اليهودية، لن يتطلب تعديل قوانينها فحسب، بل إنه سيكون مخالفاً لمخاطبة صريحة للمعتقدات الصهيونية (والمسيحية اليمينية) الشاملة بشأن مبرر وجود إسرائيل. وليس هذا الصدام الجديد، فهو يعكس الانقسامات الجذرية داخل الفكر الصهيوني. فهل الدولة الواحدة يطرح في وقت تتجمع فيه المناقشات الجديدة (وشديدة العاطفية) على مدى عقد أو يزيد بشأن الطابع اليهودي لإسرائيل، حيث تركز على مبادئ، «ما بعد الصهيونية» الخاصة بما لا كان بالإمكان أو من الواجب إعادة تصور إسرائيل نفسها، ليس باعتبارها دولة يهودية على وجه التحديد (يعني تقديس المؤسسات العامة للدولة للصهيونية اليهودية العربية القومية للدولة)، بل على أنها دولة يضمن فيه لهدم الحريات العربية والأمن على قدم المساواة مع المواطنين كافة. ومن المستحيل المبالغة في مدى الخوف والأسى والحنن الذي يشيع في تلك المناقشات بشأن مستقبل إسرائيل أو مآلها، ومما توقع الشر والاستياء والرفض التي يشهدها الحديث عن الدولة العلمانية. ومع ذلك فليس صوت جوت أوصى ليون فيزليتر بذلك في زده الغاضب في ذا نيو يوركل.

إذا كان على الفلسطينيين والإسرائيليين (من كل الخلفيات العرقية والدينية) أن يشاركووا بالفعل في دولة واحدة باعتبارهم أئداء، فلا بد كذلك أن توضع الزوية ما بعد الصهيونية الطابع غير العرقي للمجتمع الفلسطيني، فالدولة ثنائية القومية، من الناحية الرسمية، التي تعترف بالفلسطينيين العرب الفلسطينيين والفلسطينيين وتتعامل معهم على أنهما واقع عيني، يمكن أن توجد فحسب منافسة ثنائية الأقطاب توحى لفيزليتر بهذا الذعر، وذلك في ظل النشل الديموقراطي الفلسطيني الأكبر، وهو يرى أن هيمنة



# كتاب الزاوية

## بغداد في الأيام الخوالي

هذه يوميات ومراسلات كتبها «كلوديوس جيمس ريج» الرحالة والفناني وجامع العاديات الأثرية والمقيم البريطاني في بغداد في الفترة من ١٨٠٨ ، ١٨٢١ . جمعت تحت عنوان «بغداد في الأيام الخوالي» . وصدرت عن الجمع العلمي الثقافي في «أبو ظبي» .

وقد طاف ريج بمدن وقرى العراق، بل وناطق منها إلى بعض الدول الأوروبية والفارسية، وقد توفي في مدينة شيراز الإيرانية عام ١٨٢٢ ، عن ستة وثلاثين عاماً .

وقد جمعت كونستانسي، م. الكسندر ما كتبه ريج من يوميات ومراسلات، وأعدت ترتيبها وتقطيعها لتصدر في هذه الصورة، مستفيدة من صلة القربى التي جمعتهما ريج، فقد كانت بمثابة حفيده.

والكتاب الذي يمكن اعتباره عرضاً سياسياً لحقبة زمنية بعينها مر بها العراق، يمكن كذلك النظر إليه باعتباره دراسة أثرية لمواقع شهيرة يضمها بلد كان مهداً لحضارة عريقة، فضلاً عن كونه عرضاً تاريخياً لصراع القوى في هذا الجزء من العالم، أو استعراضاً لبعض الصور الفلكلورية أو رواية لمسيرة ذاتية لرجل لعب دوراً في مجريات الأحداث وكان شاهداً عياناً على بعضها.

والمؤلفة، بسبب صلة القربى التي جمعتهما بصاحب اليوميات، جعلت منه بطلاً في كثير من المواقف، وتناقصت عن دوره الرئيسي المثلث الذي أملى عليه حركاته وسكناته، وهو انتماءه إلى شركة الهند الشرقية، التي كانت بمثابة الواجهة التي تنتسرها خلفها الإمبراطورية البريطانية في كل مكان في العالم.

النقاش والحدود والصراع بل وإلى ارادة سياسية عابته بشكل واضح في الوقت الراهن. وقد تغلبت لجانب تقصص الحقائق أو العفو العام في نهاية الامر على ميراث العنف والكراهية. ولكن كما هو الحال في مثل هذه العواطف، سوف تستغرق العملية أجيالاً.

ستكون المشكلة بالنسبة للفلسطينيين ذات وضع مختلف. إذ هل ما يطمحون إليه بالفعل هو دولة علمانية ديمقراطية تقوم على السيادة الإقليمية، وهو النموذج الذي طلبنا اقتراحه القوميون الفلسطينيون وطوره مفكرون مثل إدوارد سعيد؟ أم سيؤيد كثيرون في الوقت الراهن إقامة دولة عربية أو عرقية يبنية تقوم على أفكار المحلية العربية أو الإسلامية من ذلك النوع الذي يتبنونه في غزة ليس مثل هذا النقاش الأساسي بالأمير الفريد. كما انه ليس مثبوساً منه كما قد يظن ظان (فقد وطأت جنوب أفريقيا ما بعد الفصل العنصري بعضاً من هذه الأرض). بل إن الكثيرين من الفلسطينيين تحروا وهم «القيادة القومية» الخاصة بهم بالقدر الذي قد يجعلهم يرحبون بفكرة مؤتلف، شريطة منحهم حقها متكافئة باعتبارهم مواطنين في دولة واحدة (سيكون العثور على الضمانات المناسبة لهذه الحقوق هو العقبة الأساسية).

قد يغير الأمر الأكبر والأوسع مدى لحل الدولة الواحدة هيئة التوترات الإقليمية، وكذلك التوترات المحلية بإنهائه الاحتلال العسكري وتوحيد الأرض واستعادة الفلسطينيين السيادة (المشاركة) في وطنهم التاريخي. وسوف يمنحهم ما سبوا كثيراً إليه من تمثيل وحقوق ملكية ونظام عدالة مدنية وحرية صحافة في إطار النظام الديمقراطي المقصود حتى الآن على اليهود طلالاً أعجب به الكثيرون من الفلسطينيين وتنمو محاكاته. ولكن هذا لن يحل كل المشاكل فسوف يتعالى صوت قوتورات الحرم الشريف والهيك، على سبيل المثال، إلا أنه سعيد تشكك تلك النزاعات باعتبارها خلافات عرقية داخل دولة ديمقراطية. وليس بين آخرين مستقلتين يجعل كل منهما الآخر شيطاناً. كما أنه سوف يعيد إسرائيل إلى ذلك الوضع الذي يحظى بالاحترام بين الأسرة الدولية، ويقص على «المشكلة الفلسطينية» باعتبارها مصدر غضب المسلمين والقوميين العرب والجماعات المتطرفة في أنحاء العالم الذين يشعرون باستياء شديد، وبما أن حل الدولتين لا يعد إلا مزيد من المشاكل حل الدولة الواحدة هو الحل الوحيد الذي يمكن للمجتمع الدولي أن يعكفه حالياً فكيراً مستولاً ■

القومية الفلسطينية على اليهود أمر حتمي إلى الحد الذي يبرر هيمنة القومية اليهودية على الفلسطينيين. التحدي الذي يواجه حل الدولة الواحدة هو العثور على ممر سياسي من خلال الانتقال من القوميات العرقية المتنافسة إلى الصيغ العلمانية الديمقراطية التي تتحالف على دور إسرائيل باعتبارها ملاذاً يهودياً. في حين تزيل الامتيازات التي تشبه المصلب العنصري وتحلل غير اليهود في الوقت الراهن مواطنين من الدرجة الثانية. وهذا التناقص تواجهه إسرائيل بالفعل داخل حدودها القانونية. ذلك أنه حتى السكان العرب الحاليين في البلاد يرون أن هناك اتفاقاً كبيراً على أن نظام القوانين الذي يحمي الدولة اليهودية، ظالم وغير مستقر على المدى الطويل. وفي دولة علمانية ديمقراطية، يقتضي هذا تغيير نفس المفهوم الخاص بوضع الدولة اليهودية (ووضعتها مدى نموذ القومية اليهودية) تغييراً جذرياً. ولابد من ضمان الحقوق والامتيازات القومية على الجانبين بتضمينها في الامتيازات القومية الإسرائيلية. ولابد من إعادة تصور الفوائد المقصورة من الناحية القانونية على اليهود في الوقت الراهن (عز طريق زرعها في العادة بالخدمة العسكرية ويشكل أهل مبادرة يقادون العودة) مثل فرص الإسكان وفرص التعليم والتوظيف في القطاع العام وهلم جرا، إلى جانب إعادة توزيع الموارد. ولابد من إعادة ترتيب استغلال الأراضي؛ حيث يخصص ٩٣ بالمئة من مساحة إسرائيل في الوقت الراهن لاستخدام فصل الإسكان فضلاً عن اليهود. ولابد من فصل الإسكان فضلاً رسمياً عن الإشغال اليهودي المحصري (وسيكون من الواجب أن يتغير الطابع اليهودي فقط، للمستوطنات). ولابد من إعادة بحث الدور الراغب للوكالة اليهودية التي تدبر الموارد والامتيازات القومية اليهودية في إسرائيل. ولابد كذلك من تغيير السياسة الانتخابية والتمثيل في الكنيست بما يسمح بالمناقشة التشريعية على أساس الوضع الفعلي المتكافئ، فقد تضمنت تعديلات القوانين الأساسية، ووضع دستور علماني، أن تظل إسرائيل تحمي الأرواح والحقوق اليهودية، حيث تكون بمثابة الملاذ الذي يرغب الكثير من اليهود داخل إسرائيل وخارجها بشدة في الحفاظ عليه، إلا أنه لابد أن يضمن القانون الأساسي نفسه الحقوق الإسلامية والمسيحية بل واللاعنصرية والإلحادية، ويقتضى، على الأقل من الناحية التشريعية، على أي تراتب مؤسس يقوم على المفاهيم العرقية والدينية. وسيجتاح هذا التحول إلى سنوات من



# أمريكا وأوروبا

فحسب، بل كان هناك تقويض مطرد للقيم الأوروبية والسلطة الأوروبية وإغتيال لها. فقد كتب لورانس: «لا يمكنك الحصول على شيء دون تحطيم ما هو قديم، والحادث هو أن أوروبا هي الشيء القديم، وينبغي أن تكون أمريكا الشيء الجديد، والشيء الجديد هو موت القديم، وكتب لورانس ستولي أمريكا مهمة تدمير أوروبا مستقلة الديمقراطية وخاصة الديمقراطية الشكافية وديمقراطية السلوك. أداة لتحقيق ذلك، وكتب يقول أنه عند الانتهاء من هذه المهمة، قد تترك أمريكا الديمقراطية إلى حد كبير لتذهب إلى شيء آخر، (وهو ربما ما يكون في سبيله للظهور الآن)»

معدرة إذا كانت كل إحالاتي أدبية بحتة، فعلى أي الأحوال، إن إحدى وفلاسف الأدب، الأدب المهتم والأدب المصوري، هي أن يتبنا ما سيبحث، وما لدينا هنا هو إلى حد كبير، الحركة الأدبية، أو الثقافية، الدائمة بين الدمايين والمحدثين



الماضي هو أوروبا، وتقوم أمريكا على فكرة الانفصال عن الماضي، الذي ينظر إليه على أنه مفرح ومفوق وغير ديمقراطي إلى حد كبير، بما فيه من أشكال الخشوع والأوروبي والمهاجرين الخاصة بما هو أسوأ مما هو أفضل، وهو في الأساس غير ديمقراطي أو «بخوي»، وهو المظهر البديل السائد حالياً، ولا يزال الذين يتحدثون باسم أمريكا المنتصرة يشيرون إلى أن الديمقراطية الأمريكية تنطوي على رفض أوروبا واحتواء شيء من البربرية الجديدة الحرة. وإذا كان معظم الأمريكيين في الوقت الراهن يعتبرون أن أوروبا أكثر منها بخوية، فإن هذا ما يزال يحل أوروبا، طبقاً للمعايير الأمريكية، مختلفة تتمسك بعنقا والمهاجرين القديمة، أي بدولة فراغية، وليس شعار «جدهوا»، خاصة بالثقافة فحسب، بل إنه يصف ألة اقتصادية تشمل العالم بأسره ولا تتوقف عن التقدم.

ومع ذلك فإنه حتى «القديم، يمكن أن يكون معتمد ليصبح، جديداً، إذا اقتضى الأمر

ليست مصادفة أن وزير الدفاع الأمريكي العنيد دونالد رامسفيلد حاول دق إسعين بين دول أوروبا، بتفريقه بين أوروبا «القديم»، (الشريرة) وأوروبا

تمر العلاقات الأوروبية . الأمريكية حالياً مرحلة شديدة الحساسية و«لتؤسس سبيله للهجوم المتواصل من حاش المحافظين الجدد في الإدارة الأمريكية وعلى رأسه دونالد رامسفيلد وزير الدفاع على الدور الأوروبي في العالم، والخلاف الشديد الذي نشب بسبب الحرب الأمريكية على العراق، وزعم محاولات التقريب بين الحايبيين إلا أن هذا التوتر مرشح للتصاعد مع تصاعد الخصائص الأمريكية في العراق واستمرار الخطاب الأوروبية تنوياً للأمم المتحدة زمام الوضع هناك بدلاً من القوات الأمريكية.

سوران سوتاج الكتانية الأمريكية البارزة والمعارضة الشديدة للحرب في العراق، استكشفت أعاداً جديدة للخلاف الأوروبي الأمريكي من منظور تاريخي . أدبي . وقد أثبت سوتاج ٧٠ عاماً . محاضرة بمناسبة تسليمها جائزة السلام الدولية على هامش معرض فرانكفورت الدولي للكتاب في أكتوبر الماضي تناولت هذه القضية المتفجرة.. وفيما يلي نص محاضرتها.

## البحر

الديمقراطية في أمريكا، الذي لا يزال بعد مرور حوالي مائة وسبعين عاماً انفصل ما كتب عن أمريكا. وفي أثنس لورانس الذي نشر منذ سبعين عاماً كتاباً هو أكثر ما كتب من الثقافة الأمريكية لغتنا للأنشاد، وهو كتابه المهم المتجر العنكب .دراسات في الأدب الكلاسيكي الأمريكي.. وقد فهم كلاهما أن الولايات المتحدة أبنية أوروبا في سبلها لا تكون ضد أوروبا، أو أيها كانت كذلك بالفعل روما الجديدة وأثينا، المريح والزهرة. لم يخترع مؤلفو المطبوعات واسعة الانتشار الحديثة التي تروج لفكرة التصادم المحتم للمصالح والقيم بين أوروبا وأمريكا تلك الأضداد. وقد اطال الأجانب التفكير بشأنها وتعلوها؛ فهي تمثل السمات الكائنة والحق المتكرر في جزء كبير من الأدب الأمريكي طوال القرن التاسع عشر، من جيمس فيني مور ووالف والدو اميرسون إلى والت ويتمان وهنري جيمس ويوليام دين هاولز ومارك توين، فهناك ثنائيات البراءة الأمريكية

الديمقراطية في أمريكا، الذي لا يزال بعد مرور حوالي مائة وسبعين عاماً انفصل ما كتب عن أمريكا. وفي أثنس لورانس الذي نشر منذ سبعين عاماً كتاباً هو أكثر ما كتب من الثقافة الأمريكية لغتنا للأنشاد، وهو كتابه المهم المتجر العنكب .دراسات في الأدب الكلاسيكي الأمريكي.. وقد فهم كلاهما أن الولايات المتحدة أبنية أوروبا في سبلها لا تكون ضد أوروبا، أو أيها كانت كذلك بالفعل روما الجديدة وأثينا، المريح والزهرة. لم يخترع مؤلفو المطبوعات واسعة الانتشار الحديثة التي تروج لفكرة التصادم المحتم للمصالح والقيم بين أوروبا وأمريكا تلك الأضداد. وقد اطال الأجانب التفكير بشأنها وتعلوها؛ فهي تمثل السمات الكائنة والحق المتكرر في جزء كبير من الأدب الأمريكي طوال القرن التاسع عشر، من جيمس فيني مور ووالف والدو اميرسون إلى والت ويتمان وهنري جيمس ويوليام دين هاولز ومارك توين، فهناك ثنائيات البراءة الأمريكية



## هناك ثنائيات البراءة الأمريكية

**والتعقيد الأوروبي، والبراجماتية الأمريكية والعقلنة الأوروبية، والطاقة الأمريكية والسام الأوروبي من الحياة، والسذاجة الأمريكية والاستهزاء الأوروبي، وطبيعة القلب الأمريكية والحدق الأوروبي، والنزعة الأخلاقية الأمريكية وفنون التنازل الأمريكية**



■ ■ ■ إنها تجربته تبحث على الخشوع والإلهام أن يبتعد تلك هي كنيسته القديسين دولس، ذلك المكان الذي يذوق منه بريق التاريخ، أمام هذا الجمهور، وأن يتسم الجائز الذي يمنحها اتحاد ناشريين الأمان للكثير ممن أشاروا أصحباي من الكتاب والمكبرين والشخصيات العامة النموذجية غير أنني أشعر فحسب بالخزي من الأسف والأسى للتعطيل المتعمد للتفسير الأمريكي في ألمانيا دانييل كوتس الذي يدل رفضه المفرد لتصور مجتمعنا هذا اليوم، على أنه أحضر على تأكيد الموقف الایدولوجي والاهتمام ببردود أمريكا المعادية لحكومة يوش منه على أنه واجبه الدبلوماسي العادي يتمتعين مصالح بلاده، ويلدو وسعته

إن من واجب أي سفير أمريكي تمثيل بلاده، كل بلاده وأنا بالطبع لا أمثل أمريكا، ولا حتى الأقلية الكبيرة التي لا تؤيد البرنامج الإمبريالي لستريت بوش ومستشاريه، وأنا أعظم الاعتقاد بأنني لا أمثل شيئاً سوى الأدب، بل فكرة يعينها عن الأدب، والضمير، وفكرة بداتها عن الضمير أو الواجب، ولكن إدراكاً مني لبراءة هذه الجائز المنوعة من دولة أوروبية كبرى، باعتباري سفيراً فكرياً بين الفئتين غلبت في وسعي مقاومة بعض الأفكار بنسب الصوة التي يتباهون بأنها قائمة بين أوروبا والولايات المتحدة ولست أنسى أن أول وصل كل شيء، حل في خومة، من صراع، إن التصريحات المعاصرة بشأن أوروبا، والتي تستبعد دولا أوروبية معنيها، هي العملة التراجعية الخاصة بالاحتمال السياسي الأمريكي وهذا، على الأقل في الدول الفنية على الحائس العبري من القارة، نجد أن المشاعر المعادية لأمريكا أكثر وواج، وصوتها أكثر ارتفاعاً، ويريد جميعها على أي وقت مضى فما هو هذا الصراع؟ هل له جذور عميقة؟ أظن أنه كذلك.

كان هناك على الدوام عداء مستمر بين أوروبا وأمريكا، وهو عداء معقد ومتماثل من طابعها، كذلك الذي بين الولد وأخته فأمرিকা دولة أوروبية جديدة، وكانت حتى يصمم عقود قليلة صممت تسكنها في العال شعب أوروبية ومع ذلك كانت الظروف التي بين أوروبا وأمريكا هي على الدوام ما يهدد المراقبين الأكثر إدراكاً، مثل الكسندر توكفيل الذي رآه تلك الدولة المتقية في عام ١٨٣١ وعاد إلى فرنسا ليكتب

ترجمة: أحمد محمود



# ... فـخـلاف أم صـرا عـراع ؟!

## سـوزان سـونـتاج

المتحدة في أعقاب هجوم الحادي عشر من سبتمبر من عام ٢٠٠١ صادقاً وصيلاً. (وأنا أشهد على حرارته وإخلاصه في المناسبات حيث كنت في برلين في ذلك الوقت.) إلا أن ما أعقب ذلك كان تساعداً متزايداً على الجانبين.

ولدت في يعرف مواطنو أغنى وأقوى دولة في التاريخ من أمريكا محبوبة، ومحبوبة بل وممتدة منها. ويصره لقطيلون الذين يسافرون للحجرات أن أوويين كثيرين ينظرون إلى الأمريكيين على أنهم أجلاف وغير مثقفين. ولا يترددون في وضع هذه التوقعات موضع المقارنة بالسلوك الذي يوحى بالاشياء ممن كانوا مستعمريين في يوم من الأيام. ويعزو عدد لا بأس به من الأورويين المثقفين الذين يبدو أنهم يحدون إلى حد كبير متعة في زيارة أمريكا أو العيش فيها إلى الولايات المتحدة لتلك القيم التحريرية الخاصة بالاستعمارية التي يتخلصون فيها من القيود وعباءة ثقافة العودة للوطن، والرفعة. وأذكر أن مخرجاً ألمانيا يعيش الآن في سان فرانسيسكو قال لي إنه يحب العيش في الولايات المتحدة لأن له لا يجد أية ثقافة هنا. وكان عدد لا بأس به من الأورويين الذين لا يدون أن نذكر أن بعضهم دى إتش لورانس (الذي كتب إلى أحد أصدقائه في عام ١٩١٥، حين كان يخطط للعيش في الولايات المتحدة، «الحياة هنا لا تتبع من الجنون، وهي تنقسم بالمصطنعة والكسب تنقسم كذلك بالحمية»). يرى أن أمريكا هي المهرب الكبير، والعكس صحيح، فقد كانت أوروبا المهرب الكبير إلى أحيال من الأمريكيين الذين يبحثون عن الثقافة. وأنا أبحث هنا عن الأقليات فحسب، أي الأقليات المتهميين. (فالكاتب أو المخرج السينمائي هو بالطبع أحد المتهميين.) وهكذا ترى الولايات المتحدة نفسها الآن المدافع عن الحضارة ومصدق أورويين وتساءل عن سبب عدم إدراك الأورويين لذلك. بينما يرى الأورويون الأمريكيين أنهم يهدون من الممارسين المتهميين، وهو الوصف الذي يرد عليه الأمريكيون بالتطير إلى أوروبا على أنها عذو أمريكا، فالتكاد التي سمعته كثيراً في الولايات المتحدة هو أن أوروبا تتطهر معها للسلام كي تساهم في إصعاف القوة الأمريكية. وهم يفتنون أن فرنسا على وجه الخصوص تخطف لا تكون لنا أمريكا في تشكيل الشؤون العالمية، ولا تتفق عليها في ذلك. وكان الاسم الذي اخترعه أحد كتاب صحيفة نيويورك تايمز، لوصف



سـوزان سـونـتاج

كثيراً من الرأي العام الأساسي هو الآن مسالم بالعلم!

ألم تكن أوروبا وأمريكا شريكتين في يوم من الأيام؟ ألم تكونا صديقين في يوم من الأيام؟ لقد كانت كذلك بالطبع ولكن يبدو أنه أصبح أن فترات الوحدة، أي فترات الشعور المشترك. كانت الاستثناء بدلاً من أن تكون قاعدة. وكانت إحدى تلك الفترات منذ الحرب العالمية الثانية حتى الحرب الباردة، حين كان الأورويون يشعرون بالامتنان لتدخل أمريكا وإغايتها ودعمها. ويشعر الأمريكيون بالراحة حين يرون أنفسهم يفهمون دور شخص أوروبا ومتفهمين. ولكنهم يتوقعون بعد ذلك أن يخل الأورويون معترفين بالجميل على الدول. وهو ما لا يشعر به الأورويون في الوقت الراهن.

يبدو من وجهة نظر أوروبا القديمة، أن أمريكا تتولى إلى إهدار الإعجاب والامتنان، التي يشعر به الأورويين. فقد كان التعاطف الشديد مع الولايات

خارج البوابات إنها هي الداخل. في كل مدينة مزدهرة تخطط للدمار، فيسبون على الدول «المتخلة للشوكلاتة»، فرنسا وألمانيا وبلجيكا) أن تنتج جانيا بينما الدولة صاحبة «الأرادة». يساندها الرب. تواصل الحركة ضد الإرهاب (التي يرطونه الآن بالهريرية). وطبقاً لما قاله وزير الخارجية الأمريكي كولين باول فإنه من المثير للضحك أن تقطع أوروبا القديمة (ويبدو أحياناً أن فرنسا وحدها هي المقصودة) إلى القيام بدور في حكم الأراضي التي يكتسبها الائتلاف الفاتح في إدارتها. فهي لا تملك الموارد العسكرية، ولا أقل قدر من العنف. ولا دعم شعوبها الدالة شديدة الميل للسلام. والأمريكيون محقون فيما يقولون. فالأورويين ليسوا في حالة مزاجية تتسم بالحماس المتعد أو الولع بالقتال اضطر في بعض الأحيان لأن أقصر نفسي كي أتأكد أنني لست في حلم ذلك أن ما يعتقد أنه كثير من يلدني الآن ضد ألمانيا، التي أتارت ذلك الرب في العالم طوال قرن تقريباً. «الفتك» الألمانية، الجديدة كما كانت تسمى، هو أن الألمان ينشرون من الحربية وأن جزءاً

الجديدة، (الطبية) كيف حدث أن أخلت ألمانيا وفرنسا وبلجيكا إلى أوروبا القديمة، بينما وجدت أسبانيا وإيطاليا وبولندا وأوكرانيا وسولندا وألجور وجمهورية التشيك أنفسهم جزءاً من أوروبا الجديدة، إلا الإجابة هي أن من يدعم الولايات المتحدة في توسيعها الحالي نموذجها السياسي والعسكري يدخل بالقطع ضمن فئة «الجديد، الأكثر مرغوبة». فمن كان معنا فهو «جديد».

تصنف كل الحروب الحديثة، حتى وإن كانت دوافعها هي تلك الدوافع التقليدية كانت توسع الإقليم أو الاستيلاء على الموارد النادرة على أنها صدام حضارات، حروب ثقافية، حيث يدعى كل جانب أنه الأفضل ويصف الجانب الآخر بالهريرية، والعدو باستمرار خطر على أسلوب حياتنا، وهو كافر ومتنكح للمقدسات وملوث وملوث للنسب الأسمى أو الأفضل، والحرب البائرة حالياً ضد التهديد الحقيقي جداً الذي تشكله الأصولية الإسلامية المتشددة مثال شديد الوضوح. والأمير الجدير بالملاحظة هو نسخة أخف من نفس الخطاب الذي يحط من قدر ويقتل من الشأن على نحو يدعم العداء بين أوروبا وأمريكا ولا بد أن تذكر ذلك أنه من الناحية التاريخية إن ما بات معظم الخطاب شديد الكراهية المعادي لأمريكا في أوروبا، الذي يقوم في الأساس على اتهام الأمريكيين بأنهم برابرة، مما يسمى بالسياسات بل جاء من أقصى اليمين حكم احتج هتلر وفرنكو على أمريكا (واليهود الأمريكيين) المشاركة في تلوين الحضارة الأوروبية بقميها التجارية الرضوية.

لا يزال جزء كبير من الجمهور الأوروي، بطبيعة الحال، محبباً للعلاقة الأمريكية، أي بالتمسك الأمريكية من «الحديث». ومن المؤكد أن هناك أيضاً المتعاطفين الأمريكيين مع المثل الثقافية الأوروبية. وأنا واحدة منهم، الذي يحدون في أداب أوروبا القديمة تحريراً لتحيز الثقافة الأمريكية التجارية النشطة وتصميمي لها. وهناك دائماً الممارسون لهؤلاء الأمريكيين على الجانب الأوروي، وهم الأورويون المتفانون شدة بالولايات المتحدة ويساهمون معها، وهو ما يرجع على وجه الدقة إلى اختلافها عن أوروبا إلى ما يراه الأمريكيون يكاد يكون عكس الوجه المبتدل الذي يدل على حب أوروبا: فهم يرون أنفسهم مدافعين عن الحضارة. فلم تعد الجحافل الهريرية





تحسين أداء الرأسمالية الاستهلاكية لوظيفتها وتيسيره، وتضمن فكرة كوبر المرء متدينًا نفسها أن يحظى بالاحترام. كما أنها تشجع النظام، وتوفر النوايا الفضالة لهمة قيادة العالم التي تقوم بها الولايات المتحدة وتضمنها.

إن ما يجري نشره الآن، سواء أسمود ديفرغرام ما حرية أم حضارة، هو جزء من عمل قيد التفتيش، كما أنه جوهر التقدم نفسه، فما من موضع في العالم يجد فيه حلم التفتيش موقعًا خصبًا كالذي يجده في أمريكا.

فهل نحن مختلفون اختلافًا كبيرًا بالفعل؟ الغريب أنه في الوقت الذي لم تكن فيه أوروبا وأمريكا على قدر كبير من التشابه من الناحية الثقافية، لم يكن هناك بعدد هائل الانقسام الكبير.

ومع ذلك، ورغم كل التشابهات في حياة المواطنين اليومية في الدول الأوروبية الغربية وحياة الأمريكيين اليومية، فإن الفجوة القائمة بين التجربة الأمريكية والتجربة الأمريكية هيوة حقيقية تقوم على اختلافات مهمة خاصة بالتاريخ، وبالأفكار المتصلة بدور الثقافة، وبالدكرات الحقيقية والتخيلية. ولا يمكن إزالة العداء، فالعداء موجود في المستقبل القريب، رغم النوايا الحسنة لدى كثير من الناس على جانبي الأطلسي. إلا أن المرء لا يسمه إلا أن يرى لحال من يرغبون في تعميق تلك الاختلافات في الوقت الذي نشترك فيه في أشياء كثيرة جدًا.

إن هيمنة أمريكا حقيقة واقعة. ولكن لا يمكن لأمرئيا أن تفعل كل شيء بمفردها. الأمر الذي بدأت الحكومة الحالية تركه الآن، فمستقبل عالمنا ذلك العالم الذي تتنافس مستقبله فوقيق وأطرافه متخطلة. نحن أننا لسنا نعزولين عن بعضنا، ونفقد كل منا إلى أكثر وأكثر.

وفي النهاية يمكن نمودج أي ثقاهم، أو إعادة لضمها إلى مجاريها. في أن نوصل إليه من التفكير بقدر أكبر هي

عُدلت بحيث تشجع «الهويات، التي تتناسب مع الأنشطة الكبرى الخاصة بالتميز والتعاون والافتتاح على التجديد والاستحداث».

رغم أن أهم مصدر للتشدد الأمريكي الجديد (وهو ليس بال جديد جدًا) هو ما كان ينظر إليه على أنه مصدر الفكر المحافظ. أي الدين. وألاحظ الكثير من المحققين أن ربما كان أكبر فرق بين الولايات المتحدة والدول الأوروبية (القديم منها والجديد طبقًا للتمييز الأمريكي الحالي) هو أن الدين في الولايات المتحدة لا يزال يقوم بدور أساسي في المجتمع والخطاب العام، ولكن هذا هو الدين على الطريقة الأمريكية أي فكرة الدين أكثر من الدين نفسه.

صحيح أنه أثناء حملة جورج بوش الانتخابية في عام ٢٠٠٠ خطر ببال أحد الصحفيين أن يطلب من المرشح دكراسم الفيلسوف المفضل، لديه، فكان الرد الذي تلقاه هو: يسوع المسيح. وهو الرد الذي كان سيحفل من أي مرشح لمنصب رفيع من أي حزب من أحزاب اليمين، ولكن في أية دولة أوروبية مادة للضحك. وكان بوش لم يكن يعني بالعلم أنه في حال انتخابه سوف تكون حكومته ملتزمة بأي من المبادئ أو المشرعات أو التشريعات التي قهرها يسوع بالفعل. ولم يفهم أحد أن هذا هو ما يعني.

الولايات المتحدة مجتمع ديني بصورة عامة. ويعني هذا أنه لا يهم في الولايات المتحدة أي دين تعتقد مادام لك دين، أما أن يكون هناك دين سائد، أو حتى حكومة من رجال الدين، أي الدين المسيحي (أو مذهب معين من مذاهب المسيحية)، فأمر مستحيل. وهدد الفكرة الحديثة المسيحية بسببها من مصمم الدين التي نثبت طبقًا للاختبار التجاري، هي أساس التوافق وصلاص الدات والفرعة الأخلاقية الأمريكية التي يخلط الأمريكيين بينها وبين البيورترانية، التطورية، البيورترانية) ومهما كانت العقائد التاريخية التي ترمز الكليات الدينية الأمريكية التي تشتملها، فهي جميعًا تدعو إلى الشيء نفسه، وهو إصلاح السلوك الفردي، وإلى قيمة النجاح، والتعاون بين أفراد المجتمع، والتسامح مع الاختيارات الأخرى. (وهي كل القيم التي تعمل على

الرغبة العرسية في الهيمنة هو، عملية لا بد من فشل أمريكا، America Must Fail، بدلاً من أن يفرقوا أن أية هزيمة أمريكية هي العراق سوف تشجع، الجماعات المسلحة المتشددة، من بغداد إلى أحياء باريس المسلحة، من مواصلة جهادها ضد التسامح والديمقراطية.

في الصف الأول يرى الناس العالم من الناحية القطبية (هم، ونحن)، وهذه الناحية هي الوقت الراهن. لقد تعود الأمريكيون على التفكير في العالم من ناحية الأعداء، فالعداء في مكان ما، ويكاد القتال يكون هناك، دائماً، حيث استعاضوا بالأسلحة الإسلامية عن الشيوعية الروسية والصينية باعتبارها تهديداً لأسلوب حياتنا، كما أن كلمة إرهابي أكثر مرونة من كلمة شيوعي فهي

الممكن أن توجد عدداً أكبر من الممارز والملاحق، وما قد يعنيه هذا أن الحرب لن تكون لها نهاية، مثل سيكون هناك إرهاب ما باستمرار (مثلما سيكون هناك فقر وسرطان على الدوام). ذلك أنه ستكون هناك باستمرار صراعات غير متناهية يستند فيها الجانب الأضعف

ذلك، لشكل من العنف، الذي عادة ما يستهدف المدنيين، وقد يؤدي الخطاب الأمريكي (أو من يمكن المزاخ الشعبي، هذا الاحتمال البيفي، إلا إلى الكفاح من أجل لاستقامة وصلاص الأمور لا ينهت. إن مقبرة الولايات المتحدة، الدولة شديدة التجمع بطريقة يصعب على الأوروبيين سهر غورها، هي أنها ابتعدت شكلًا من أشكال التفكير المحافظ الذي يحمي بال جديد وليس بالقديم، ولكن هذا يعني كذلك أنه مثلما تبدد الولايات المتحدة شديدة المحافظة، على سبيل المثال في الثقة غير العادية الخاصة بالإجماع وسلبية الرأي العام وامتثالهم (كما أشار توكفيل في عام ١٨٣١) وألاعلا، فهي كذلك متشددة، بل وثورية، بأشكال يجد الأوروبيون صعوبة في سهر غورها.

من المؤكد أن جزءاً من العمل يكمن في الفصل بين الخطاب الرسمي والواقع المعلن. فالأمريكيون يمجحون بالتقاليد، على الدوام ويعلمون من شأنها، فالحديث عن القيم الأسرية هو محور كل خطاب سياسي، ومن ذلك نطق ثقافة أخلاق صرراً بالما بالحياة الأسرية، سل والتقاليد كلها، فيما عدا تلك التي



التقابل القديم، أي القديم، والجديد،، ذلك أن التقابل بين الحضارة، والبربرية، يفرض شروطاً يعينها، والتفكير فيه يقصد الأمور، مهما بلغ احتمال كونه يعكس واقعاً معيناً، أما التقابل بين القديم، والجديد، فحقيق، ولا يمكن التمسك عليه، وهو موجود في قلب ما نفهمه على أنه التجربة نفسها.

القديم، والجديد، هما القطبان الأبديان لكل شعور أو إحساس بالتوجه في العالم فنحن لا يمكن أن نحيا بدون القديم، حيث استثمرنا في هذا القديم كل ما حسننا وحكمنا وتذكرنانا وإحساننا بالواقع كما أنه لا يمكننا الحياة بدون الإيمان بال جديد، لأننا نستثمر فيها هو جديد كل طاقنا، وقدرتنا على التناول، ونزوعنا المولوي الأعمى، وقدرتنا على النسيان، وهي القدرة الشافية التي تستلزمها كل أشكال المصالحة لتجديد العقلية إلى الشكل هي الجديد، وسوف تكون الحياة العقلية الجديدة، وسوف تكون مقاومة إلى حد كبير لتكوينها بقوة مقاومة إلى حد كبير لتكوينها، فهم يقولون لنا أن علينا أن نختر، إما اختيار أو الجديد، والواقع أنه من الواجب اختيار الاثنين، فما هي الحياة إن لم تكن سلسلة من المصادفات بين القديم والجديد؟ يبدو لي أنه ينبغي لنا دائماً مناقشة هذه التقابلات شديدة الوضوح باستفاضة.

القديم مقابل الجديد، والطبيعة مقابل الثقافة: ربما كان من المحتم عرض الظواهرات الكبرى الخاصة بحياتنا الثقافية باعتبارها جغرافيا، وليس على أنها تاريخ فحسب، ومع ذلك فهي لا تزيد على كونها خرافات والهوايا مبتذلة وقوابل متعقلة، أما الواقع فهو أعقد من ذلك بكثير.

أضحت جزءاً كبيراً من حياتنا أحول كلف لفرق التفكير التي تخلق القطبية والتقابل، وإذا ما ترجمنا هذا إلى سياسة فهو يعني نعم ما هو تصدي وندوي، وكشأن بعض الأمريكيين والتكثير من الأوروبيين، فإنني أفضل إلى حد كبير العيش في عالم متشدد الأطراف، عالم لا يهزم عليه بل واحد (ربما في ذلك لندى)، وقد عبرت عن رأيي في هذا القترح المزعج أن يكون قرناً آخر من التطرف والرعب، لجموعة كاملة من الاتجاهات الحسنية، وعلى الأخص ما تسميه بيرجينيا وولف، بقيمة التسامح الحزينة.

ولتسمحو لي أن أتكلم أولاً وقبل كل شيء باعتباري كاتبية، وباعتباري على علاقة بعالم الأدب، ذلك أن ذلك وحده هو ما تمكن فيه السلطة الوحيدة التي في أيدنا.



لا تلتق الكتابة التي داخلها في المواضع الصالحة، وبالسيرة الفكرية، والنشطة في مجال الدفاع عن الحقوق. أي تلك الأدوار التي جاء ذكرها في مراة الجائزة، رغم التزامي بها. فالكتابة أكثر شكا، وأكثر شكا في ذاتها، من تلك الإنسانية التي تحاول أن تفعل الشيء الصحيح (وتدعه).

إحدى مهام الأدب هي صياغة الأسئلة وتزويج البيانات المصادمة للتبنيات التقليدية البائدة. وحتى حين لا يكون الفن تقابلياً، فإن الأدب تجذب نحو الضد، فالأدب حوار، وتجاوز. قد يوصف الأدب بأنه تاريخ التجارب الإنسانية مع ما هو حي وما يوشك على الموت حين تتطور الثقافات وتتفاعل مع بعضها البعض.

ويمكن للكتاب أن يفعلوا شيئاً ما مناهضة لتلك الأقوال المبتذلة الخاصة بانفصالنا واختلافنا. ذلك أن الكتاب صناع للحرفات وليسوا ناقلين لها فحسب. ولا يقدم الأدب الحرفات وحدها، بل يقدم كذلك الحرفات المصادمة. ثمما تقدم الحياة التجارب المصادمة أي تلك التجارب التي تكضح ما كنا نلطفه. أو نشعر به أن نعتقد.

أظن أن الكتاب شخص يولي اهتماماً بالعام، وهو ما يعني محاولة فهم الشر الذي تقدر عليه الكائنات البشرية واستيعابه والاتصاف به، ولا يفسد هذا الفهم الكتاب ويجعله مستهتراً وسطيحاً.

فالأدب يخبرنا بما عليه العالم كما يقدم المظاهر ويعتبر المعرفة العميقة الجسدية في العلم وفي السرد. ويمكن للأدب أن يدبر قدرتنا على البكاء على من ليسوا نحن أو منا ويعرضها.

من هناك نكون إن نحن نتعاطف مع من هناك إن أمنا من هناك نكون إن لم نكن أنفسنا، البعض الوقت على الأقل؟ من هناك نكون ما لم يكن يتقدمون أن نعلم، وأن نغفر، وأن نصبح شيئاً غير ما نحن عليه؟



طعوتني، وأعطى بذلك وحشية ألمانيا. والكتب الألمانية والموسيقى الألمانية التي أحبتها وكانت بالنسبة لي المعيار لما جاد ومكثف.

وحتى قبل داخ ويتهوه وشوبيرت وبرامز، كانت هناك بضعة كتب ألمانية. أذكر أراحد المربين في المدرسة الألمانية في بلدة صغيرة ببارنوزا، وهو مستر ستارك الذي أثار الرهبة في نفوس تلاميذه بإخبارنا أنه حارب مع جيش بيرش في المكسيك ضد بانشو بيا ويبدو أن ذلك الحارب القديم ذو الشعر الأشهب الذي شوارك في إحدى المعارك الاستعمارية الأمريكية المبكرة. تأثر من خلال المترجمات. بمناخية الأدب الألماني.

بعد وقت قصير، وأثناء نهدي الشديد للثناء لماركس، فإذني المصادفة إلى كتب ألمانية أخرى بينتها، في المستوطنة العقابية، حيث اكتشفت العرب والظلم. وبعد ذلك بضع سنوات، حين كنت طالبة في المدرسة الثانوية بلس أنجلوس، وجدت أوروبا كلها في رواية ألمانية. فلم يكن هناك كتاب أهم في حياتي، من "الحرب المجرى" الذي كان موضوعه على وجه التحديد هو صراع المثل في قلب الحضارة الأوروبية. وهكذا كان الحال خلال حياة طويلة مشبعة بالتناقض الألمانية الرشيعة والواقع أنه بعد الكتب والموسيقى، التي كانت تجارب سرية بالفعل في ظل الصحراء الثقافية التي عشت فيها. جاءت التجربة الحسية، فإلائي مستعمدة متأخرة كذلك من الفشتات الثقافي الألماني، فقد كان لي حظ معرفة بعض لأجني فكر الذين كانوا على قدر كبير من النبع، معرفة جيدة، وكان هؤلاء هم الكتاب والفنانون والموسيقيون الذين استقبلهم أمريكا كإستار من ثلاثينيات القرن العشرين، وعلى الأخص في هاجها، واسمحوا لي أن أذكر اثنين خصائي أن يكون لي عداد أصدقائه. حين كنت في نهاية عهدي الثاني وبداية العقد الثالث، وهما هارز جند وهيربرت ماركوزه، وهؤلاء الذين صدمتهم في جامعة شيكاغو وفي هارفارد، وحنا أرندت التي التفتت بها في نيويورك.

ولنعد إلى حين كنت طفلة في العاشرة من عمرها تجد بعض الراحة من الواجبات المتعبة الخاصة بكونها طيلة عندما تقرا تسعين نسخ مستر ستارك المزعقة من عملي جوده وتشترمو في ذلك الوقت التي اتحدت عنه، وهو عام ١٩٤٢، كنت أعرف أن هناك معسكراً للأسرى في الجزء الشمالي من الولاية به الآلاف من الجنود الألب، وكنت أحسبهم بالطبع جنوداً نازيين. ولعرفتني بآني يهودية (أسماء فقط، حيث كانت عائلتي علمانية تماماً وكان قد جرى استيعابها من قبل، ولكن كنت أعرف، ان اسمها فيها الكيمياء بالنسبة للمربين) فقد كان يثنائي كدوس منكر يهرب من الجيوش النازيون من الأسر ويشترط طريقه عبر الولاية التي حيث يوجد كوخ على أطراف البلدة اعيش فيه مع أمي وأختي ويوتشون ان يتكلمون.

ولستقدم إلى سنوات عمري اللاحقة، للماربين) فقد كان يثنائي كدوس منكر يهرب من الجيوش النازيون من الأسر ويشترط طريقه عبر الولاية التي حيث يوجد كوخ على أطراف البلدة اعيش فيه مع أمي وأختي ويوتشون ان يتكلمون.

ولستقدم إلى سنوات عمري اللاحقة، للماربين) فقد كان يثنائي كدوس منكر يهرب من الجيوش النازيون من الأسر ويشترط طريقه عبر الولاية التي حيث يوجد كوخ على أطراف البلدة اعيش فيه مع أمي وأختي ويوتشون ان يتكلمون.

في إحدى المرات التي كنا فيها معا، قال فريش إن بيريد أن يخبرني، مفترضاً، كما أظن، أن هذا شرط لأية صداقة قد تنشأ بيننا. فما فعله أثناء الحرب، قلت له إنه ليس مفترضاً من الناحية الأدبية تقديم مثل هذا القصص، إلا أنني تأثرت بالطبع بإتارته للموضوع، وبنيتي أن أشير إلى أن فريش أرادول لم يكن وحده الألماني الذي يتنمى إلى جملة من الألمان (هو من مواليد ١٩١٦) الذين كان الواحد منهم يصدر بعد ثلثين مباشرة على أن يحكي لي عما فعله أثناء الحرب ولم تكن كل القصص سرية براءة ما سمعته من فريش.

على أية حال فإن ما رواه لي فريش هو أنه كان طالباً بالجامعة يدرس الأدب والتاريخ، في ميونخ أولاً ثم في كولونيا بعد ذلك، حيث جند أنه في بداية الحرب برتبة عريف في القوات المسلحة الألمانية Wehrmacht. لم تكن أسرته نازية بحال من الأحوال، فقد كان والده كارل أرادول



رسم كاريكاتير سياسي أسطوري في صحيفة سيمبلسيموس Simplexsimus إلا أنه بدأ ان الهجرة كانت غير واردة، وقس على من مضى الاستدعاء للخدمة العسكرية، ما لا يقلل أحداً أو يستل أحد.

كان فريش واحداً من المحظوظين، كان محظوظاً لأنه تشاركوا في روما (حيث رفض دعوة الضابط الأعلى منه فريش إلى رتبة ملازم)، ثم في تونس وكان محظوظاً لأنه ظل خلف الخطوط ولم يطلق النار من سلاحه قط، وأخيراً كان محظوظاً لأن كانت تلك في الكلمة الصحيحة لأن الأيريكسور في عام ١٩٤٢، وأن تنقله سبيلته عبر الأطلسي مع غيره من الجنود الأيريكسور الأسرى إلى سوريولك بولاية فيرجينيا، ثم نُقل بالقطار عبر القارة ليطفي بفترة فترة الحرب في معسكر الأسرى في بلدة صغيرة تسمى ريرونا.

حينذاك سرني أن أقول له: وأنت أنتهت تعجب، لأنه أنشئ كنت قد بدأت بالفعل أصعب هذا الرجل، وكانت تلك بداية عداية عظيمة وكذلك علاقة همنية مكثفة. لأنه بينما كان هو أسيراً في شمال أريزون، كنا أنا في جنوبها اشعر بالربص من الحudson السائرين الذين كانوا هناك. أقعد هنا، ولم يكن منهم مهرب.

قال لي فريش إن ما هو عليه فترة الثلاث سنوات تقريبا التي أمضاها في معسكر الأسرى في أريزون هو السباح له الوصول إلى الكتب، فقد أمضى تلك السنوات الثلاث في قراءة الأعمال الكلاسيكية الإنجليزية والأمريكية وإعادة قراءتها، هي حين أحبرته أنا أن ما أقدني كتمتد في أريزون تنتشر أن تكبر، وتنتشر الهروب إلى عالم أكبر، هو قراءة الكتب، الكتب المترجمة وكذلك المكتوبة بالإنجليزية.

كان الوصول إلى الأدب، وأقصد الأدب العالي، هروبا من سجن الغرور القومي، وسجن الشرعة المبتذلة، وسجن المحبة الإجباري، وسجن التعليم المدرسي المارح، وسجن الأقدار النافضة وسوء الحظ، كان الأدب جواز المرور لدخول الحياة الأكبر أي منطقة الحرية كان الأدب هو الحرية، ويكون الأدب هو الحرية على وجه الخصوص في الزمن الذي تواجه فيه هيم الضراء والاستغراق في الحياة العقلية والروحية تحدياً صعباً.



■ تعتبر تجربته التنموية في ماليزيا حرية مهمة بالنسبة للبلدان الحرة باعتبارها تجربة تمت في بلد إسلامي بهدف التنمية والنهوض الاقتصادي. في ظل سياسة منفتحة على العالم الخارجي، وتستمد هذه الحرية خصوصيتها من أنها محاولة جريئة للدخول في دائرة العولمة مع الحفاظ على درجة كبيرة من هاشم الوطنية الاقتصادية. ولقد نجح تطبيق تلك المبادئ الصعبة في ظل القيادة الحكيمة لرئيس الوزراء الماليزي الدكتور محاضير محمد، حيث ركز قيادة محاضير محمد منذ عام ١٩٨١ على ثلاث النواحي: التحديث، التصنيع، باعتبار تلك القضايا الثلاث أولويات اقتصادية وطنية. كما تم التركيز على مفهوم «ماليزيا كشراسة» (Malaysia Incorporated)، أي باعتبارها شراكة بين القطاع العام والقطاع الخاص، من ناحية، وشراكة بين الأعراق واللغات الاجتماعية المختلفة التي يتشكل منها المجتمع الماليزي، من ناحية أخرى.

ويعتبر «محاضير محمد» إحدى القادات التاريخية في العالم الثالث التي تسلمهم روح بانموتج. وقد نأكلت هذه الروح في صيف ١٩٩٧، عندما اصطدمت المصالح الوطنية الاقتصادية الماليزية في النمو والتطور لمسلبيات العولمة. ولا سيما في ظل عمليات العولمة المالية، حيث أدت حركة رؤوس الأموال القصيرة الأجل، الأموال الساخنة، إلى الأزمة المالية المرحومة في صيف ١٩٩٧. الأمر الذي أدى إلى قيام محاضير محمد بالتمرد على قواعد العولمة، والقيام بإجراءات أوائل سبتمبر ١٩٩٨ الشهيرة التي أدت إلى فرض القيود على خروج رؤوس الأموال القصيرة الأجل التي تقودها روح المضاربة. وتم تثبيت سعر صرف العملة الماليزية، وتخفيض أسعار الفائدة بهدف الدفاع عن الاقتصاد القومي ونعاشه وإخراجه من دائرة الأزمة. ورغم محاولة العرب ودوائر المال العالمية إثارة الاضطرابات السياسية لزعزعة نظام محاضير محمد، تحت شعار حركة الإصلاح السياسي (Reformasi)، في محاولة للانتقام منه

باعتباره يصرب مثلاً في حثي في عدد من البلاد النامية في مجال التمرد على قواعد العولمة وعدم الانصياع لبرامج صندوق النقد الدولي، في عملية الإنقاذ المالي والخروج من الأزمة، على غرار ما حدث في نيبالاند وإندونيسيا وكوريا الجنوبية. فلقد نجحت ماليزيا في تجاوز الأزمة، وواصلت مسيرة التنمية بشروطها الوطنية.

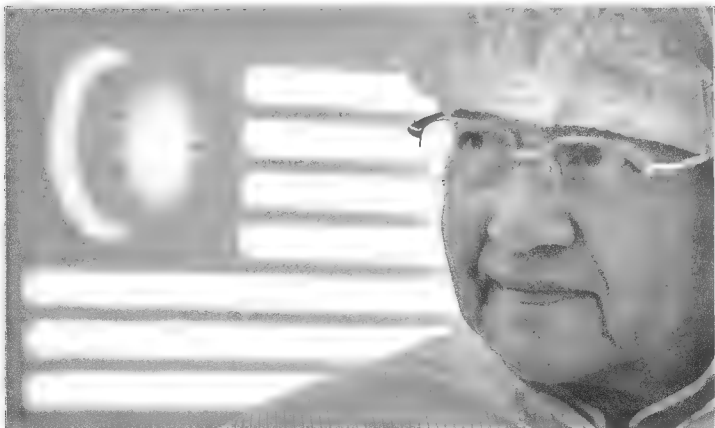
## [ ٢ ]

بدأت مسيرة التنمية في ماليزيا غداة الحصول على الاستقلال عام ١٩٥٨، حيث تم اللجوء إلى الاستراتيجيات التنموية وهي الإحلال محل الواردات، وكانت البداية التركيز على صناعات السلع الاستهلاكية التي كان معظمها مملوكاً لشركات أجنبية، وسرعان ما تبين قصور استراتيجية الإحلال محل الواردات، كمحور أساس لعمليات التنمية المتواصلة، نظراً لصيق السوق المحلية وضعف حجم الطلب المحلي، الذي عزز في ضلعه سوء توزيع الدخل

بين فئات المجتمع المختلفة وزعم تحقيق قدر من التوزيع في منتجات القطاع الزراعي، فقد ظلت عمليات التصنيع خلال الستينيات محدودة ولم تحقق طفرة كبيرة في حجم العمالة والقيمة المضافة.

وقبل وصول «محاضير محمد» إلى السلطة، تم إنجاز الخطة الماليزية الثانية ١٩٧١، ١٩٧٥، والخطة الماليزية الثالثة ١٩٧٥، ١٩٨٠. وقد اتسم التحول في هذه الفترة بتطوير دور الدولة التدخلية، وتوسع رقعة القطاع العام في الحياة الاقتصادية الماليزية. ولقد ساعدت الزيادة في عائدات النفط في تمويل الحجم المتزايد للنفقات العامة. كما شهدت تلك الفترة بداية النشوء التصديري في عمليات التصنيع، حيث بدأ التركيز على صناعة المكونات الإلكترونية وبعض المنتجات التصديرية الأخرى. وقد اتسمت هذه الصناعات التصديرية بأنها كثيفة العمالة، مما نتج عنه التوسع الكبير في حجم العمالة، وبالتالي انخفاض معدل البطالة وتحسين إنتاجية العمل. كما رافق هذه الميزة تحسين توزيع الدخل والثروات

## الطيب





من الأعراف المختلفة التي يتكون منها المجتمع الماليزي. ولا سيما في ما بين النخبة الصينية، التي كانت تسيطر على معظم نشاط الأعمال في الاقتصاد الماليزي خلال فترة الاستعمار البريطاني. والسكان ذوي الأصل المالاي الذين يشكلون الأغلبية.

ثم بدأت فترة التصنيع الكثيف في الثمانينيات، وكانت لخطّة المائرية الرابعة (١٩٨١، ١٩٨٥) تمثّل بداية مسيرة التنمية التي تمّ تصميمها في ظل قيادة محاضر محمد حيث تركزت عملية التنمية في محورين:

❖ موجة جديدة من الصناعات التي  
تقوم بعملية الإحلال محل الواردات.  
❖ الصناعات الثقيلة في إطار ملكية  
الحكومة العام

وتمثل هذه الفترة مرحلة تعميق القاعدة الصناعية في الاقتصاد الماليزي. قبل الانطلاق إلى آفاق التصدير الحديدة

ثم دخل مشروع -محاضير محمد  
دائرة التطبيق بجدة خلال الفترة ١٩٨٧  
٢٠٠٠، إذ اتمت تلك الميزة بإحار ثلاث  
خطوط خمسة مترابطة وهي: الخط

المالية الخامسة ١٩٨٦-١٩٩٠. خطة  
المالية السادسة ١٩٩١-١٩٩٥. الخطة  
المالية السابعة ١٩٩٦-٢٠٠٠.

وهكذا شهدت الفترة الممتدة بين منتصف الثمانينيات ونهاية التسعينيات تطوراً مشروعاً معاصرياً سمح في التنمية الاقتصادية المفتوحة على العالم الخارجي، من دور التحلل من قوميات الوطنانية الاقتصادية، وقد ميزت هذه الفترة ازدهار القطاع الخاص وتحريره وإصلاحه المزيد من الحوافز على الاستثمار والمشاركة الفعالة في عملية التنمية. كما بدأ السماح لراس المال الأجنبي بالعمل الاستثماري في اقتصاد الليزاري وفقاً لضوابط معينة، وقد أدت هذه الحزمة من السياسات إلى تشجيع عمليات النمو الصناعي وتحقيق التوجه التصديري في عمليات التصنيع.

✦ تحديث البنية التحتية للاقتصاد

❖ مزيد من التعاون الاقتصادي  
الاقليمي في إطار مجموعة بلدان

الأسيان.

الماليزيين من ذوي الأصول المالايوية،

العملات، غير مريرة وغير منتجة ولا أخلاقية. حسب نص قوله بل إن تلك المصاريف تصبح أكثر مخلوقة وضراً في حالة البلدان النامية المنحصة على السوق العالمية التي لا تحتمل تلك النزات في قيمة عملاتها. وما يصاحب ذلك من اضطرابات اقتصادية تفسد جوهر الاقتصاد الحقيقي. وبندقاته العنصرية من عمالة وبساح واستيراد وتصدير

وقد أثارت تسميرجات، محاسن  
 محمد. وتهددنا بهايح دوائر المال  
 والعملة. وماتت العمليات التبادلية  
 تتناهي في خلال مزيد من الخالص من  
 العملة الجزائرية والمسلمة المقومة بالمولد  
 في سوق المال والاهم في التمايز  
 العرصة تختص في نوعات التهور في  
 اوضاع الاقتصاد المائري مستظلا من  
 مؤسسة اقتصاد اند سور لي تقوم  
 بتقويم محاضر الاستثمار في البلدان  
 النامية. قامت بتحسين مرفقة المال  
 لاصلة لاضهر قسط من الاقتصاد  
 ايجابي الى اقتصاد مستقر تج الى  
 مرفقة الاقتصاد سلسي  
 كانت لعل الخطة المخططه تهدد في

## الذي فهمه جراح مالي

محمود عبد الفضيل

شهدت الفترة الممتدة  
بين منتصف الثمانينيات  
ونهاية التسعينيات، تبلور مشروع  
محاضير محمد في التنمية الاقتصادية  
المنفتحة على العالم الخارجى، من دون  
التخلى عن مقومات الوطنية الاقتصادية.  
وقد تميزت هذه الفترة بإفصاح المجال  
للقطاع الخاص وتشجيعه وإعطائه  
المزيد من الحوافز على  
الاستثمار المشاركة

1528

تجارت وازدواج را که هم سیاسی تحریر  
 علی الصفاهی لفسح الارض المصارعة  
 الجامعة عن عمليّات التحرير لالی لی  
 ان بعض الصحف الجبرية والمجلات  
 المتكسلة تتحدث عن هضام المصارعة  
 وان الهضم لا يتجود الى سوء الذاكرة  
 الاقتصادية في المصاراة وانى لیس فی  
 صنع المصارعة الغالیین حتی ان مجلة  
 الاکسپوسیت الغالیین وجهت حدی  
 اعتقادها لانی ان مصاصیر مصمم  
 یثون . علی ان تعلم ان نجد جورج  
 فی التمدد الى جورج سورس شامبار  
 کفر باعتماد ان تلك فی قواعد اللعبة.  
 لکنا فحسب ان تلك فی الصلوات وسواق  
 الاسهم والسندات علی التمدد  
 لمتعاضدات المستثمرین والاجاب: فلا  
 کفر بعد ذلک فی مصاصیر:

1996, 1997, 1998, 1999, 2000, 2001, 2002, 2003, 2004, 2005, 2006, 2007, 2008, 2009, 2010, 2011, 2012, 2013, 2014, 2015, 2016, 2017, 2018, 2019, 2020, 2021, 2022, 2023, 2024, 2025, 2026, 2027, 2028, 2029, 2030, 2031, 2032, 2033, 2034, 2035, 2036, 2037, 2038, 2039, 2040, 2041, 2042, 2043, 2044, 2045, 2046, 2047, 2048, 2049, 2050, 2051, 2052, 2053, 2054, 2055, 2056, 2057, 2058, 2059, 2060, 2061, 2062, 2063, 2064, 2065, 2066, 2067, 2068, 2069, 2070, 2071, 2072, 2073, 2074, 2075, 2076, 2077, 2078, 2079, 2080, 2081, 2082, 2083, 2084, 2085, 2086, 2087, 2088, 2089, 2090, 2091, 2092, 2093, 2094, 2095, 2096, 2097, 2098, 2099, 2100, 2101, 2102, 2103, 2104, 2105, 2106, 2107, 2108, 2109, 2110, 2111, 2112, 2113, 2114, 2115, 2116, 2117, 2118, 2119, 2120, 2121, 2122, 2123, 2124, 2125, 2126, 2127, 2128, 2129, 2130, 2131, 2132, 2133, 2134, 2135, 2136, 2137, 2138, 2139, 2140, 2141, 2142, 2143, 2144, 2145, 2146, 2147, 2148, 2149, 2150, 2151, 2152, 2153, 2154, 2155, 2156, 2157, 2158, 2159, 2160, 2161, 2162, 2163, 2164, 2165, 2166, 2167, 2168, 2169, 2170, 2171, 2172, 2173, 2174, 2175, 2176, 2177, 2178, 2179, 2180, 2181, 2182, 2183, 2184, 2185, 2186, 2187, 2188, 2189, 2190, 2191, 2192, 2193, 2194, 2195, 2196, 2197, 2198, 2199, 2200, 2201, 2202, 2203, 2204, 2205, 2206, 2207, 2208, 2209, 2210, 2211, 2212, 2213, 2214, 2215, 2216, 2217, 2218, 2219, 2220, 2221, 2222, 2223, 2224, 2225, 2226, 2227, 2228, 2229, 2230, 2231, 2232, 2233, 2234, 2235, 2236, 2237, 2238, 2239, 2240, 2241, 2242, 2243, 2244, 2245, 2246, 2247, 2248, 2249, 2250, 2251, 2252, 2253, 2254, 2255, 2256, 2257, 2258, 2259, 2260, 2261, 2262, 2263, 2264, 2265, 2266, 2267, 2268, 2269, 2270, 2271, 2272, 2273, 2274, 2275, 2276, 2277, 2278, 2279, 2280, 2281, 2282, 2283, 2284, 2285, 2286, 2287, 2288, 2289, 2290, 2291, 2292, 2293, 2294, 2295, 2296, 2297, 2298, 2299, 2300, 2301, 2302, 2303, 2304, 2305, 2306, 2307, 2308, 2309, 2310, 2311, 2312, 2313, 2314, 2315, 2316, 2317, 2318, 2319, 2320, 2321, 2322, 2323, 2324, 2325, 2326, 2327, 2328, 2329, 2330, 2331, 2332, 2333, 2334, 2335, 2336, 2337, 2338, 2339, 2340, 2341, 2342, 2343, 2344, 2345, 2346, 2347, 2348, 2349, 2350, 2351, 2352, 2353, 2354, 2355, 2356, 2357, 2358, 2359, 2360, 2361, 2362, 2363, 2364, 2365, 2366, 2367, 2368, 2369, 2370, 2371, 2372, 2373, 2374, 2375, 2376, 2377, 2378, 2379, 2380, 2381, 2382, 2383, 2384, 2385, 2386, 2387, 2388, 2389, 2390, 2391, 2392, 2393, 2394, 2395, 2396, 2397, 2398, 2399, 2400, 2401, 2402, 2403, 2404, 2405, 2406, 2407, 2408, 2409, 2410, 2411, 2412, 2413, 2414, 2415, 2416, 2417, 2418, 2419, 2420, 2421, 2422, 2423, 2424, 2425, 2426, 2427, 2428, 2429, 2430, 2431, 2432, 2433, 2434, 2435, 2436, 2437, 2438, 2439, 2440, 2441, 2442, 2443, 2444, 2445, 2446, 2447, 2448, 2449, 2450, 2451, 2452, 2453, 2454, 2455, 2456, 2457, 2458, 2459, 2460, 2461, 2462, 2463, 2464, 2465, 2466, 2467, 2468, 2469, 2470, 2471, 2472, 2473, 2474, 2475, 2476, 2477, 2478, 2479, 2480, 2481, 2482, 2483, 2484, 2485, 2486, 2487, 2488, 2489, 2490, 2491, 2492, 2493, 2494, 2495, 2496, 2497, 2498, 2499, 2500, 2501, 2502, 2503, 2504, 2505, 2506, 2507, 2508, 2509, 2510, 2511, 2512, 2513, 2514, 2515, 2516, 2517, 2518, 2519, 2520, 2521, 2522, 2523, 2524, 2525, 2526, 2527, 2528, 2529, 2530, 2531, 2532, 2533, 2534, 2535, 2536, 2537, 2538, 2539, 2540, 2541, 2542, 2543, 2544, 2545, 2546, 2547, 2548, 2549, 2550, 2551, 2552, 2553, 2554, 2555, 2556, 2557, 2558, 2559, 2560, 2561, 2562, 2563, 2564, 2565, 2566, 2567, 2568, 2569, 2570, 2571, 2572, 2573, 2574, 2575, 2576, 2577, 2578, 2579, 2580, 2581, 2582, 2583, 2584, 2585, 2586, 2587, 2588, 2589, 2590, 2591, 2592, 2593, 2594, 2595, 2596, 2597, 2598, 2599, 2600, 2601, 2602, 2603, 2604, 2605, 2606, 2607, 2608, 2609, 2610, 2611, 2612, 2613, 2614, 2615, 2616, 2617, 2618, 2619, 2620, 2621, 2622, 2623, 2624, 2625, 2626, 2627, 2628, 2629, 2630, 2631, 2632, 2633, 2634, 2635, 2636, 2637, 2638, 2639, 2640, 2641, 2642, 2643, 2644, 2645, 2646, 2647, 2648, 2649, 2650, 2651, 2652, 2653, 2654, 2655, 2656, 2657, 2658, 2659, 2660, 2661, 2662, 2663, 2664, 2665, 2666, 2667, 2668, 2669, 2670, 2671, 2672, 2673, 2674, 2675, 2676, 2677, 26

بيد ان تمت المناوشات كانت تشير الى ما هو اعمق وأخطر من تطورت هي بنية الاقتصاد العالمي الجديد، وهو ان حجم الاتجار في العملات قد فاق بما يقاس

## !-زنگنه

حجم التجارة الحقيقية في السلع والخدمات في السنوات الأخيرة الكبيرة. في عام ١٩٩٥، على سبيل المثال، كان حجم التجارة في تجارة العملات يصل إلى ٢.٧ تريليون دولار أمريكي في اليوم الواحد، وهذا ما يمثل ٥٠ ضعفاً من قيمة التجارة الدولية في السلع والخدمات، بينما كان هذا الرقم يصل إلى ستة أضعاف فقط في أوائل السبعينيات. ولذا فإن الجانب الأكبر من التفاعلات العالمية في مجال الإنجاز في العملات والأسهم والسندات تحكمه قرارات المضاربين أو من يمثلهم في وكلاء محدد.

ورافق هذا التطور حصول محاصير  
 محتملة على الصعيد نظري. فم من أحد  
 كبار الاقتصاديين العرب، محمد  
 كروجمان أستاذ الاقتصاد المرموق في  
 معهد ستانفورد للتكنولوجيا (MIT)  
 الذي حصد لجوائز الميدان الآسيوية التي  
 تعاني من أزمة مالية حادة إلى فرص  
 قبو له ومنع العمل على حركة دول  
 وخروج دول الأموال الصاعدة  
 الأجل. إذ قال: «إذا كانت التغيرات  
 مشتعلة في بيتك، فلا تمسك بغير  
 من الزيت لإطيان الحريق، من خلال  
 فتح أبواب الاقتصاد الوطني على  
 مصراحيه أمام الغرب من هجمات  
 الصابرة والغامبة»

المائتين<sup>1</sup>



## [ ٤ ]

كذلك كان أهم ما ساعد محاضير محمد - هو أنه تحرر من قيود ومشروعية صندوق النقد الدولي التي تضمنتها برامج الإنقاذ في إندونيسيا، وتايلاند وكوريا الجنوبية ومن هنا فقد كانت له حرية الحركة والأجتهاد، دون أن تكون يد مدهولة كما هو الحال بالنسبة لصانعي القرار في البلدان المجاورة.

وقد أثبتت التطورات اللاحقة نجاحا نسبيا للسياسات الاقتصادية التي طبقها، محاضير محمد وهرقية، إذ:

- قد أزيلت أسعار الأسهم في بورصة كوالالمبور، عاصمة ماليزيا
- زادت أرباح الاستثمارات الأجنبية المباشرة طويلا الأجل، أهم ربحيون باستقرار سعر الصرف للعملة الماليزية، وأن عدم تقلبات سعر الصرف يساعد على تحصيل الاستثمارات واستقرار المعاملات بشكل الفصل.

وكيمس، عنصر المهارة، في حزمة السياسات التي طبقها الطاقم الاقتصادي الماليزي رغم ما تنطوي عليه من مخاطر هي أن تخفيض سعر الفائدة، تزامن مع تثبيت سعر الصرف للعملة الوطنية، وقطع الطريق على المصارف في العملة والأسهم الماليزية في خلال وقف التعامل على العملة والأسهم في الأسواق الخارجية، وبالتالي عزلها مؤقتا عن غارات المضاربين والمغامرين المالبين الذين يستفيدون من صفقات الاقتصاد الوطني في لحظات الأزمة.

كذلك تمت مطالبة المواطنين الماليزيين بإعادة توطين أرصدهم من العملة الوطنية المودعة في البنوك الخارجية في موعد اقصاد شهران من تاريخ القرارات، حتى لا تكون ساحة للمضاربين في الخارج، وتضع مزيد من السيولة في الاقتصاد المحلي. وقد تم تخفيض نسب الإحتياط التي تحتفظ بها البنوك لدى البنك المركزي، الأمر الذي يساعد على منح مزيد من السيولة والتوسع في الإقراض لمشروعات المنفعة، ذات الطائفة التصديرية الحيدة.

حيث توجد تجارة ومعاملات مالية بين مواطنين وتجار ومستثمرين من تلك البلدان وماليزيا.

وهكذا فإن محاضير محمد، كان يسير على حبل مشدود، لأن سياساته الجديدة تقوم على توازن دقيق بين العام، والخاص، من ناحية، وبين الداخل، والخارج، من ناحية أخرى، وخاصة في بلد قطع بعض الشوط في مجال الانفتاح على آليات السوق. ولذا أخذ الجميع يرقب هذه التجربة باهتمام كبير، وهناك من كان يتمنى لها النجاح ويتعاطف معها كما أعرب عن ذلك العديد من السنغوليين في الصين وتايلاند، وإندونيسيا، وتايوان، وكذلك العديد من بلدان العالم الثالث، وكان هناك اخرون ممن يتعمقون لها المثل الدريع في دوائر المال العربية، لتكون عبرة لكل من يريد التعمد على قواعد العولة وشبكاتها العنكبوتية.

وقد ركزت الولايات المتحدة هجومها على محاضير محمد، وقد أخذ الهجوم شكلا دراميا على لسان نائب الرئيس الأمريكي آل جور، في خطاب القاه في مائدة غداء عتبة الانفتاح الرسمي لعمالق المتحدة الاقتصادية، إريك، المنعقد في العاصمة الماليزية كوالالمبور، إذ احتل نائب الرئيس الأمريكي خطابا طويلا وراس وجه فيه التحية للمعارضين الشجعان الذين يطالبون بالإصلاح السياسي (Reform) في ماليزيا، ويعارضون حكم وقيادة محاضير محمد، ورئيس الوزراء وزعيم الحزب الحاكم وكانت لهجة الخطاب تمثل تحديا سافرا للمولة



**أخذ الجميع يرقب هذه التجربة باهتمام كبير. وهناك من كان يتمنى لها النجاح ويتعاطف معها. وكذلك كان العديد من بلدان العالم الثالث. وكان هناك آخرون ممن يتعمقون لها الفضل الدريع في دوائر المال الغربية**



المصيبة وقياداتها السياسية، إذ إن إلقاءه تم في حضور رئيس الوزراء، محاضير محمد، نفسه.



وقد أثار هذا الخطاب سلسلة من ردود العمل الغاضبة والصاخبة داخل ماليزيا وخارجها، بما في ذلك بين أعضاء الوفود الآسيوية التي تحضر أعمال المنتدى، واعتبر المراقبون الحاديون أن نائب الرئيس الأمريكي لم يحسن تقدير الموقف، ومارس غطرسة القوة، دون أدنى لياقة أو اعتبار لأصول الدبلوماسية. وقد عبرت السيدة، رافيه عزيز، وزيرة التجارة الماليزية، عن دهشتها واشتدازها مع ما جاء في خطاب نائب الرئيس الأمريكي، وقالت في تصريح فوري، أنها تتحدى ألا تعيش لكي تستمع إلى مثل هذه الخطابات الوحشة وغير اللائقة مرة أخرى في حياتها، ولطابع لم يأخذ أحد مآخذ الجدد دفاع نائب الرئيس الأمريكي آل جور، الحار من الديمقراطية، وحقوق الإنسان، والتعددية، في آسيا. وأنها ضرورة لدعم عمليات، الانعاش الاقتصادي، على حد قوله، فانسجل الأمريكي في هذا المجال لا يؤيد موقفا ميديا ناسا بهذا الصدد، بل على العكس لم تحرك الولايات المتحدة ساكنا عندما وقع انقلاب عسكري قاده بشوويشي، في تشيلي عام ١٩٧٣ ضد حكومة منتخبة بإرادة الشعب الحرة، وتم قتل رئيس الجمهورية المنتخب سالغادور آليندي، في قصره الرئاسي، وكذلك كان الحال في إندونيسيا، عندما قام الجنرال سوارتو، بانقلابه العسكري الدموي عام ١٩٦٥، الذي ذهب ضحيته عشرات الآلاف من السياسيين والكواذ المهمة في إندونيسيا، وكلها أحداث جسام، تم فيها اغتيال الديمقراطية وانتهاك حقوق الإنسان ووحشية وفق وضع النصار.

هالكل كان يعلم أن جوهر الخلاف مع ماليزيا، والسبب الحقيقي وراء تصعيد الضغوط على قياداتها السياسية الزاهية، هو الصيق الشديد للولايات المتحدة ودوائر رأس المال المالي العالمي من السياسات الاقتصادية التي تتبعها حكومة ماليزيا منذ بداية سبتمبر ١٩٩٨ لحماية اقتصادها الوطني من غارات المضاربين، ومحاولة تنشيط والنعاش الاقتصادي الوطني باستقلالية بعيدا عن مشروعية صندوق النقد الدولي، إذ إن نجاح هذه التجربة، سوف يحرض العديد





www.elsociedad.com  
 ٢٥ ٢٠٢٣  
 وشركة الحقوق، بمن فيهم أفراد، جمعية الحقوق ٢٥ في الجمعية عمل رقم ١٩ في الحقوق، ٢٥ ٢٠٢٣  
 ٢٥ ٢٠٢٣  
 ٢٥ ٢٠٢٣

٣٤ عاماً في خدمة الثقافة العربية



من منشوراتنا

سعادة السفير، رواية	شاذى عبد الرحمن القصصى
السلطة والمعارضة فى الإسلام	زهير هوانى
الأعمال الروائية (مجلدان)	مؤنس الرزاز
الزيتونة	سعيد الفوده جوى
موسوعة نظما الجميلة (مجلدان)	هالى الوباب
الحركة الوطنية الفلسطينية	سفر أبو فخر
قصص المتدينين	يوسف الشبراوى
مفهوم المجتمع السكبرى العربى فى مصر وبلاد الشام	شكر الخانساسى
التوثيق الأساسى فى الأنظمة الجمهوريه العربيه	د. خليل احمد ديب

مكتبة الكيال  
KAYYALI BOOKSHOP

2

بيروت، الصليبي، شارع ليون، جالية عيد بن سالم، تليفون: ٧٥١٤٣٨ / ٧٥٢٣-٨  
صمان، الشحيصاني، شارع عبد الحميد شومان، بئرا سنن، هاتف: ٥٦٨٥٥٠١، تليفون: ٥٦٨٥٥٠١  
إيريد الإلكتروني: makiyvali@nets.com.jo

على مساعدات اقتصادية أو للتنمية من الولايات المتحدة، وهنا يكمن سر قوتها في مقاومة الضغوط الخارجية، ولا سيما الضغوط الأمريكية.

و قد ظلت المرأة في اثار الاستعمار  
والدخول الخفية بدءاً من البرتغاليين  
ثم الهولنديين والبريطانيين، لآثار  
محاضر محمد، طوال حياته. وقد  
كتب في محاضرات محمد، عام ١٦٥٠. ودرس  
الطب في سنغافورة، وقد لوطه لمراسلة  
الطب في إطار وزارة الصحة الماليزية. ثم  
استطاع ان يجمع بين دراسة الطب  
في مسقط رأسه (Alor Star).

وكان محاضر محمد، قد كتب  
لمراسلة المصلحة من خلال نشر كتابه  
عضوية ماليزيا، عام ١٩٧٠، حيث دعا  
نضالاً ضد دخول المرأة بشكل جلي خارج  
من حالة التخليق في ماليزيا. وقد تم منح  
منه الكتاب من التدوير. الامر الذي اشار  
في موبلاي في ذلك الوقت.



وكان، محاضير محمد، معتمداً طوال حياته، سواء في الداخل أو في الخارج، ككتب عام ١٩٦٩ خطباً بديداً شديد الحجج إلى رئيس الوزراء آنذاك، تشكو عبد الرحمن، الأمر الذي أدى إلى طرده من الحزب الحاكم (UMMO)، ثم أعيدت إليه عضويته في الحزب عام ١٩٧٧. ومنذ عام ١٩٧٤، تقدر تماماً للعمل السياسي حتى وصل إلى منصب رئيس الوزراء في ١٢ يوليو عام ١٩٨١ حتى تقاعده.

ولعل آخر أعمال «محاضير محمد» الذي يعتبر بمثابة المؤلف الوصية، هو (New Deal for Asia A)، حيث يطرح محاضير محمد، رؤيته بالنسبة لآسيا الجديدة الناهضة لاستعادة مكانتها تحت الشمس، في ظل النظام الاقتصادي لعولم، ويرسم خطى الطريق نحو مستقبل.

ومهما اختلف المحللون والمؤرخون في تقييم سياسات ومواقف ومقولات محاضري محمد، فسوف يظل هذا الرجل من اعظم رعاة اسي الحديثه. فهو الطبيب الماهر الذي ضم جراح ماليزيا في اوائل الثمانينيات وعالج ادواها ووضعها على طريق النمو والارتقاء مع بداية القرن الواحد والعشرين، في ظل ظروف دولية صعبة وموارد محلية محدودة.

فتحية لهذا الرجل الذي قد يعتبر  
بحق آخر زعماء العالم الثالث

من بلدان آسيا البازغة على مزيد من التمرّد على قواعد العولمة وسياسات صندوق النقد الدولي. ولذا لا بد من إسقاط هذه التجربة في المهد، بأى ثمن قبل أن تتجح.

[ 5 ]

كان مشهد خروج محاضير محمد، من قصر رئاسة الحكومة في كوالالامبور شهيداً غير مألوف في أنحاء العالم العربي والإسلامي. فكثيراً ما ارتبطت صورة الحكام في الصالح الثالث بالاستبداد والتخلف. لكن تقاعد محاضير، دون مرض عقلي أو جسدي أو انقلاب، أو قلائل اجتماعية وسياسية، ان يقدم صورة مغايرة.

نعم لقد استعار محاضير، خلال سيرة التنمية في ماليزيا، الكثير من النماذج الرأسمالية من أجل بناء المعركة الرأسمالية، لكنه ابتكر مبرجاً فريداً من نوعه، بين تلك الرأسمالية الموجهة وإثارة الحياة الوطنية والإسلامية والخصوصية العرقية والقيم الأسبوعية، وأضاف إلى هذه المعادلة خليطاً من المظاهر السياسية التي تؤكد على تقليد صيغة الصحة المجتمعية، على الصالح والنوع فريدة.

وقد أكد محاضير، أكثر من مرة أن  
ممارسة ماليزيا تكمن في تحقيق مقومات  
لتنافسية، في الأسواق العالمية، مع  
تحقيق السلام الاجتماعي والسياسي في  
داخل.

وقد ختم «محاضير» مسيرته  
سياسية الطويلة، بكلمته التي ألقاها  
لال قمة المؤتمر الإسلامي المنعقد  
آخرًا في «كوالالامبور»، حيث قال: «قتل  
أوروبيون ستة ملايين يهودي من أصل  
مليوناً، إلا أن اليهود اليوم يحكمون  
هذا العالم بالوكالة. إنهم يجعلون  
آخرين يحاربون ويمتثلون عنهم».

وفي أعقاب هذا التصريح، قام  
جلس الشيوخ الأمريكي بتجميد  
إمدادات العسكرية للجوليا. ورد  
محاضر محمد، على هذا الإجراء  
قوله: بأن ذلك، لا يشكل أى فارق  
قوة، إلّا، لأننا لا نحتاج إلى ذلك  
أل، وأضاف: محاضر محمد،  
كخباء، لا جدوى من أن يكون لدينا  
تحت أي أختصاصاتنا، والأفضل لنا أن  
نحتفظ بالاختصاصات الأمريكية، وعندئذ  
نكون متأكدين من أن لدينا الممثل  
هناك؟  
محمد بالذات، إن المثل، لا تحصى.



المواضع الدينية التي انشاها الجنرال وليام بيوكينغ نائب وزير الخارجية لشئون الاستخبارات في عدد من الكنائس الأمريكية وهو بالتزي العسكري لم تأت من فراغ. صحيح انها تعرضت لانتقادات شديدة من شخصيات سياسية في الحزبين الجمهوري والديمقراطي ومن شخصيات دينية مرموقة تمثل عددا من الكنائس الأمريكية الكبيرة، إلا ان الصحيح أيضا ان اتهام المسلمين بأنهم يعبدون الأسماء وأنهم يستهدفون الولايات المتحدة لأنها أمة مسيحية. وان الإسلام يهين الشيطان، إن هذه الاتهامات تمسك ثقافة دينية عميقة الجذور في التربية المدنية والسياسية



في منتصف القرن التاسع نشر المورخ البيزنطي جورج هارن ثولوس كتاباً عن تاريخ الإنسانية. في الفصل ٣٢٥ من هذا الكتاب وصف المسلمين بأنهم «رجال أغبياء مشوشو العقول، ومن بعده وجه الرباع الأمريكي سيو كلوني رسالة إلى أحد الأمراء المسلمين دعاه فيها إلى الارتداد عن الإسلام واعتناق المسيحية، مبرراً دعوته بقوله: «لقد خدع الشيطان أحمدا إسماعيل بالنسبة لإيمانهم بمن يعتقدون أنه نبي، فكان طبيعياً أن يكون عقابهم نازح جهنم.

وفي أواسط القرن التاسع عشر حرمت الحكومة الإنجليزية على رعاياها شرب القهوة. كانت حبات البن تُعرف يومذاك باسم «حبات محمد، وكان هناك اعتقاد بأن من يشرب القهوة يرتد عن مسيحيتهم إلى الإسلام وأن الارتداد المسلمين يتآمرون على المسيحية في بريطانيا من خلال القهوة.

ولقد تمكن رئيس أساقفة كاتدرائية الاسقف لاند من استصدار قانون عن مجلس العموم في عام ١٨٣٧ يمنع أي بريطاني من اعتناق الإسلام.

قبل وفاة الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون صدر له كتاب عنونه «اقتناص اللحظة، كشف فيه بكثير من الوضوح عن ثقافة كراهية الإسلام. فقال في الصفحة (١٩٤):

«يحزن بعض المراقبين من أن الإسلام سوف يكون قوة جغرافية متعصبة ومتراصة، وأن نمو دعايته،

ونمو قوته المالية سوف يفرضان تحدياً رئيسياً. وأن الغرب سوف يصطر لتشكل حلف جديد مع موسكو من أجل مواجهه عالم إسلامي متحالف وعنيف. إن وجهة النظر هذه، يضيف نيكسون، تعتبر أن الإسلام والغرب على تصادم. وأن المسلمين يظهرون في العالم على أنه يتألف من معسكرين لا يمكن الجمع بينهما، دار الإسلام، ودار الغرب، عكس نيكسون في كتابه صورة شعبة عن العالم الإسلامي عندما قال: (ص ١٩٤) «إن معظم الأمريكيين يظنونون نظرة موحدة إلى المسلمين على أنهم غير متحضرين، فذروهم، براصة، غير عقلانيين، لا يستوعبون انتباهنا إلا لأحلك حالف بعض قائدتهم وأصبحوا حكما على مناطق تحتوي على لشيء الاحتياطي العالي المعروف من النفط، ولا شك في أن كثيرين في الولايات المتحدة وفي الغرب يتشاركون نيكسون

وجهة نظره التي يقول فيها (ص ١٩٦) إنه يوجد في العالم الإسلامي عاملان اثنين مشتركين للتحول، هما الدين الإسلامي والاضطراب السياسي، بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي وانحلال حلف وارسو، جرى تصعيد مشتمل للعنصرية الغربية ضد الإسلام، حتى أن مدير معهد بروكنغز في واشنطن Brookings Institution هيلموت سوننفلد يقول: إن حلف شمال الأطلسي سوف يعيش، وأن الغرب سيبقي مجموعة دول لها قيم أساسية مشتركة، وستبقى هذه المجموعة متماسكة معا في خلال الشعور بخطر خارجي: الموقف من الموضي أو الأطراف الإسلامية.

وفي ربيع ١٩٩٠ التي هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية الأسبق حطبا أمام المؤتمر السنوي لفرقة التجارة الدولية، قال فيه: «إن الجبهة الجديدة التي يتحتم على الغرب مواجهتها هي العالم العربي الإسلامي، باعتبار هذا العالم هو العدو الجديد للغرب». وأن حلف الأطلسي باق، رغم انخفاض حدة التوتر بين الشرق والغرب في أوروبا، ذلك أن، أكثر الأخطار المحددة للغرب في السنوات القادمة آتية من خارج أوروبا، وفي نهاية التسعينيات فإن أخطر التحدي للغرب ستأتي من فاجح من الجنوب (أي المغرب العربي) والشرق الأوسط.

وكانت مجلة الإيكونوميست

البريطانية المعروفة برصانتها قد نشرت في الوقت نفسه على الغلاف موضوعا بعنوان: «الإسلام الأيديولوجية البربرية المعادية للغرب، وجاء في دراسة أخرى نشرتها مجلة الثانية متخصصة في الدراسات الاستراتيجية إشتر الشهاء الحرب الباردة وسقوط الشيوعية في عام ١٩٩٠ أعلن الأمين العام لحلف شمال الأطلسي في كلانس (تولى منصب وزير الاقتصاد في بلجيكا فيما بعد) ، «لقد حان الوقت الذي يجب علينا فيه أن ندخل في خلافاتنا وخصوماتنا السابقة وأن نواجه العدو الحقيقي لنا جميعاً وهو الإسلام». إن الدولة الإسلامية هي على الأقل في مستوى خطورة الشيوعية سابقاً.



وفي يونيو من عام ١٩٩٤ انتهت مهمة الجنرال جون كانفان القائد الأعلى لقوات حلف شمال الأطلسي، وفي الاحتفال التكريمي الذي أقيم له في بروكسل، التي كلمة تحدث فيها عن الأفاق المستقبلية للحلف ولدوره تستوفقنا من كلمته العبارة الآتية: «لقد ربحنا الحرب الباردة وما نحن نعدو بعد ٧٠ عاماً من الصراعات الصالة إلى حيز الصراع القائم منذ ١٣٠٠ سنة. إنه صراع المجابهة الكبيرة مع الإسلام.

الواقع أن المشاعر المعادية للغرب وللمسلمين تجعل من هذه الصورة الجديدة للعدو، المقررة سلفاً والمخطط لها أسرع انتشاراً وأكثر قدرة على الاستقطاب بيودك والضعف من إسرار مجموعات من منظمة الخطر بالمئات إشر إهراق إبار النفط الكويتية على يد قوات الغزو العراقي في عام ١٩٩٠. للحدث لا عن صراع بين الإسلام والغرب فقط، بل بين الإسلام والتطور أو التحرير أيضاً، وضالبي آخرين من الخطر الأمام بيوليس سوى من لحماية البيئة من الغرباء). وفي أعقاب المحاولة الإرهابية الأولى التي استهدفت برجي التجارة العالمية في نيويورك في عام ١٩٩٢، نشرت مجلته نيوزويك الأمريكية بتاريخ ١٥ آذار - مارس ١٩٩٣ دراسة مطولة، عنوانت لها على الملأ بما يلي:

«الرعب البارد، الإرباب اليوم الدور الإسلامي، وقد تصمدت الخلاف صورة لشاب ملتصق يحمل غلافا خارجيا

للمصنف الشريف مكتوب عليه الله ومحمد والداخل. وتحت عنوان: غضب الإسلام وتساءلت المجلة: هل جدور الضربة الإرهابية في نيويورك نمو في تربة غضب المسلمين الأصوليين ضد العرب في شمال أفريقيا وآسيا؟. وتساءلت المجلة عن الدوافع الكامنة وراء استهداف الولايات المتحدة من قبل الأصوليين الإسلاميين، وقالت إن لألحة الدوافع طويلة، منها أن الدول الغربية مجتمعة تعمل على إخضاع العراق (قبل عملية العزو) وهو دولة عربية إسلامية، ومنها أن الصهيونية تتربح فوق الأراضي العربية بمساعدة أمريكية، ومنها إبعاد قياديين مسلمين عن الأراضي المحتلة للإسلاميين من الوصول إلى السلطة وسائل سلمية وديمقراطية كما حدث في الجزائر، ومنها مطاردة الإسلاميين في مصر، الخ.

في ذلك الوقت دعا رئيس مجلس النواب أمريكية نيوت جينغريتش، المجلس إلى وضع استراتيجية متكاملة لمحاربة التوتليرانية الإسلامية، يلاحظ الفكر الأمريكي مصوئيل هنتنجتون في دراسة نشرتها مجلة الشؤون الخارجية (فون ألفيرز) الأمريكية ونقلت مقتطفات منها صحيفة هيرالد تريبيون الأمريكية (عدد الثامن من يونيو ١٩٩٣) أن المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية تفصل الشعوب عن هوياتها المحلية. وفي معظم أنحاء العالم يتقدم الدين لآه هذا الفراغ على صراحتات غالباً ما تصنف بالأصولية كالمسيحية العربية، واليهودية، والبوذية، والهندوسية والإسلام.

وفي عام ٢٨ يونيو ١٩٩٣) سالت المجلة الأمريكية (٢٨ يونيو ١٩٩٣) سالت المجلة البروفيسور هنتنجتون: «إلك تؤكد أن الصراع المقبل بين العالمين سيواجهه الغرب سوف يأتي من العالم الإسلامي، لا يجب هنتنجتون على السؤال بقوله: «إن الإسلام هو المدينة الأشد صرامة في العالم خارج المسيحية، لا يوجد فصل بين الدين والسياسة، ثانياً، هناك شعور بأن العالم الإسلامي قد تعرض للضرب واسقط على يد العرب وأن ثمة نوعاً من الصحوة في طريقها إلى السور. إن الصراع سيأخذ عدة أشكال، الواحد منا لا يريد أن يظن بأن

## محمد السامك

# الغرب والإسلام..





بعد انهم للإسلام ويطلقون يومياً  
الشتائم بحق النبي محمد عليه السلام.

وفي الأول من يناير ٢٠٠٢ حذر القس بات روبرتسون في برنامجه التلفزيوني نادى السبعمائة، من تدخل الولايات المتحدة في النبوءات الدينية وانتزع

وإذا كانت مهمة القوات العسكرية الأمريكية هي البحث عن أسلحة الدمار

على أن القضية الكبرى هي أن العالم الإسلامي لم يعمَل شيئاً يذكر طوال العقود الخمسة الماضية لتصبح ثقافة الاستدامة المنفردة في الفكر الغربي. ما يكفينا الأمانة عن بعد، متكتة على وسادة القنطرة الزائلة من جات جريمة ١١ أيلول - سبتمبر ٢٠٠١ لتلهي عن الثقافة مبررات وإبعاداً جديدة لتلهي مشاعر الكراهية واللافة. رغم أن بعض الأساليب الإسلامية العالقة ترتفع، من هنا أن هناك مصححة أرتفع، ومنهية أحياناً أخرى، هي صد أصوات الشبان الإسلامي تذهب بعيداً عن معنى مولوات الطماع. المبدأ الذي يمثل الهوية بين الإسلام وثقافة كراهيته واستعداده.



# الجزائر.. إلى أين

لنا أن نتصوره حزب الخلاص الإسلامي، حيث اندفع جناحه العسكري إلى مهاجمة قوات أمن الدولة، ثم انضمت إليه جماعات راديكالية مشقة. أمثال الجماعة الإسلامية المشقة، التي قامت باغتيال المثقفين العلمانيين، والسيدات غير المحجبات



حاول المصلحون، منهم الوزراء ومنهم القادة السياسيون، لتلطيف الأحواء من خلال عقد المفاوضات مع حزب الخلاص، إلا أن نزار، الذي كان متزعمًا لجهة، الاستصصال، لم يمهلم هذه الفرصة، فذهب هو ورس معه من مجموعة الجنرالات، ليصرخوا بيد من حديد على الشعب الجزائري، واستخدموا نفس أساليب التصديب والاعتقالات في غيابات الصحاري، التي كان يستخدمها الاحتلال الفرنسي ضد جبهة التحرير. عشرات آلاف الجزائريين منهم الإسلاميون الراديكاليون وأكثرهم المواطنين العاديين. تم قتلهم منذ عام ١٩٩٢، سبعة آلاف تم إلفاؤهم على أيدي قوات أمن الدولة. (هذه المعلومات نشرها في تقرير، اليوم، رابنيس ووتش، في فبراير ٢٠٠٣). وبالرغم من أن

المصنوع من الكرسيستال، لقد كانت النتيجة الطبيعية، أن حظي نزار وأمثاله من ساكني «البارود»، بسخطة تلك الجماهير الغفيرة التي تكاد شغل العيش في الأحياء السفلى: «القصبة»، بيلكورت، «باب الواد»، تلك الأحياء الهشة الهزيلة التي ضربها زلزال ٢١ مايو، فأخلف من ورائه أكثر من ألفي صريع وألف مشرد. ولا عجب بعد ذلك، أن نجد الكثيرين من تلك الجماهير، يعطون أصواتهم، بشقة وحساس، إلى الحزب الأصولي، جبهة الإنقاذ الإسلامية، في الانتخابات التشريعية في ديسمبر ١٩٩١، ولكن بالرغم من أن هذا الحزب قد حظي بتأييد واسع من قبل الجزائريين، وبالرغم من تحوله إلى متنفس لسخط الجزائريين تجاه فساد «البارود»، إلا أنه كانت هناك مخاوف من واد هذا الحزب للتجربة الديمقراطية الجزائرية، التي كانت قد بدأت في البروق مع أواخر الثمانينيات. لقد سعى نزار سعيًا حثيثًا ليحول بين جبهة الإنقاذ الإسلامية وبين وصوله إلى السلطة. فكانت أولى خطواته، وهو الذي كان وزيرًا للدفاع في ذلك الوقت هي إزفاء الرئيس بن جنيد على الاستقالة، ثم إلغاء الانتخابات، وأخيرًا حظر الحزب، ومنحه ضمانًا من مزاولة نشاطه، مع إعلان حالة الطوارئ، وطمعًا،

الجزائرية، فهو العضو الأكبر مقامًا وسناً من ضمن «مجموعة الجنرالات»، التي تهيمن عسكريًا واقتصاديًا.. من وراء الكواليس، يسكن في أرقى أحياء الجزائر (البارود)، وأكثرها ثراء، حيث الميلاط الشامحات والأشجار الباشقات، ورياح «البارود»، لا تحمل فقط رائحة الشراء، وإنما تحمل أيضًا رائحة الاحتلال الفرنسي، الذي ظل جاثمًا على أنفاس الجزائريين حتى عام ١٩٦٢ ففي فيلات «البارود»، كان المستعمرون الفرنسيون يسكنون، يأكلون ويسمعون بالخيريات التي لم تكن في متناول أيدي أصحاب البلد، وما إن ترك المستعمرون تلك الخيرات، حتى انتقلت يدها إلى زعماء «جبهة التحرير الوطني»، الذين ما إن وطأت أقدامهم جنة «البارود»، حتى نسوا أو تناسوا أنهم في الجزائر.. ولكن الجزائر لم ولي تسامح أبداً. عندما يأتي الصحفيون لزيارة «البارود»، لا يصعدون بأنهم في الجزائر.. فالها نزار يملأ فيه بصوته الأجيال، ويضجكه الفشننة المحمومة التي تكسب شيفوخته وكبر سنه. وما عليك إلا أن تدخل مسكنه الضخم، حتى ترى هذه الحقيقة مجسدة أمام عينيك. ذلك السكن، الأسطورة، ذو الطابع الفرنسي الملكي، والبلات الرخام، والسجاجيد الشرقية، والنجب العملاق

قبل شهر من الانتخابات الرئاسية في أبريل المقبل، احتدمت المساحة السياسية في الجزائر بالحلقات والأصراعات العنيفة، فقد لاحت في الأفق بوادر الشقاق داخل جبهة التحرير الوطني الجزائرية مع استقالة أميتها العام على بن هليس من رئاسة الحكومة وإعلانه ترشيح نفسه في الانتخابات ضد الرئيس سعدانعزيز بوتفليقة، وجاء إخراج بوتفليقة ٤ وزراء من الجبهة من حكومته ثم انسحاب ٧ وزراء من الجبهة بعد ذلك لتتفاقم الأزمة التي تكاد تعصف بالاستقرار النسبي الذي عاشته الجزائر مؤخرًا. ورغم أن الجيش الجزائري لم يملن موقفه صراحة إلا أنهم يعتقدون أنه في قلب «الصورة» عربين عن تخوفهم من انتقال الانقسام إلى الجيش نفسه. خلال التالي مراجعة لدور الجيش من قبل الاقترب من أحد كبار قادته..

## المصدر

■ ■ ■ الجبرال خالد نزر. ليس فقط من اعلام الجزائر، إنما هو «ابوها الروى». ذلك اللقب الذي التصق به كثيرا وليس دوماً، والذي استمدته بحكم منصبه المتميز الذي وكر إليه بعد الثورة

- 1 - La Sale Guerre (الحرب القردة) Habb Soudia La Decouverte, 204pp. 14. 48
- 2 - The Buthefield Algeria, 1988 - 2002, Studies in a Broken Polity (الجزائر. ساحة القتال، من ١٩٨٨ إلى ٢٠٠٢) Hugh Roberts Verso, 402pp. \$ 25.00
- 3 - Time for Reckoning: Enforced Disappearances in Algeria (وقت الحساب. الاختفاءات القسرية في الجزائر) The Human Rights Watch, 983pp. www.hrw.org/reports/Algeria/2003/

ترجمة/ شيرين حامد فهمي  
بتريتيب خاص مع نيويورك ريفيو أوف بوكس





# انتهاية الثورة

لا حصر لها على المصالح والمنشآت المرمنية. وكذلك ما شهد من الحياة على وجود الجزائريين، الذي باتوا يتساءلون عن القتل العرب، من قبل تحييد الجزائري في حياتهم من المذابح المروعة التي حدثت في عامي ١٩٩٦ و١٩٩٧، والتي انتشرت خاصة في القرى. وما كان يتوقع انتداب حقا، هو أن ترتكب تلك المذابح بجباب لتكنات الجنود، وحت أنظار طائرات الهليكوبتر العسكرية، التي كانت تحلق فوق مواقع المذابح والمجازر، باختصاص. لقد كان الجيش يرى أنه ليس مخطو لأحمية الحرس التي تغطي صوتها لحبب الخلاص الإسلامي، المهم، أنه تم في النهاية تضي حبيب سوميدي إلى فرنسا.

طبعاً، كان هذا الكتاب مبعث ضيق للزائر الذي قدره التواجد في فرنسا، فور نشره وظهوره وسط القراء. وكان سبب تواجد هناك، هو ترويج كتابه هو عن «مذكراته»، الذي كتبه في عام ٢٠٠١، وفي أثناء قيامه بهذه المهمة، فوحن ثلاثة جزائريين، مقيمين في باريس، وأقارب لبعض الإسلاميين، الخشفيين، يقومون برفع قضية ضد، بسبب عمليات التعذيب، وغيرها، التي قام بها في حق الشعب الجزائري. وتم ينتظر زيار طويلا في فرنسا، بل سارع إلى مغادرتها في نفس الليلة، عائداً إلى الجزائر. وفي شهر يونيو الماضي، في أثناء الاحتمال بمرور أربعين عاماً على الاستقلال الجزائري، عاد زائر إلى فرنسا، رافعا قضية تشهير ضد أحد الجزائريين الثلاثة، وبالرغم من أنه خسر القضية، إلا أنه أعلن أمام الملأ قائلا: «إن قضية التشهير كانت فرصة لي كي أظهر للعالم كله بأن هناك تفسيراً آخر لما يحدث في الجزائر». هذا هو المهم، ومن ثم، فأنا أعتبر نفسي منتصرا.

عام ١٩٩٧، سارع المهاجرون، إلى حياض تلك المحاولة. لقد حلق هؤلاء المهاجرون، على مناصب عليا في الجيش الجزائري خلال العقدين الأخيرين، هذا إلى جانب التدعيم الذي يلاقبونه من قبل الحكومة المرمنية، ومن ثم ارتباطا مصالحهم بالشركات المرمنية الموجودة في الجزائر، وإرسال أبنائهم للدراسة في باريس، هذه «امتيازات»، كلها أعطت لهم مسمى «تميزاً»، وسط الجزائريين. وهو «حزب فرنسا».

سير السنوات الأخيرة، وهب، زائر نفسه للدفاع عن سمعة الجترالات وعن سمعة الجيش، في مواجهة التهم المتصاعدة ضدهم، التي تحدثت عن الانتهاكات العنصرية، من قبل الجترالات. لحقوق الإنسان، وكان، حبيب سوميدي، وهو ضابط قديم في القوات الخاصة، قد فجر هذه القضية في ربيع ٢٠٠١، على صفحات كتابه La GUETTE أو «الحرب القذرة»، حيث قص فيها على القراء ما شهد من رملاته في التعذيب، الذين عرفوا في عمليات التعذيب، والاغتصاب، والقتل، تحت أفتة المتطرفين الإسلاميين. وما شهد من تسلي أعضاء كثيرين من الجيش والمخابرات في داخل صفوف، الجماعة الإسلامية المسلحة، والقيام بأعمال

ما صرح به زائر، قائلا: «إذا نظرت إلى الحرائق اليوم، دولة الملة العاقلة، وربما أكثر، ولاف المواقين، والميوس مشرد، أدركت أن هؤلاء الجترالات هم وحدهم الذين حولوا هذه البلاد إلى أفغانستان، ولكن من هو زائر؟ وما هي جنود؟ باختصار، ولد زائر في عام ١٩٣٧، في داخل أسرة بربرية، تشتت بالزراعة، في جبال الأوراس AUFES، التحق في شبابه بالجيش الفرنسي، وعمل كضابط غير مفوض، مخطو بعد ذلك إلى الجبهة المتردة ضد الاستعمار في أبريل ١٩٥٨، مع جماعة من الشباب الذي يسمون الآن ب تاركي الجيش الفرنسي، أي الدين هجروا الجيش الفرنسي، والتحقوا بصفوف المقاومة وقد اعتمد عليهم، بعد ذلك، الرئيس الجزائري، هواري بومدين، اعتمادا أساسيا، في أثناء فترة رئاسته التي امتدت من عام ١٩٦٥ إلى ١٩٧٨، وكانت وجهة نظر بومدين تتلخص في أن هؤلاء «التاركيين»، أو «المهاجرين»، قد التحقوا مؤخرًا بعمليات التحرير والكفاح ضد المستعمر الفرنسي، ومن ثم فهم يمتلكون الخصائص الوطنية التي يستمتع بها الضباط المحسنون والتمرسون، ومن ثم فيسهل التحكم بهم والسطرة عليهم، ولم يجب ظن بومدين، فحينما حاولت مجموعة من هؤلاء الضباط الحنكين قلب نظامه في

حدة التصادم قد قلت تدريجياً منذ عام ١٩٩٧. بعد أن وضعت جبهة الإنقاذ سلاحها، إلا أن الجماعة الإسلامية المسلحة، وغيرها من الجماعات المتطرفة، ما زالت متواجدة على الساحة. لقد صار مشهد التصادم السياسي في شوارع الجزائر مشهداً مألوفاً، لدرجة أنه صار غير لافت لل نظر والعجيب، أن الطام الحالي، الذي يرأسه بوتفليقة، ليس لديه أدنى رغبة في وقف هذا العنف، فكما أخبرني أحد رجال السلطة القدامى، (إن الدولة (الجزائرية) لا تستطيع أن تترك الإزها بيموت، فهو الشيء الوحيد الذي يبقها على السطح».

في أثناء زيارته الأخيرة للجزائر، قام وليام برنر، (مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشئون الشرق الأدنى) بإخبار الرئيس بوتفليقة التالي، (إن واشنطن عليها أن تعلم الكثير من الجزائر في فزون مكافحة الإزها ب، وهنا يرد زائر ضاحكاً، بصوته الجهور، لو كنا تركنا الإسلاميين يمزون في الانتخابات، لكنت الجزائر تحولت إلى أفغانستان، ولسار لزاما عليكم (يقصد الولايات المتحدة) أن تقسمونا، وهنا يتدخل حسين أيت أحمد، رئيس جبهة القوات الاشتراكية وهي من الأحزاب المعارضة، التي يتكون معظمها من البربر، ليحضر



عندما سألت زائر عن السيرة الذاتية جزائري، الذين اختفوا في غابات الحب ولم تعد تسمع عنهم شيئاً، رد على غاضباً وقائلاً: «هذا خطأ، الرقم الصحيح ما يقرب الأربعة آلاف، منهم ١٢٣ حالة فقط، لم يتم حلها حتى الآن. أما الباقي، فهم إما مع المتطرفين أو مع المولى، أو مع المعتقلين». ثم أكمل مصرحاً: «أنا ديمقراطي، لمست استسلامياً، فبإذنه سرهيا، لمست استسلامياً؟؟، فرد على ياسمياً: «نعم، بالنسبة لأولئك الذين يقعون تحت



الأرض. مع أولئك لا يوجد إلا حل واحد الاستقلال، نزار يرى أن الاستقلال إلى شماره، فقد انحصر الأحراب عن ذي قبل. ولعل عدد المصلين لأحزاب الإسلامية المعترف بها، إلا أن نزار ما زال مؤمناً بأن ظاهرة الإسلام السياسي لم تنته بعد فالإسلاميون المحدثون ما زالوا موجودين وهم من وجهة نظره، لا يختلفون كثيراً عن الإسلاميين الراديكاليين. منذ عام ١٩٩٢، والجزائر تخصص للحكم العسكري، فالانتخابات سواء للرئيس أو البرلمان يهيمن عليها رعاة الجيش إن هيمنة الجيش في الجزائر تعود إلى حرب الاستقلال، حيث كانت المنافسة على شدة ما بين قوات الداخل، وهي القيادة السياسية من داخل الجزائر، وبين قوات الخارج، المتمركزة في المغرب وتونس، وفي خلال حرب الاستقلال هي عامي ١٩٥٦ و١٩٥٧، تم إقصاء معظم الكوادر الفدنة من قوات الداخل، على يد الفرنسيين، وكان على المتبقين من تلك الكوادر، الاستقلال التام لقوات الخارج. أما من كان يفكر فيهم في الخروج، عن الاستسلام، فكان مصيره الحنف وهذا ما حدث لآدمان رمضان، الذي أصعبه زملاؤه، في ديسمبر ١٩٥٧، لأنه أصر على إعطاء الأولوية لقوات الداخل.

لقد تم اغتيال رمضان، الذي كان يمثل المخطط لخرق لحرب استقلال الحارل على يد قبيلة عوجة، التي كان يتزعمها، عبد الحفيظ يوسف، الذي كان يحتل منصباً رفيعاً في جيش الخارج، وكان من ضمن هذه القبيلة، الكوونيل بومدين أحمد بن بيلا وهو الرئيس الأول للجزائر، الرئيس بومدلية، أما بن بيلا، فقد رفع إلى الرئاسة في عام ١٩٦٢، على يد قوات بومدين التي قلبت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وأما بومدين، فقد رفع نفسه للرئاسة في عام ١٩٦٥، بعد انقلاعه على بن بيلا، ووضعه تحت المجدن لمدة شهرين ستة، وبعد وفاة بومدين في عام ١٩٧٨، على أثر مرض غير معروف، شهدت الجزائر «شجنات»، واضطرابات عنيفة، ولكنها لم تؤثر أبداً على قوة الجيش، ولا على هيمنة قبيلة عوجة، ولا على المخبرات التي كانت

تشكل العمود الفقري للنظام الجزائري. وعندما سقطت، جبهة التحرير الوطني، (FLN) في عام ١٩٨٩، أعقد الكثير من المراقبين الغربيين أن فئة «الجنرالات»، التي تضم أمثال نزار، سوف يتم إحيائها؛ كما حدث مع التجربة السوفيتية، ولكن شتان الفرق بين جبهة التحرير الوطنية، في الجزائر، وبين الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي. فالأولى لم تكن سوى أداة من أدوات الجيش؛ ومن ثم فلم تكن تحتكم على قدر كبير من السلطة، كما هو الحال في الحزب الشيوعي. فستدور ١٩٨٩، كما يقول العالم البريطاني هوك روبرتس في



استطاعت البقاء، بالرغم من عملية الانتقال من نظام الحزب الواحد، إلى نظام تعدد الأحزاب، لقد استمرت مجموعة «البوفوار»، في الهيمنة، كما كانت دائماً؛ ولكن هذه المرة في الظل. ومن وراء أعين الجمهور.

والنظام الاقتصادي في الجزائر لا يفرق كثيراً عن نظيره السياسي، فالأثنا يعانين من التشل والمرض، البطالة تهيمن على أكثر من ٣٠ بالمائة من الشعب



### ليست هذه الثورة الوحيدة

في «قانون الوئام المدني»، فهناك أيضاً ثورة «الختفين»، أو «المفقودين»، الذين وصل عددهم إلى سبعة آلاف جزائري، فالحق يقال، أن بومدلية لم يتخذ أي إجراء جاد تجاه هذه القضية، المهمة جداً على صعيد الرأي العام، والمهمة جداً على الصعيد الحكومي



الجزائري، نفس شديد في المساكين، المصانع تقع تحت سيطرة الجنرالات، السوق السوداء تنتشر بحكم كونها أكثر المجالات ديناميكية في الجزائر وفي أوج الحرب الأهلية، وتسعينات القرن العشرين، قام الإسلاميون بحرق مصانع الدولة، التي صار عددها مثل وجدها، وبيات نظريات المؤامرة تنتشر في أوساط الجزائريين، زاعمة بأن الإسلاميين يقفون في صف المالبيا، للتحكم في الاقتصاد البلاد، وما التخصصية التي تجتاح البلاد، إلا وسيلة أو مؤامرة لتمكين المالبيا من الهيمنة والسيطرة على الإرث الصناعي للدولة، باختصار، إن المالبيا لا تريد الاستغناء عن الإرث العائلي.

وينما أنا جالس في يوم من الأيام، أشاهد التلفاز الجزائري، إذ بي أستمع إلى تقرير طويل عن بناء فندق «شيراتون»، على الحدود الليبية، وتكلفته ٩٠ مليون يورو، على يد شركة صينية، الأمر الذي يدل، كما يقول التقرير، على «روح الجزائر» الطيبة في التعاون مع جيرانها، ثم أستمع بعدها إلى قصة «الخليمة» جروب، وسقوطها الشرايبي بعد ست سنوات من الازدهار الإمبراطوري في أعمال النشر، واليتوك، والنقل الجوي، وصناعة الألبسة، وكان صاحب هذه الإمبراطورية هو رفيع خليفة، ذو الثلاثين عاماً، الذي اشتهر بصلاته وعلاقاته، أكثر مما اشتهر بقدراته كرجل أعمال، فقد هو أب واحد أعضاء قبيلة عوجة المعروفين، الذي ساهم في إصدار الخدمات الخابرية في أثناء حرب الاستقلال، أما عبد الفتى بومدلية، فهو شريك خليفة، وهو أيضاً أخو الرئيس الحالي «عبد العزيز بوتفليقة». وفي ٢٤ فبراير ٢٠٠٣، خمسة أيام قبل وصول جاك شيراك إلى الجزائر في أول زيارة رسمية لرئيس فرنسا منذ الاستقلال، كان خليفة على ميعاد من لحظة السنين، عندما تم وقف ثلاثة من زملائه في مطار بومدين، فمنهم من السفر إلى باريس، بعد القبض عليهم متلبسين، بحيازة أموال مزورة (٧ مليون يورو) وكان خليفة وقتها في باريس، والأى يقال أنه انتقل إلى لندن، المهم أن قديمه لم تعلقا الجزائر، منذ ذلك الحين، خوفاً من ملاقة نفس صميم زملائه، وكانت نتيجة ذلك، أن تم وضع «بنك خليفة»، وهو البنك الخاص الوحيد في الجزائر، تحت الرقابة، وتبعاً لصدر قريب من وزارة المالية، كان «بنك خليفة» يحصل، من خلال خلق غير شرعية، على مئات الملايين من الدولارات، تحت اسم ويصر الحكومة، ومن ثم، فإن تصرف الحكومة الأخير باستجابه بصد خليفة، بشكل علامة استفهام كبيرة، خاصة أنه حدث مع هدم الرئيس شيراك إلى الجزائر، وخاصة أيضاً، إذ علما أن المصنف الفرنسي قد انتهال على شخص خليفة بالقتال، لتصب عليه وبالأمن من النقد والتوبيخ؛ وأصمة إياه إمبراطور الجزائر.





والشء العجيب أن الجزائر، مع هذا المقر الشديد، تعتبر ثالث أكبر مصدر عالمي للغاز الطبيعي، بالإضافة إلى كونها دولة منتجة للبترول، تتصاعد أهميتها يوماً بعد يوم. هذه البلاد بقيت على قيد الحياة بفضل البترول... لئلاها إلى «الأمين شبيخي» صاحب بحريية «البحر» المنطقة بالعربية، والقريبة جداً من الاستقلاليين. واكثر دليل على ذلك، هو تناهش شركات البترول الفرنسية وشركات البترول الأمريكية... من ضمنها هاليبرتون للسيطرة على «كبر مساحة من الصحراء الجزائرية» ضد «آخرين شبيخي»، أن نائب الرئيس الأمريكي «دوك تشينغ»، وهو أقل تقليد متريفاً في شركة هاليبرتون للبترول «يعرف» لجزائر معرفة جيدة.

إن الفصل الاستثنائي الذي مني به بومدين في مجال التصنيع، في فترة الستينيات، جعل الجزائر أكثر اعتماداً على عواري البترول والغاز التي تسئل حوالي ٩٠ في المائة من محتوى صادرات البلاد. «البترول يمكن أن يكون اسماً مضموناً» وأولئك الذين ليس لديهم شروات أخرى، أما بالنسبة لنا فهو لعنة وامتحان. قالوا لي أحد الجزائريين، الذي يبرر موقفه بعد ذلك، مشيراً إلى أن الجزائر لديها ٢ مليون كيلومتر من الأراضي الصحراوية التي يمكن أن تستغل أحسن استغلال في السباحة. منذ ثلاثين عاماً، كنا تصدر الطعام؛ أما الآن فنحن نستورده. نحن لسنا بصدد أزمة إيكولوجية، وإنما نحن بصدد أزمة تخطيط وإدارة، وأضيف قائلًا: إنها أيضاً مشكلة سياسة. فساد البترول والغاز متطرفين في الجزائر، سيظل رعياء الجزائر غير راغبين في إصلاح وتمكين النظام، الذي يولس لهم حياة العناء واليذخ؛ خاصة إذا كان الإصلاح سيهدد الامتيازات التي يتمتعون بها.



أما عبد العزيز بوتفليقة، اللتشي من عهد طويل إلى عوكة، فهو لم ينجح في إصلاح الداخل، كما نصح سيجيا على

الصعيد الخارجي. خاصة مع الولايات المتحدة. وقد كان بوتفليقة مرهلاً للحكم منذ المبعينيات، حينما كان يشغل منصب وزير الخارجية في حكومة بومدين. في تلك الفترة، التي كانت الجزائر تشهد فيها أوج شرائها. كان بوتفليقة مرشحاً ليكون خليفة الميز لبومدين. ولكن الجيش حجب قلته واختار الجنرال الشاذلي بن جديد، الذي سارع في رسم علاقة متوهجة أو شراكة ثلاثية مع إسلامي الجزائر. هن جديد التحريض الوطني، وفي اتحادات العمال واحدة، وهي العمل على إضعاف القوميين اليساريين في داخل جبهة التحرير الوطنية. وفي اتحادات العمال وبينما كان منطلق من جديد هو إضعافهم لانهم يمارسون خطط الإصلاح الاقتصادي التي كانت يبتناها؛ كان منطلق الإسلاميين فكرياً من الدرجة الأولى. وتبعا لذلك، تنسج الإسلاميون مائتات خلال فترة حكم بومدين. لم يكونوا يحملون بها؛ وخاصة المائتات الحزبية. ولكن هذا لم يستمر طويلاً، سرعان ما أعلن النظام من رفضه ومعاداته الصريحة للأصولية في عام ١٩٩١.

وإذا كانت الفرصة لم تواتر بوتفليقة ليصير حاكماً للجزائر في السبعينيات، فقد جاءت له الخلة في أبريل ١٩٩٩، بعد أن فاز بها في الخلة من أصوات الناخبين. ولكنه مثل جميع الدين سبقوه، كان بوتفليقة مرشح الجيش. كما هو الحال دائماً في الجزائر. وبعد تولي بوتفليقة الرئاسة، علق عليه جمع الجزائريين الأمل والأحلام في اجتثاثهم من الواقع الأنيم الذي يعيشون فيه؛ حيثجهم من سواد الحرب إلى نور السلام. ومن ضباب العزلة والوحدة إلى راحة الاتصال والاحتكاك والامتزاج مع الخارج؛ حتى تصير بلادهم واحة لجذب السياحة والاستثمار. وقد استلزم ذلك، بالطبع، شخصية محسنة هي العلاقات الدبلوماسية. وذات خبرة عميقة في التعامل مع الآخر، لكي تستطيع إزالة المخاوف والهواجس التي تسطر على عقلية الخارج. من البعيع الجزائري. وكان بوتفليقة هذه الشخصية «قابرلرغم

من حضور الضعف، إلا أنه يشتمل شخصية دبلوماسية مدونة. والدليل على ذلك، قدرته على مخاطبة الجمهور الأمريكي في واشنطن والجمهور الفرنسي في باريس الأمر الذي أسمر عن مقاملته ليوش مرتين في البيت الأبيض والذي أعلى بمقتضاه لقائه مع الولايات المتحدة ضد الإرهاب؛ وكذلك إعلانه مؤخرًا في جريدة «الواشنطن تايمز» عن كونه صديقاً للولايات المتحدة، وهو الأمر الذي لاقي سخفاً كبيراً من لدن الشعب الجزائري. الذي تزايدت لديه الشاعرة الخاصة للولايات المتحدة منذ حرب العراق الأخيرة



وبالرغم من هذا النجاح الواضح الذي حققه بوتفليقة على الصعيد الخارجي على يد دولة في العالم، إلا أنه لا في فشل ذريعاً على الصعيد الداخلي. فالخطوات التي انتهجها بهدف «الإصلاح الوطني» لم تحقق العرض المنشود. فبعد أن تم التصديق على «قانون الوئام المدني» من خلال استفتاء جماهيري في سبتمبر ١٩٩٩، صارت هناك حملة للتمتردين الراهبين في تسليم أنفسهم. بشرط ألا يكونوا قد دخلوا في عمليات قتل أو اغتصاب وكانت نتيجة ذلك، أن تم العفو عن آلاف والتفاسي من جرائمهم الإرهابية السابقة بمنتهى السهولة والبساطة؛ الأمر الذي خلف شعوراً مريراً بالظلم والقهر لدى الجزائريين، الذين ما زالوا يرون أيدي هؤلاء المجرمين وهي ملطخة بالدماء ولا عجب أن يذهب مصطلحهم إلى الشك في هذا القانون، ولا غرابة أن تجتمع عوالمهم إلى تكوير المؤامرة... وهو أن هذا القانون ليس إلا حجة لبعيد صديقنا يتمق فيها المتصرون مع فئة «البوقوار» أي «رجال السلطة».

ليست هذه الشفرة الوحيدة في قانون الوئام المدني؛ فهناك أيضاً خفة «المختفين» أو «المقودين» الذين وصل عددهم إلى سبعة آلاف جزائري. فالحق

يقال أن بوتفليقة لم يتخذ أي إجراء جاد تجاه هذه القضية المهمة جداً على صعيد الرأي العام والمهمنة جداً على الصعيد الحكومي. فلا هو أحبر أسر هؤلاء المختفين من أية معلومات وراء اختطافهم أو عن مصانيرهم. ولا هو قام بتعويض الأسر مالياً. ولا هو قام بتعويض اعتبار رسمي لبهم. ولا هو قام بتأمين حياة الجزائريين. بهدف حمايتهم من أي اختفاء مستثنى وعدم قامت مجموعة من المهتمين سؤاله من أساتيف المقودين في أثناء تحدته عن «قانون الانسجام المدني» أجابهم قائلًا «أنا ابتاكم ليسوا في جيبي». كيف تصوم هذه الحرب وراء ظهوركم، وأنتم مصرون على عدم سياتها؟

إن الوضع الجزائري، كما هو موصوف عالمياً، لا يشهد أبداً بؤاراً أي صلح كان قمازال الطريق طويلاً. وخاصة أن الجزائريين ما زالوا حتى هذه اللحظة متفرقين، بين الرغبة في التصالح مع الإسلاميين، وبين الرغبة في استئصالهم. فدعماً واحدة، فاما الاستصاليون، فيصنعهم صديق لي، يعمل صمعي بأنهم «فراكفونديون» ويالرغم من قهره، للبوقوار، إلا أنه يفصل دائماً اختياراً «الساقرين» عن «القاتلين».



وفي غمرة هذا التخبط الذي يعيشه الجزائريون اليوم، تقفز دأكرتهم إلى الورا، ليسترجموا على بومدين الجديد، الذي يصفه لي أحد الصحفيين الجزائريين البارزين والمصنفين، أحسان القاشي، قائلًا: لقد كنا نعش في رعد وترف، وكان لدينا شعور بوجدنا تحت القومية. لقد كنا نسفر بوجدنا تحت ولاية بومدين. لم تكن في حاجة إلى نشر مقالات في «الواشنطن تايمز» لكي نخبر الأمريكيين بأن لديهم صديقاً في الجزائر. وبالرغم من أن كثيراً مما







مستشفى  
دار الفؤاد

بالتعاون مع  
كليفلاند كلينيك  
إنترناشيونال



### ٣٣ تخصص في مختلف فروع الطب

- أول شراكة وتعاون طبي لكليفلاند كلينيك خارج حدود الولايات المتحدة الأمريكية.
- أول مستشفى خاص في مصر وأفريقيا والشرق الأوسط يجري جراحات زراعة الكبد نقل من أحياء بنجاح.  
(تم إجراء ٤٥ زراعة كبد بنسبة نجاح ٩٨٪)
- أكثر من ٨٥٠ جراحة قلب وصدر تجري سنوياً
- منذ الإنفتاح في يناير ٩٩ وحتى أكتوبر ٢٠٠٣، تم إجراء ٣٢١٩ جراحة قلب وصدر بنسبة نجاح ٩٨٪ طبقاً لمعايير جمعية جراحي القلب والصدر الأمريكية.
- أحدث وحدة لزراعة نخاع في الشرق الأوسط تخضع للتقييم الدولي بإشراف من مؤسسة كليفلاند كلينيك الأمريكية.

في الجزائر، التي يتكالب عليها العنف والإهمال من كل جانب، نتيجة للمعاملة القاسية وغير الأدبية التي تتلقاها من جانب السلطات المسؤولة. ولكن، ربما العائق الوحيد بينها وبين بقية المناطق، يتجلى في الشعور المتعمق لدى البربر بالدينونة وبالإضطهاد. فما يحز فيهم، أنه بالرغم من كل ما قدموه من تضحيات في حرب الاستقلال، إلا أن الحكومة خذلتهم في النهاية، ووضعت الجزائر تحت التصنيف العربي الإسلامي فقط. هذا فضلاً عن اضطهاد اللغة الأمازيغية حتى وقت قريب.

والبربر لديهم سوابق عديدة في التقاطع، والخروج إلى الشوارع لإعلان رفضهم وسخطهم. ولكن شتان الشرق بين مظاهرات الأمازيغ ومظاهرات اليوم. فمظاهرات الأمازيغ، مثل التي حدثت في عام ١٩٨٠، كانت منظمة ومحددة لأهدافها. أما مظاهرات اليوم، وأخرها التي اندلعت في «تيزي أوزو» أكبر مدن «منطقة القبائل» في عام ٢٠٠١، فليس فيها تنظيم ولا حتى أدنى تخطيط، بل يشوبها العنف والفوضى، فتمسح عن المرار والكبت أكثر مما تعبر عن مطالب وأولويات. وقد قالها لي عضو سابق في «جبهة التحرير الوطنية» يوماً، «إذا لم نُحل مشاكل منطقة القبائل، فسيمكنها أن تتحول إلى كوسوفاء أخرى».



وفي إحدى الليالي، كنت أمر بإحدى باعة الخضار في شوارع العاصمة الجزائرية، فإذا بي أرى مجموعة من البائعين الشباب، في ملابس أفغانية، ودقون طوبسولة، وأسابق فضفاضة متطائرة. لقد قصت أجنتهم، قالها لي سائق، الذي كان من ضمن المكافحين في حرب الاستقلال، «لم تعلم كيف عانهم التوسسون! لقد خلعوا أعينهم بملاعق الشاي. لقد كانت الطريقة المثلى لتدميرهم هي إرهابهم وترويعهم حتى الموت. لقد بدأنا أخيراً في التنفس ثانية. وعندما سألتهم، عن الحزب الذي اختاره في انتخابات ١٩٩١، رد على قائل: «جبهة

تعاين الجزائر اليوم، يمثل نتيجة مباشرة لأخطاء سابقة وقع فيها يوميين. مثل استمثاره في الصناعات الثقيلة التي خلفت خسائر فادحة، ومثل تشجيعه للإخوان المسلمين المصريين لتعليم اللغة العربية للطلاب الجزائريين، الأمر الذي خلف ظاهرة الإسلام السياسي. إلا أن الشعب الجزائري لا يتذكر، أو لا يريد إلا أن يتذكر، حسنات يوميين، التي لحقت في أطعام الجزائريين، في تعليمهم القراءة والكتابة، في إدراج الجزائر ضمن القوى المحافدة. وفوق كل ذلك، في الحفاظ على النسيج الداخلي، والسيطرة على الخصومات الإقليمية والدينية، والإقليمية، والأيدولوجية.

ومن ثم، فبعد وفاة يوميين في عام ١٩٧٨، بدأت الاختلافات تسري في الأراضي الجزائرية؛ كل مجموعة تعطي للجزائر هوية متميزة، نابعة من فكرها وعرقيتها. فالجزائريون العرب يرون الجزائر عربية، باعتبارها جزءاً من الشرق الأوسط، والجزائريون البربر يرون الجزائر بربرية، غير عربية. باعتبارها على صلة وثيقة بجنوب أوروبا وخاصة إسبانيا. أكثر مما هي على صلة بالمنطقة العربية. والجزائريون المسلمون يرون الجزائر أولاً وأخيراً وقبل كل شيء، دولة مسلمة. وأخيراً، الجزائريون المناطقيون والمتحدثون بالفرنسية، الذين ينتمون إلى النخبة، يرون الجزائر جمهورية علمانية.

العجيب أن كل هذه المجموعات تؤمن بشدة أنها تمثل الورث الأصيل، «لجبهة التحرير الوطنية»، التي كانت تكافح في حرب الاستقلال، أعني، الجبهة الوطنية، بمعناها الحقيقي، وليس بمعناها المصل.

ولذا أدت أن تشهد مثلاً واضحاً للتفصيح الإثني في الجزائر، فعليك أن تقوم بزيارة سريعة إلى «منطقة القبائل»، معقل البربر في الجزائر. منذ أول وهلة، ستكتظ السنة الفان المتصاعد، الشوارع المروضة بالحداد: البيوت المشرحة، البطالة المتفشية، اللغة الأمازيغية في كل مكان. وليس العربية. ومنطقة القبائل، ليست مختلفة عن بقية المناطق





## كتاب الزاوية



بغداد ١٨٠٨

بغداد مدينة ألف ليلة وليلة التي يستعصر اسمها السحري في ذهن صورة رومانسية مدهشة، وخيال الإنسان يرسم منظرها الرائع بأنه منظر لمدينة ذات بيض يشبه بيض المرمر، تبرز من خلاله القباب الذهبية الصقيلة لكثير من المساجد، تتلألأ كخيط من أحجار كريمة ملونة هي شمس الظهيرة الملتببة، وتشمخ مناتها الهياض بوضوح في قلب السماء اللاروردية العميقة، ولعلها ذات قصور تغشى صوراً أخاذة لحريم الباشا، يرتدي فيها الخدم الملابس الجذابة الأسرية، ويندفعون هنا وهناك في الأبنية الواسعة أو يحرسون بوابات تلك القصور حراسة مشددة في وقت تزدهم فيه الشوارع والأسواق بعشدة مندفع تطلق الأساريير لتجار الأقاليم وأثرياء الشرق.

هي بالتأكيد سوق تجارية كبيرة ومدينة مهمة، ولم يكن النفوذ البريطاني كبيراً في هذه الفترة الزمنية من عام ١٨٠٨.

كانت بغداد تجمع بالجواسيس والوكلاء الخاصين والوكلاء المضادين، ووضعها كان يمد مفتاحاً لجعلها مدينة ملائمة، ونظراً إلى وقوعها على ضفتي نهر دجلة، فقد أصبحت ملتقى للطرق الرئيسية بالإضافة إلى طرق القوافل خلال صغاري ما بين النهرين الموحشة

ومن الأراضي الجبلية للأناضول حتى موانئ الخليج العربي البحرية، ومن سورية إلى بلاد فارس، التقى نهار من جميع الجنسيات الشرقية، فلا عجب والحال هذه أن تكون بغداد في ذلك الوقت، مركزاً لقيادة الجيش البريطاني الذي سيحتاج الهند.

المائة ليس لهم كلمة ولا دور فيهما يحدث، فهم أقل من الثلاثين، ومن ثم، فهم لا يصلحون. وكما أخبرني صيد العزيز رحابي داب يوم ١٠ من الرجال الذين قاموا بالثورة، ما زالتا يعتبرون أنفسهم جيل النار، ويعتبرون أن كل من ولد بعد الثورة من جيل الرماد.. لقد قرعهم جيل الرماد على تعاليم الثورة، واهمها أن التفسير السياسي لا يتحقق إلا بالكفاح المسلح. لم يعط جيل الرماد الفرصة، لكي يفكر في التغيير، بطريقة أخرى وبالأمر من أن جيل النار قد فشل سياسياً واقتصادياً، بعد الاستقلال، إلا أنه مصر على تلقين جيل الرماد مبادئ الثورة وتعاليمها، وكانت النتيجة المنطقية لهذا الإصرار، هي هروب جيل الرماد خارج البلاد، لتسلمهم ينجدون متفتسا، فتمثال، لكي ترى معنى هذه الحقيقة محسنة أمام السفارة الفرنسية ليس بعيداً عن فيلا خالد دزار. حيث الجموع الفقيرة من الشباب الجزائري. تنتظر كل ليلة من السادسة مساءً حتى فناء اليوم التالي، منتظون تأشيرات العمل، وعندما زار شريك العاصمة مؤرخاً، صعد بمشهد تلك الجموع، التي أخذت تصرخ في وجهه، فيزا، فيزا، ومن لم يفلح منهم في السمر، كان مصيره إما الدخول في مستنقع الجريمة، وإما الدخول في مستنقع التمرد في كهوف الجبال

لقد قالها لي يوماً، صديق في العقد السادس من عمره، أن شباب الجزائر لا يعبأ بالثورة، ولا يعبأ بما حدث لأبائهم، مفسدان، مهتدين الثورة، فالذين يحتكمون على بعض المال يذهبون إلى الخسارة، والذين يحتكمون على قدر أكبر من المال يذهبون لتجارة المخدرات، حتى الآن، يوجد جزائريون كثيرون، قد وصلوا إلى سن الأربعين، ولم يتزوجوا بعد، لأنهم لم يستطيعوا توفير مسكن للزوجة، ومنهم من لم يستطع العيش، فتورط في علاقات غير شرعية.

وفي يوم مغادرتي للجزائر في جاعني هذا الصديق بخبر جديد، لقد قام بتقديم أوراقه للحصول على تأشيرة عمل في جنوب أفريقيا. ■

الإبقاء الإسلامية، كيداً في الشاذلي بن جديد،، صبح أنه قدم في اليوم التالي، ولكن كثيرون غيره لم يندموا. لقد كان لسياسة الدولة الباطشة أثر كبير في أقول نجم الأصوليين، فلم يعد زعماء الإسلام السياسي يتحركون بنفس الحماسة، التي كانوا يتحركون بها من قبل، وصار ما هو مصرح به الآن، يتمثل في حركة، النهضة الإسلامية، التي يتزعمها الشيخ عبد الله جاب الله، والذي فاز بـ ٣٠ مقعداً بالجلس الوطني، في انتخابات العام الماضي، وبالنسبة، يتصد بترشيح الأمين الشبيح جاب الله، ليرد للحميل في انتخابات ٢٠٠٤ القادمة



ويجىء هنا العالم البريطاني، هوج روبرتس، ليحل تلك الظاهرة، فيقول، أن هناك توجيهاً لإعادة امتصاص النسيج الوطني الأوسع، ولكن بالرغم من ذلك، ستظل الحدود، موجودة هيبة الإنقاذ الإسلامية ما زالت غير شرعية، وزعمائها ما زالوا موقفين عن الحركة، مل عن الخروج من منازلهم وحزب مثل حزب، الوفاء، محظور من الاشتراك في الانتخابات، بالرغم من كونه أقل، راديكالية، من حزب الشيخ جاب الله. لأن الكثيرين من زعماء هذا الحزب كانوا من نشطاء جبهة الإنقاذ الإسلامية، بالإضافة إلى شخصية أحمد طالب إبراهيمي، وهي الشخصية المحورية في داخل الحزب، التي لديها مقعدة على جمع القوميين والإسلاميين الوسطيين، المعارضين سعيًا لتدويره، في صف واحد

في نهاية ديسمير الماضي، نشرت صحيفة ليبيرتي، اليومية مقالاً تحت عنوان ٥٠٠ مليون جزائري في ٢٠٥، عدد كاثيس بسيطاً، خاصة إذا ما قارناه بما كانت عليه الجزائر في عام ١٩٦٢، حيث كان تعداد السكان أقل من عشرة ملايين نسمة، أما الآن فقد وصل التعداد إلى ثلاثين مليوناً منهم ٨٠ هي





# اقتصاد المعرفة المعنى والمغزى

أولاً: مقدمة عن نشأة

مجتمع المعرفة

وطبيعة اقتصاد

١٠١ نظرة تاريخية

## نبيل على

أبرزت تكنولوجيا الصناعة مجتمعا  
مختلفا عن مجتمع الزراعة وأبرزت تكنولوجيا  
المعلومات مجتمعا مختلفا عن مجتمع الصناعة..  
ولكن شتان ما بين الاختلافين

• مجتمع المعرفة، القائم على  
استغلال المعرفة كأهم مورد للتنمية  
الاقتصادية والنماء الاجتماعي بصفة  
عامة

• مجتمع التعلم وهو يمثل، في  
سياقنا الراهن، ذروة الارتقاء المجتمعي،  
حيث يزخر المجتمع بكثير من الموجودات  
القادرة على التعلم ذاتيا، وذلك بعد أن  
أصبحت ملكة الدكاء غير مقصورة على  
الإنسان فقط، بل أصبحت خاصية  
موزعة على الآلات والأدوات والنظم  
والمؤسسات، وذلك بفضل انتشار نظم  
المعلومات وهندسة الدكاء الاصطناعي  
والليات التحكم التلقائي، ومجتمع  
التعلم المنشود له ذكاؤه الجمعي، وذاكرته  
الجمعية، وشبكة أعصابه الجمعية  
(وتصلها شبكة الإنترنت في الوقت  
الراهن)، وله كذلك وعيه الجمعي المتمثل  
في ممارسته ومذكراته وخبراته، بل له  
لاوعيه الجمعي أيضاً، الذي يعمل تحت  
طبقات متراكمة من القيم والعقائد  
والأيديولوجيات والأعراف وما شابه،  
تطوى هذه التمرينات الثلاثة على  
قدر كبير من التداخل، ربما يزول بعض  
منه من خلال تناوُلنا للفروق بين عناصر  
الرباعية الرمزية السالمة الذكر.

■ عبر مراحل ارتقاءها المتعاقبة، طلت  
التكنولوجيا في تعاملها مع المادة لتحرك  
من الصلابة صوب اللبونة، من الصلب  
(الأحجار والمعادن) إلى الهش (فحم  
عصر البخار)، ثم إلى المائع (كالنفط  
وسوائل الكيمياء الصناعية وغازاتها)،  
وصولا إلى أدنى حالات التماسك المادي،  
وتفقد بذلك فيض الإلكترونيات  
والجسيمات النووية والأشعة والموجات  
والإشعاعات والاصوتونات أو الجسيمات  
الضوئية وغيرها مما تتعامل معها  
تكنولوجيا الكهرباء ولتدرة والليزر، ولم  
تتوقف رحلة النزوع إلى اللبونة عند هذا  
الحد، بل استمرت مع ظهور تكنولوجيا  
المعلومات لتصل إلى ذروة اللبونة  
القصوى بعد أن تسامت المادة الخام في  
صورة عناصر لامادية لا محسوسة، والتي  
جرت العرف على ترتيبها وفقا للرباعية  
الرمزية التالية:

البيانات Data

المعلومات Information

المعارف Knowledge

الحكمة Wisdom

وكما أبرزت تكنولوجيا الصناعة  
مجتمعا مختلفا عن مجتمع الزراعة،  
كذلك أبرزت تكنولوجيا المعلومات  
مجتمعا مختلفا عن مجتمع الصناعة،  
ولكن شتان بين هذا الاختلاف، وذلك،  
فالتنقلة النوعية إلى مجتمع المعلومات  
تتفق سافتها بكثير، سواء من حيث  
عظمة الآمال التي تبشر بها أو جسامة  
الخطاطر التي تطوى عليها، وقد تعددت  
أسماء هذا المجتمع الجديد، واتخذت  
سلسلة مترادفاتة نمطا متصاعداً من  
حيث درجة الارتقاء الاجتماعي تمثله  
الثلاثية التالية:



• مجتمع المعلومات، ولید الفیض  
لكثيف من المعلومات وتطبيقاتها  
لمعلوماتية التي تسرى داخل المجتمع  
لعدم النشظة، وتعمير ظواهره، وحل  
مشكلاته، وتضبيب آله.

٢٠١ رباعية: البيانات

المعلومات، المعرفة، الحكمة

يعد إدراك الصروق بين عناصر  
رباعية: (البيانات، المعلومات، المعرفة،  
الحكمة) مدخلأ أساسيا لرصد مراحل  
تطور تكنولوجيا المعلومات من جاسد،  
وههم طبيعة المجتمع الذي انبثق منها  
من جانب آخر، يلخص (شكل ١) المسار  
الذي تتدرج فيه البيانات وصولا إلى  
الحكمة، وكما يوضح الشكل تتم عملية  
الارتقاء الرمزي هذه من خلال ثنائيات  
من العمليات الذهنية الأساسية والتي  
تمكن الكمبيوتر من القيام ببعضها،  
ويصنع مضمومه حاليا لإكسابه القدرة  
على محاكاة كثير مما يقى منها  
وهذه تعريقات موجزة لعناصر هذه  
الرباعية:

• البيانات: هي المادة الخام، هي  
المعطيات البكر، إن جاز التعبير، البيانات  
هي بنود البطاقة الشخصية ومادة





# أصبحت المعرفة قوة دافعة، أو محركاً رئيسياً للاقتصاد الحديث؛ فهي التي توفر معظم الوسائل الخاصة بزيادة إنتاجية عمالة المصانع والمكاتب والفصول، وهي مصدر محتوى الرسائل المتبادلة عبر شبكات المعلومات والمقوم الرئيسي للبرمجيات التي تعالج هذا المحتوى



كذلك خطاب العولمة الصاعدة من مهابيم الاقتصادية بعيداً عن زامسالية التكنولوجيا المتقدمة التي يستأجر خطاب العولمة الراعي، لقد مات الفكر الاقتصادي في عصر الحاجة لعقبة اقتصادية جسيمة تصدى للركائز الأساسية التي تقوم عليها المنظومة الاقتصادية، وتعيد النمط في الأسس التي أسقط منها الفكر الاقتصادي الكلاسيكي، لقد مضى الاقتصاد سائر في غيبه، زاعماً كونه مجالاً مستقلاً بذاته، وقد استهوت الميولات الكمية والمعادلات الرياضية والاساليب الزمنية، وأحدثت بلبه وصعبة العلوم الطبيعية، وكان الأولى به أن يتوجه بمناهجها صوب الإنسانية لا الطبيعية، وما أبهظ الصيربة التي دفعتها البشرية لهذه العقلانية الاقتصادية الصغيرة النمط، لقد بدأ ضروري أن يهجر الاقتصاد امزاليته التي يسترد غايته الأصلية لتؤمير سبل المعيشة، ولتدبئة احتيايات الإنتاج البشرية جميعاً، إن مورد المعرفة أحسن استعماله، يمثل فرصة نادرة لتحقيق هذه الغاية، إصلاح ما نحن من الاقتصاد المعاصر المعصوب المصنوع من احتلال واستغلال وبطالة واغتراب وحكارة وصراعات، وتدبير لتبسيط، وتبديد لقدرات البشر، وتهديت لهمهم وأمانهم، إن الوضع أسوأ من أن يستمر، ولا يمكن أن نظل أسرى فكر وهوى بعض أولئك الاقتصاديين، أو العقلاء الجاهل على حد تعبير أمارتا سن<sup>١٢</sup>، والذين والت أحدهم الجرة ليصرح: إنه من الممكن حل مشكلة نلوث الهواء لو تحول الجوهر إلى لعبة، ويبدو هنا متساقع مع ما تتسم به العولمة الحالية، صنعية هذا الفكر الاقتصادي المتأثرات، من برعة شديدة نحو تسليع الرابحة، رابحة المصرة، وتغصن بها الثقافة كما شبهها البعض بالناسية إلى حتمتها، ودعا لهذا هنا من مصدر الصعوبة الأساس في استيعاب ظاهرة اقتصاد المعرفة أن يتعامل فقط مع موارد لا مادية غير محسوسة بل يمتد توجهه اللامادي ليشمل البات معالجة موارد المعرفة (المحتلة في البرمجيات ونظم المعلومات) وكذلك قائمة العوائد والكلفة المرتبطة بالإنتاج المعرفي، ومن أمثلة ذلك

الحد صنعية اقتصاد المعرفة وبكسر سبداً لذلك أن ثلاثة من اعنى اصعب العالم العشرين بنوا وثروتهم من صناعة البرمجيات، أما على مستوى المؤسسات فيبقى مثالاً هنا أن إجمالي القيمة الراسمالية لخمس شركات تعمل في مجال صناعة المعلومات قد تصاعف ٥٠ ضعفاً خلال عشر سنوات من ١٢ بليون دولار سنة ١٩٨٧ إلى ٦٠ بليون دولار عام ١٩٩٧، وعلى مستوى الاقتصاد الدول، نكتفي بمثالين هما: المثال الأول من الولايات المتحدة حيث يفوق حالياً إجمالي قيمة صناعات البرمجيات والنشر والتسجيل الصوتي والمرئي عائد قطاعات الزراعة وصناعات الفضاء رقم المليون عامل، أما عالمياً فيؤكد أهمية حقق قطاع صناعة البرمجيات عام ٢٠٠٠ ثمانية مليارات دولار ونافز حجم عمله رقم المليون عامل، أما عالمياً فيؤكد أهمية اقتصاد المعرفة (إزاعاً نصيب التكنولوجيا المتقدمة في التجارة العالمية من ١٢ إلى ١٩٨٠ عام ٢٤ عام ١٩٩٤.



## ١. الحاجة الأساسية

### لمعرفة اقتصادية جديدة

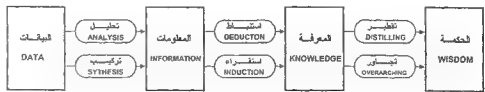
إن استيعاب ظاهرة اقتصاد المعرفة يتطلب، أول ما يتطلب، معرفة اقتصادية جديدة ما خلفه لنا منظر الاقتصاد الصناعي والسياسي من أمثال آدم سميث، وكارل ماركس وفريدريش فون هايك، وما رسخته الكينزية والتأويلية وما بعد الكينزية وما بعد التأويلية وما تولد من التوجه الاقتصادي الليبرالية الجديدة من تآشيرية ورجانية، وما طرحه

وفقاً لهذه الرباعية يتم رصد تطور الكمبيوتر من آلة لمعالجة البيانات data processing إلى آلة لمعالجة المعلومات information processing، ثم إلى آلة لمعالجة المعارف knowledge processing، ثم إلى آلة قادرة على محاكاة وظائف الشخص الحيوي: فهماً وتعبيراً، قراءة وكتابة، تصنيفاً وتلخيصاً، وعلى القيام بمهام الخبراء من محسبين ومحللين ومعلمين، وعلى اتخاذ القرارات ومقارنة السيناريوهات والتحكم في النظم والآلات، وإقامة العوالم الميكروية virtual micro-worlds، بل برهنة النظريات وتأييد المقالات أيضاً. خلاصة، لقد هجر الكمبيوتر طائفة المعرفة الكامنة في جوف المعلومات، ونستهدي في مجارها هنا ما خلاص إليه بروكر<sup>١٣</sup> Brookes في محاولته لوضع أساس نظري لعلم استرجاع المعلومات حيث طرح بحارة مفهوم العالم الإدراكي cognitive كخريطة معرفي لتعامل العيزرائي (المادي) phyiscal، وكما حدد أنيشين للفيزيائي علاقته الحاكمة بمعدائه الشهيرة التي تربط بين الكتلة والطاقة، اقترح بروكر، في المقام الثاني، المعلومات، المعرفة، كأساس للعالم الإدراكي، لتصبح في إطارها المعلومات في مقام الكتلة والمعرفة بمثابة طائفتي الكائنة، وهكذا أصبحت المعرفة قوة دافعة، أو محركاً رئيسياً للاقتصاد الحديث؛ فهي التي توفر معظم الوسائل الخاصة بزيادة إنتاجية عمالة المصانع والمكاتب والفصول، وهي مصدر محتوى الرسائل المتبادلة عبر شبكات المعلومات والمقوم الرئيسي للبرمجيات التي تعالج هذا المحتوى، وقد أكدت مؤشرات عديدة مدى الأهمية المتزايدة لعدد المعرفة، سواء على مستوى الأفراد أو المؤسسات أو الدول أو العالم بأسره، فعلى مستوى الأفراد تصاعف نقل العمالة الذهنية، وتعاظمت سطوة الراسماليين الذهنيين

استيعام المادج، وقراءات أجهزة اليباس، والإشارات التي تنبئ من أجهزة الإرسال وتنقلها أجهزة الاستقبال، البيانات هي ما نذكره مباشرة بحواسنا، هي إشارات اليد وحركة العين، وإيماءة الرأس، وتغير ملامح الوجه، وهذا بالطبع على سبيل المثال لا الحصر.

المعلومات؛ هي نتائج معالجة البيانات من خلال عمليات التحليل والتكريب، وذلك من أجل استخلاص ما تتضمنه البيانات من مؤشرات وعلاقات وتعالقات ومقاربات وكليات وزيادات ومعدلات وغيرها، وذلك من خلال تطبيق العمليات الحسابية والطرق الإحصائية والرياضية والمنطقية، أو من خلال إقامة نماذج المحاكاة وما شابه، وعليه فالبيانات هي ركيزة المعلومات، هي المتغير المستقل الذي لا يستحدث، والمعلومات هي المتغير التابع

المعرفة، هي حصيله هذا الامتزاج الخفي بين المعلومات والخبرة والمدرسة الحسية والقدره على الحكم، نحن نلتقي المعلومات، ونستخلصها من عقولنا، لنطبق عليها البات الاستنباط deduction لاستخلاص المعرفة الصمنية الكامنة بها، والبات الاستقراء induction لتوليد معرفة جديدة انطلاقاً منها، استنتاجاً من ذلك هالفريق بين المعلومات والمعرفة يقوى بكثير الفرق منها، أي المعلومات، وبين البيانات، الحكمة، أخيراً، فصل إلى ذروة الهرم المعرفي، حيث نواجه أعقد عمليات التي يمرارها الذهن البشري لـ، لتعظيم، المعرفة إلى حكمة مصافاة ونجاح، النجاح من المعرفة، واستهلاك السائد، وزعزعة الراسخ، من أجل فتح فاق معرفية جديدة، ومن أجل كسر القيود واقتناص الفرص، وتزويد استغلال الموارد واستخدام الوسائل والموازنة بين تحقيق العايات وكلمه الوصول إليها.



شكل رقم (١): مسار الارتفاع من مستوى البيانات إلى مستوى المعرفة وصولاً إلى الحكمة







## ثانياً، منظومة المعرفة

### من منظور اقتصادي

#### ١٠٢ الاطار العام

### لنظومة المعرفة

حظي الاقتصاد بفسط واخر من الفكر الفلسفي والتفسير الأكاديمي والتبسيط العلمي، على العكس من ذلك ظلت المعرفة، رغم شيوع استخدامها لها، بمثابة عن الوضوح والتحديد. وهو أمر لا يتفق مع تزايد أهمية الدور الذي تلعبه المعرفة في صياغة المجتمع الحديث بصفة عامة، ويتعدى معه تناول إشكالية اقتصاد المعرفة بصفة خاصة، لهذا نود هنا، كتمهيد أساسي، استعراضاً موجزاً لمنظومة المعرفة، والتي يلخص (شكل ٢) اطارها العام من منظور الدراسة الرابطة، ويشمل هذا الإطار ثلاثة مكونات رئيسية هي:

- نوعيات المعرفة ومستوياتها.
- الدورة الكاملة لاكتساب المعرفة.
- المراحل المعرفية التي تساند المعرفة وتتبع منها ونصب فيها.

وستتناول فيما يلي كلا من هذه المكونات الثلاثة بإيجاز من منظور اقتصادي



#### ٢٠٢ نوعيات المعرفة

يمكن تقسيم المعرفة وفقاً لمجالاتها وطبيعتها إلى:

معرفة علمية: وهي تتركز على علوم الطبيعية ممثلة هنا بتأنيده علم الطبيعة (الفيزياء) التي يتعامل مع الأحياء، أساساً، وعلم الأحياء (البيولوجيا) التي يتعامل مع الحيوان، وقد قام اقتصاد المعرفة على تكنولوجيا الكمبيوتر والاتصالات التي تعد الفيزياء

العائد السياحي والكلفة الاجتماعية لتدمير البيئة المحلية، وتهديد الآثار التاريخية، ولعبت بالتقاليد الاجتماعية كما نشهد في بعض المناطق والقرى السياحية؟

ولا شك ان التعامل مع العناصر اللامادية عبر المحسوسة أكثر تحدياً نظراً لغياب الأسس الكمية لحسابها وصعوبة التمييز باحتمالاتها المتعددة واثارها الجانبية غير المتوقعة. خلاصة القول إن اقتصاد المعرفة يعمو على ركبة من: المواضع، والمفاهيم الزائلة التي قد تستقر بعد، وربما يصير ذلك تعدد الاسماء التي أطلقت على اقتصاد المعرفة، والتي تشمل قائمة مترداهة:

اقتصاد اعدام الوزن Weightless economy  
الاقتصاد اللامادي Immaterial economy  
اقتصاد المعلومات Information economy  
اقتصاد فضاء المعلومات Cyber economy  
اقتصاد اللامحسوس Intangible economy  
وتحاشياً للخوض في مشابهة التعاليف والعروق الدقيقة، استقر الرأي على تسميته بـ الاقتصاد الجديد، وهو اقتصاد جديد حقاً لا يدين، حتماً، إلى نظريات الاقتصاد التقليدي أو حتى إلى صورت معدلة منها.

إزاء كل هذه التحديات تجاسرت الدراسة الحالية على اقتحام متاهة اقتصاد المعرفة في محاولة يقوم بها «معلوماتي»، لا «اقتصادي»، تأكيداً لكون اقتصاد المعرفة قضية أساسية في المراحل الأولى لتجارة حدود التخصص الضيق بعد، ان باتت شاعلة للجميع، تستهل الدراسة باستعراض موجز لمنظومة المعرفة من منظور اقتصادي، تقوم بعده حول بعض الماهيم والركائز الرئيسية التي تقوم عليها منظومة اقتصاد المعرفة في محاولة لتحديد معنى كل منها ومزمار فيما يخص المعنى يتم استنباطه من مقارنة تعميده الدراسة بين طبيعة اقتصاد المعرفة والاقتصاد التقليدي تبرز من خلالها النقط النوعية التي أت إلى هذا التحول وأنجبت عنه، أما العجز فقد سعت إلى الوصول (إليه بسرد انعكاسات هذه النقطة النوعية على الجوانب المختلفة للمنظومة الاقتصادية.

الوراثي لكشف بنيتة التركيبية ومعاني (دلالات) مقاطعه الحديثة.

لقد استدرجت تكنولوجيا المعلومات علوم الإنسانية إلى حلبة الاقتصاد بعد ان وفرت لهذه العلوم التكنولوجيا الخاص بها، المتمثل في تكنولوجيا اللغة وهندسة الذكاء الاصطناعي والهندسة المحمعية وصناعة الثقافة وما شابه، ويمثل الثالوث المعرفي المكون من الميكروبيولوجي وعلم اللغة الحديث وتكنولوجيا المعلومات مقدمة ركبة اقتصاد المعرفة والتي تحرر ورعها قاطرة المعرفة الإنسانية بأكملها؛ فلسفة وعلماً وفناً وثقافة وقناعة.

المعرفة الكامنة وراء الفنون، إن الفن في جوهره، ضرب من المعرفة، معرفة تختلف من حيث طبيعتها عن تلك التي يمدن بها العلم، وقد أكد هذه الفكرة المعنى المعرفي الذي اتخذته فنون عصر المعلومات، والتي تودر هنا بعضاً من اجناسها: الفن الرمزي، الفن الموهومي، الفن الاتصالي، ومجيدتها كما تدل أسماؤها كثيفة المعرفة، فقد فحرد هذا التوجه الفني كثيراً من القضايا التي استلزمته تصحيح المعرفة الكاسية وراء الفنون، والتي أصبحت عنصراً أساسياً في تكامل معرفة عصر المعلومات، وهي المعرفة التي تلتى، كما أوضحنا، عن الفصل بين الطبيعية والإنسانيات من جانب، وتسمى لا ختراق الحواجز الفاصلة بين العلوم والفنون من جانب الآخر.

تكمن علاقة الفنون بعلوم الطبيعية والإنسانيات بفانلة ثلاثتها بعلم اللغة، وقد أشرنا أعلاه إلى علاقة الطبيعية والإنسانيات بعلم اللغة، أما فيما يخص الفنون فانفلة في بمثابة «النسق الرمزي للألم، الذي يحثي به لوضع الأساس النظري للغات الفنون الأخرى: لغة الموسيقى ولغة الشعر ولغة التشكيل ولغة السرح ولغة الأداء الحركي، تمثل المعرفة الكامنة وراء الفنون مدخلا نظرياً أساسياً لإحدى التكنولوجيات الحديثة لاقتصاد المعرفة، وتقتصد بها تكنولوجيا الوسائط المتعددة multi - media التي تسترجع فيها أسواق الرمز المختلفة خصوصاً وأكثراً وأصلاً، معرفة الخبرة العملية، وهي المعرفة الدارجة، معرفة الإنسان الشائع المباشر common sense knowledge ومعرفته الجبريات العملية، وممارسات الحياة اليومية، وهي المعرفة الشائعة إن جاز التعبير، التي يلجأ إليها الفرد العادي



مضى الاقتصاد سادراً في غيه. زاعماً كونه مجالاً مستقلاً بذاته. وقد استتوته المؤشرات الكمية والمعادلات الرياضية والسلاسل الزمنية. ولقد أخذت بلبه وضعية العلوم الطبيعية. وكان الأولى به أن يتوجه بمناهجه صوب الإنسانيات لا الطبيعيات. وما يهبط الضريبة التي دفعها البشرية لهذه العقلانية الاقتصادية القصيرة النظر



تتمكن هندسة الكداء الاصطناعي من استخراج روبوتات كدائية تتخلف عن جيل روبوتات التعمية الشائع حاليا. من يجعل من الروبوتات "اصحاب الياقات العميقة"، كما يطلق عليها البعض، مضطرين لتهديد حقيقي بالاضغاث الياقات الزرقاء (عمال الصانع)، ولن يتوقف هذا تهديد سوء الكداء الاصطناعي عند هذا الحد، فهم يطورون حاليا ما يعرف بالروبوتات العرفية *know bot* التي من المحتمل ان تحل كثيرا من اصحاب الياقات البيضاء (عمالة المكاتب) الى جحافل حيوش البطالة

### ثالثاً: مقارنة بين

## اقتصاد عصر الصناعة

واقْتِصاد عَصْرِ الْمَعْرِفَةِ،

يلخص الجدول رقم (١) مقارنة بين اقتصاد عصر الصناعة والاقتصاد القائم على المعرفة وقد اختصرت مقارنة العناصر على الجوانب الرئيسية التالية من منظومة الاقتصاد:

القيمة  
المليكة

قانون العرض والطلب  
علاقة المنتج بالمستهلك  
أسس تقييم الاداء الاقتصادي  
الادارة والتخطيط

[illegible]

وبذلك علاوة على اقتصاد المعرفة  
 لا يتناول هذه الدراسة، لا يسع  
 مجالها تقديم هذه الفرع  
 لقائتها المباشرة وغير المباشرة  
 اقتصاد المعرفة، وستكتفي منها هنا  
 عندهم المعرفة نظرا لتقله  
 قتصادي  
 تمثل هذه المعرفة فرعاً مستحدثاً  
 من فروع الهندسة السبينة soft  
 engineering، وتهدف إلى الاستعانة  
 بتجربة لاكتساب المعرفة من مصادرها،  
 لتطبيق هذه المعرفة بصورة دقيقة  
 نظمياً في هيئة قواعد المعارف  
 knowledge and expert system، لتتضمن خبرات  
 فروع تخصصية من الهندسة  
 تشمل على سبيل المثال لا الحصر  
 هندسة الملمة

هندسة الحوار  
هندسة النظم  
هندسة البرمجيات  
هندسة الاحتياجات  
هندسة الصورة  
الهندسة المجتمعية  
هندسة الحيال: imagineering  
وقد أصبحت هذه القضايا من أهم  
وأت القضاة المعرفة علميا وتكنولوجيا  
تعليميا وتعليميا.  
تعمل هندسة المعرفة أيضا هندسة  
لغذاء الاصطناعي وتكنولوجيا المخ  
العصب: neuro-technology، ولكليهما  
اقتصاديات بائنة. على سبيل المثال

وسائل توظيف المعرفة وريادة الإنتاجية  
وتتمحور في عصره الاقتصادي  
توليد المعرفة الجديدة، وهو  
تغلال المعرفة القائمة في توليد معرفة  
جديدة غير مسبوقة. أو معرفة بديلة  
تتمثل محل معرفة مستفادة لابد من  
اكتشافها. وهي المهمة التي تقوم بها  
قطاعات البحوث والتطوير، والتي  
أصبحت، في أغلبها، خاصة بشروط  
الحيوي الاقتصادي في أي الوباء  
المعاصرة. المهمة الخاصة  
بدراسة كفاءة توليد البحوث  
العلمية نتيجة لظاهرة تصمم العلم  
التي يمكن أن يصمم تماماً لتكنولوجيا  
وليس العكس كما كان عليه الحال في  
الماضي، ويقرر هذا التحول الاندفاع  
التدريج حول خصائص أعمال البحوث  
والتطوير، وتغيير طابعه الاندماجي بين  
مؤسسات البحوث والتطوير، ونكبات  
بدراسة المهمة للعلوم الانمائية  
بدرجة تفاد باستثمارها نهائياً.

تأسس على هذا العنصر الموجز لثورة  
اكتساب العربية على أن تؤكد أن التنمية  
القائمة على المعرفة تتحقق إلا  
اقتضت هذه الثورة فقد اسلم البعض  
فهم خاطئ مزاد أن توفر المعلومات على  
المعرفة الإثبات يمكن أن يؤدي إلى توفر  
المعرفة واستغلالها اقتصاديا، وغير شاهد  
على وجه الحظا الشائع أن معلومات مشروع  
الجيوم، تستر بقا على شكل التبرنت  
فوق اكتشافها، ولكن ما أحد القرن بين هذه  
المعلومات المتاحة، المباشرة، وهذه  
الضمنية الكامنة على وجهها، وهي المعرفة  
والقيمة الحسية التي تستخدم عمليا  
لاكتساب الاحياء الأمراض وصناعة الدواء  
الجيني.

٤٧: شجرة المعرفة؛

لقد اوقفت شجرة المعرفة فروعا  
معرفة متعددة خاصة بها ، وهو ما يؤكد  
تعاظم دورها في صياغة المجتمع  
الإنساني ووضعها الحوري الذي يزداد  
رسوخا سواء على مستوى الإنجاز  
الفكري، أو مستوى التطبيق العلمي،  
تتضمن فروع ، معارف المعرفة  
نظرية المعرفة  
علم اجتماع المعرفة  
علم نفس المعرفة  
علم الحرفة  
هندسة المعرفة  
فنون المعرفة  
تاريخ المعرفة

ولهم والعهود، وحل ما يواجهه من مشاكل  
وتحسين ما يلاقيه من طواهر. فقد ثبت  
جيداً أن العمل على مدى الطول والعمق في  
مجال أعمال ماركس، وماكس فيبر،  
ودوركايم والإشارات إلى استيمبولزوف  
(العرفية) لمرشد العادي<sup>(1)</sup> قد أخذت.  
في رأيي، نظراتها إلى الاجتماعية الجامعة  
تجيب على الأخطاء عند ميز بين  
الحقيقة والفرقة. الحقيقة تتواءم مع النظرية أو  
العلم، والرأي يصنعه المعلومات الأقل  
درجة، الشاعرة والمحاثة للنرد - امداد. إن  
الدراسة العملية المدرجة في التي  
انضمت للتشكيل والحروف الانشائية،  
والموسيقى الفكرية والبروكفة النيموية وما  
شابه، وهي معرضة لفشل حتمي إلا  
اقتصاد الجديب، هنا هيكل من التقليدي  
في تحديد مكتبتها وحماية حقوق  
مالكها كما سيتضح فيما بعد

## ٢، ٣ الدورة الكاملة

### لاكتساب المعرفة:

يُستمدّ القِيامُ المعرفة على قدرة المجتمعات على التصاقها بالهاجس الحتمية للثبوت الكاملة لآلياتها العلمية، ويقصد بها أربع عمليات أساسية، وهي:

١- الخفايا إلى مصادر المعرفة، ويشمل ذلك البحث عن المعرفة واسترجاعها، والتواصل مع من يمتلكون ماضيها من أهل العلم والخبرة، وقد تعاطف هو هذا التواصل مع انتشار حلقات النقاش عبر الإنترنت، ويتطلب هذا إلى المعرفة على حتمية قرره كلفة إرسائها، علاوة على ما أضفاته الملكية الفكرية من هيود وأعباء مضاعفة على اقتناء المعرفة.

« استيعاب المعرفة: ويقصد بها مهام تحليل المعلومات وتبويبها وهرستها وربطها واستخلاص ما يكمن بها من معاني وفكر محورية. وقد استحدثت لذلك أساليب تكنولوجية متقدمة مثل النظم الآلية للتخليص والهرسة والتفنيص عن المعرفة في مناجم البيانات، data mining، وهي شبه المؤكد أن تستغل المراكز المتقدمة هذه المنتجات الحديثة تجارياً، وأن تقسيم أسبغة متبعة حولها تحرم غير القانونيين من الاستفادة منها.

• **توظيف المعرفة:** ويمثل أساليب تطبيق موارد المعرفة لتوصيف المشكلات وحلها، وتمثل نظم المعلومات بصفة عامة، والبرمجيات بصفة خاصة، أهم



عدد التاسع والخمسون - ديسمبر ٢٠٠٣



# استسلم البعض لمفهوم خاطئ مؤد أن توفر المعلومات على شبكة الإنترنت يمكن أن يؤدي إلى توفر المعرفة واستغلالها اقتصادياً. وخير شاهد على هذا الخطأ الشائع أن معلومات مشروع الجينوم، تنتشر تبعاً على شبكة الإنترنت فور اكتشافها. ولكن ما أشد الفرق بين هذه المعلومات المباشرة. والمعرفة الضمنية الكامنة في جوفها



## ٤ علاقة المنتج

### بالمستهلك

#### (أ) المعنى

✦ إن كان اقتصاد المعرفة قد أحدث عدة فلات نوعية على الأصعدة الاقتصادية السالمة الفكر، فما نجم عنه بالقياس على معيار ثنائية الإنتاج والاستهلاك لا يقل عن كونه انقلاباً رج المنظومة الاقتصادية من جدورها، فعلى جانب الإنتاج هناك فرق جوهري بين اقتصاد عصر الصناعة القائم على طور الإنتاج من الصنعة، واقتصاد عصر المعلومات القائم على طور إعادة الإنتاج، ويقصد به هنا تكرار الإنتاج بالنسبة دون ما حاجة إلى التصنيع من الصفر، فكل ما ينتجه مجتمع المعلومات من نصوص وصور وألحان وموسيقى وبرامج، قابل للنسخ، أو إعادة الإنتاج، ويمكن أيضاً إعادة إنتاج الخبرات، بل الخبراء أنفسهم، عن طريق النظم الخبرة السابق الإشارة إليها، أما على مستوى الاستهلاك فقد قلب اقتصاد المعرفة رأساً على عقب، العلاقة بين الموارد واستهلاكها، حيث تنتصب الجذور الاقتصادية مع استهلاكها، تنمو الموارد المعرفية كلما زاد معدل استهلاكها، وكان من الطبيعي أن تتردد انكسارات هذا الانقلاب الجذري لثنائية الإنتاج والاستهلاك في جميع أرجاء المنظومة الاقتصادية شمولاً وتخطيطاً وتصنيعاً وتصنيعاً وتوزيعاً.

✦ تتجذر اقتصاد عصر المعلومات حول الإنتاج بالجملة، أو الإنتاج الكلي، تصنيفاً وإعلاماً وتعليماً (mass Production, mass communication, mass education)، في حين ينحصر اقتصاد المعرفة إلى الملائكة (demassification)، من جانب آخر، لقد كالم التصميم في الصناعات التقليدية لصيقاً بالإنتاج، وكان الاستهلاك تصديقاً بالتوزيع، فاستغلال الطعام مثلاً يتطلب أن يكون لصيقاً بمستهلكه، وطالب الخدمة لابد أن يذهب فعلياً إلى مكان تقديمها، أما بالنسبة لمنتجات اقتصاد المعرفة فيمكن فصل شق التصميم عن شق الإنتاج، ويمكن أيضاً استهلاكها أو استخدامها عن بعد.

#### (ب) المعنى

✦ تزداد قدرة المجتمعات على التمسك

المعكسة شريطة أن تحظى بالقبول الاجتماعي وتُرى بمطالب الجدوى الاقتصادية، فهي سهيل المثال هناك تطبيقات عديدة يمكن تنفيذها حالياً من خلال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، إلا أنها قد أُرِجت نظراً لعدم وجود طلب اجتماعي عليها (من أمثلة ذلك هاتف الفيديو videophone)، وما سمعنا عنه من رفض الكثرين لاستساغ البشر، خلاصة أن آليات سوق اقتصاد المعرفة في سوق تعمل بدفع الطلب لا بدفع العرض.

#### (ب) المعنى

المنتج المعرفي أكثر قابلية للعولة، وإذا كانت شبكة الطرق السريعة التي أقامتها أمريكا في العصر الحثري تتوزع منتجات الصناعة التقليدية محلياً ما بين الولايات الأمريكية، شبكة نقل المعلومات السريعة super information highways، أو الإنترنت، في العصر الحثري لتوزيع منتجات صناعة الثقافة الأمريكية عالمياً.

✦ تستغل اللغة ميزة ثنائية أساسية في منتجات اقتصاد المعرفة بصفة عامة، والمنتجات الإعلامية والتواصلية بصفة خاصة، ويمثل ذلك فرصة حقيقية أمام الطورين المحليين لدخول عصر اقتصاد المعرفة خاصة في مجال الصناعات الثقافية.

✦ مع زيادة التوجه الشفاهي لتطبيقات المعلوماتية، فإن ما تقوم به صناعة الثقافة الأمريكية من التجنيس (homogenization) لصالح فوعة متوحد، الصائم هو، في المقام الأول، توجه اقتصادي استراتيجي من أجل توسيع النطاق التسويقي لمنتجات هذه الصناعة من خلال زيادة قدرتها على الحرق الحواجز الثقافية.

✦ يتجاذب تسويق منتجات اقتصاد المعرفة إلى تسمية الأسواق معرقياً، وقد أشار البعض إلى فجوة معرفية تزداد اتساعاً ما بين شق الإنتاج والتسويق، ونقصد بهما في مجال الأول، ونقصد بالتسويق للسلع والخدمات، وشق السوق المتأخر لهذه المنتجات، والتي مارات أسيرة أليات السوق التي رسختها المنتجات التقليدية، إن نوعية الأسواق بالمنتجات المعرفية لابد أن تشمل تدريب المستهلك على كيفية تطبيقها عملياً، وتميزها بالقيمة المضافة وأن تكشف له عن حدود هذه المنتجات وإطارها الجانبية.

لشروط الأرضي وشروط الأموال، فهل سينجح في عصر الثروة المعرفية والعمالة الذهنية، هناك من يشكك في ذلك متوقعاً فشل المولة في حماية الكاتب ويخذ موقفاً متساهلاً لهذا حماية الملكية الفكرية، ولكن ما يهنيه هنا هو الحاجة إلى الثقافات أكثر عدلاً وتوازناً بين مصالح جميع الأطراف، أفراداً وجماعات، مبتكرين ومستفيدين، ومستهلكين.



## ٣ قانون العرض والطلب

#### (أ) المعنى

✦ في الاقتصاد التقليدي تزداد قيمة المنتجات مع الندرة وقلّة العرض، في حين يحدث العكس في الاقتصاد المعرفة، حيث تزداد قيمة المنتج المعرفي كلما شاع وتوفر، فعلى سبيل المثال تزداد قيمة برامج الكمبيوتر، كبرامج نظم التشغيل الشهير ويندوز، مع شيوعها والساع قاعدة مستخدميه حتى يصبح النظم القياسي بحكم الأمر الواقع (defacto standard) لتتروى بالتالي البرامج المنافسة التي تقل عنه شيوعاً واستخدماً حتى لو فاقته جودة وقلت عنه سعراً.

✦ من جانب آخر، فإن سوق الاقتصاد التقليدي مدفوع بقوة العرض، أو بقول آخر إنها تعتمد على إنتاج الممكن لتكنولوجيا ويعدها يتم عرضه وتسويقه بتسليمه لطلب عليه، هذا الوضع يكاد أن ينقلب إلى نقيضه في ظل اقتصاد المعرفة، وذلك نظراً لإمكانات الهائلة لتكنولوجيا المعلومات والتكنولوجيا الحيوية التي أصبحت من القدرة بحيث تحل الممكن المتصور إلى واقع ملموس، في ظل هذه التكنولوجيا العالية القدرة تصبح عملية إنتاج السلع والخدمات بمثابة عملية إنتاج في نطاق واسع من التطبيقات التكنولوجية

التي تتوحد مع زيادة قدرتها على استهلاك العرض واستيعابها وتسلتها، وغداً، وإدارة العواطف التي تقلل من قدرتها على الامتناع المعرفي وسرعة تخلصها من المناهات المعرفية من المعلومات الصورة والإعلام المصل، وما يعرّد الفكر الخرافي والعلم المزيف، وأشباه العلم وأضداد.

✦ ستختص تدريجياً الحلقات الوسيطة بين المصمم والمستهلك، وتلعب سلطة المصمم على المنتج، وتنقل سلطة المنتج إلى سلطة المستهلك أي لتطويع الإنتاج لخدمة مطالب هذا المستهلك؛ متقلها أو متعلماً أو قارناً أو مستخدماً لنظام المعلومات

✦ ينطوي فصل التصميم عن التخطيط في التصنيع بصورة أهم فصل الشق المعرفي عن الشق المادي على عنصرين متناقصين: استغلال الدول المتقدمة للمعرفة في الدول النامية مما يفتح فرص عمل لواطئسى هذه الدول، انحصار دور الدول السامية على التعامل التكنولوجي مع الشق المادي دون الشق المعرفي في العائد الكلي، وصاحب الدور الأكبر في عملية نقل التكنولوجيا، والذي بدوره يتوحد الشق المادي إلى صناديق سوداء لا يمكن فهم سرها إلا من قبل من قاموا بتصميمها

✦ يحذر الاستهلاك من بعده المستهلك من تأثير البائع إلا أنه يحتج على استحداث وسائل مبتكرة لخدمات ما بعد البيع، وتصميم المنتجات ومحاكاة الخدمات بصورة أقرب ما تكون للواقع، وذلك من أجل معارضة المشتري أو طالب الخدمة، في اتخاذ القرار بالافتناء بصورة دقيقة، من ضمن هذه الوسائل التكنولوجيا الإلكترونية، ونظم المحاكاة باستحداث تكنولوجيا الواقع الخليلي Virtual Reality.

✦ من جانب آخر، هناك حاجة الشراء عن بعد إلى وسائل مستخدمة لتبليدات عن شخصية الطالب ومصاديقته، وتأمين وصول ما تم طلبه إليه، سواء عبر الشبكة التي يحدث في الكتب والبرامج على سبيل المثال) أو من خلال وسائل الشح التقليدية يحتاج لذلك إلى وسائل مستخدمة للتوزيع الإلكتروني والبعب الكتروني، والحصول على توقيع المشتري من خلال ما يعرف بالبصمة





# الملكية الفكرية يمكن أن تزيد من اتساع الفجوة الرقمية digital divide بين العالم النامي والعالم المتقدم. ولا يجب أن يفرض ذلك بأن الكاتب يتخذ موقفاً مناهضاً لمبدأ حماية الملكية الفكرية، ولكن ما يعنيه هنا هو الحاجة إلى اتفاقيات أكثر عدلاً وتوازناً بين مصالح جميع الأطراف. أفراداً وجماعات. مبتكرين ومنجيين ومستهلكين



٢٦٤٧	٦١٤	الكمبيوتر
٦٦٥٨	٦٨	الاتصالات
١٧٢٤	٩٣	التكنولوجيا الحيوية

## (ب) المعزى

✧ تتطلب إدارة اقتصاد المعرفة إلى نوعيات من المهارين تختلف تماماً عن تلك التي تمررها بيئات العمل التقليدية التي غالبا ما تدن شدة تحت ثقلها التسطحي.

✧ تسهل النزعة الاندماجية المتنامية ما بين كبار اقتصاد المعرفة حائلا أمام لحاق الصغار بهم، ولا أمل أمام هؤلاء الصغار إلا ملاذ الإبداع، وما أكثر الحالات التي تفوق بها الصغير السريع صاحب الأفكار الجريئة على الكبير الثقيل العاجز من ملاحقة التطور والتخلص من حرسه القديم، وخير مثال على ذلك الأزمة التي مرت بها شركة آي. بي. إم. والردة صناعة الكمبيوتر بلا منازع، وذلك بسبب عجزها عن التكيف مع الثورة التي أحدثتها الحواسيب الشخصية

✧ سيحذر الفضاء المعلوماتي بكيانات خالقية عديدة تحتاج إلى فكر إداري وتنظيمي جديد، أملاً في ألا يؤول الأمر إلى النهاية إلى ما آلت إليه تنظيمات عصر الصناعة بكل ما وصعها من احتكاك كبير، وانحياز نحو الكبير على حساب الصغير، وتوجيه مسار التطور التكنولوجي لخدمة المصالح التجارية وتغليب الربح من المصالح العام لأغلبية الناس

## الهوامش

Brookes, B.C., 1981, Information Technology and the Science of Information, in R N Odell, ed., Information Retrieval Research PP. 1-9, Butterworths

(١) شركات ميكروسوفت وإيبنت وكومباك ودي سيكو

(٢) الاقتصادي الهندي الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد المقراء

Poster, M., 1990, The Mode of Information, The University of Chicago Press, Page: 177

(٥) أمثال ذلك اسحق برايم لسبق الكلمات المعروف بـ Word Perfect بظهور برنامج

الصغير، والذي عادة ما يكون أكثر قدرة من الكبير في توليد الأفكار والقدرة على إحداث التغيير، في المقابل يجمع تنظيم مؤسسات الاقتصاد المعرفة بين لامركزية الإنتاج والتوزيع ومركزية السيطرة الإدارية من خلال نظم المعلومات المنتشرة جغرافياً، ويبدو التنظيم الشبكي أكثر اتساقاً مع الاقتصاد المعرفة، وذلك لعدة أسباب أهمها

✧ اتساق هذا التنظيم مع الطابع الشبكي للانترنت التي تلعب دوراً محورياً في اقتصاد المعرفة

✧ اتساق هذا التنظيم الشبكي مع بيئة المخ البشري. المنقب والموظف والمولد للمعرفة.

✧ كون الاتصال الشبكي أكثر قدرة على التكيف البدنامي مع اختيارات الهادف لاجتماع المعرفة حيث يسمح بعدة بدائل ومسارات لحل المشاكل والوصول إلى العايات.

✧ من جانب آخر اقتضت تنظيمات الاقتصاد التقليدي على الكيانات القائمة بالفعل، في حين يتجه اقتصاد المعرفة رويداً رويداً إلى الكيانات الخالقية virtual net up التي يتم إنجاستها بدلاً من الكيانات الواقعية، وتتضمن قائمة الكيانات الخالقية نطاقاً عريضاً من الانشطة الخالقية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: مراكز التسوق الخالقية، المعامل الخالقية، حداثق الترفيه والألعاب الخالقية، المعارض والمتاحف الخالقية، بجانب هذه الكيانات الخالقية يمكن إقامة تنظيمات خالقية متطابقة لتقسيم مسروق، أو مهمة معينة، على أن يتم تنكيك هذه الخاليات بعد إنجاز المهمة التي أنشئت من أجلها.

✧ قد عمق الاقتصاد التقليدي من نزعة التنافس، في حين يميل اقتصاد المعرفة إلى الجمع بين التنافس التعاون والتعاون والمشاركة في الموارد (co-opetition) من أجل سرعة الحياق بالتطور التكنولوجي الخلق.

✧ تظهر مؤسسات الاقتصاد المعرفة قابلية عالية للاندماج والتكامل الراسي والأفق وتكتيف راس المال وتستفيد على ذلك بعض الأرقام التي أوردتها تقرير التنمية الإنسانية لعام ١٩٩٧ عن إجمالي قيمة الاندماجات وحالات الانقضاء في مجالات الكمبيوتر والاتصالات والتكنولوجيا الحيوية (مقدرة بالبيليون دولار).

ما يتم اللجوء إلى الحبراء الدليس أصحابو لمبادئ الوسط بين الحكومات والجماهير فيما يخص مشاريع التنمية المعلوماتية، وبين أصحاب الأفكار والمستثمرين فيما يخص مدى جدوى الاستثمارات وتقييم عائدها وكلفتها يتطلب هذا الوضع أن يتخلص الخبراء من نزعاتهم التكنولوجرافية، وضرورة ملابهم بالأبعاد الاجتماعية والبيئية والثقافية لتطبيق التكنولوجيا، في نفس الوقت لابد أصبحت عملية تقديم الخبرة عملية ذات أبعاد أخلاقية عديدة نظراً لاقتراب تكنولوجيا المعلومات والتكنولوجيا الحيوية من المناطق الحميمية من عقل الإنسان وجسده حتى كادت التكنولوجيا، في رأي البعض، أن تتحول إلى فرع من فروع الفلسفة الأخلاق.

✧ نظراً لسهولة وطبيعية الزائفة فإن اقتصاد المعرفة أكثر عرضة لمصاد الإدارة والتلاعب في السجلات الحاسبية والترب من المسؤولية والحاسبية، وهو ما يتطلب توفير الضمانات والتنظيمات التي تكفل الإدارة الصالحة والسلوك السليم.



## ٦١٣ نمط الإدارة

## والتنظيم

### (أ) المعنى

✧ تبنيت معظم تنظيمات عصر الصناعة أسلوب المركزية القائمة على التسلط الهرمي متعدد المستويات، والذي يفترض أنماط عمل محددة مسبقاً، وعلاقات ثابتة، أو شبه ثابتة، بين العاملين مع بعضهم البعض، وما ييسر الوحدات التنظيمية المختلفة لا تتلام هذه التنظيمات الهرمية ذات الطابع الاستلاعي مع الدينامية الهادرة لانشطة اقتصاد المعرفة، وأسرعته الهائلة التي تتطور بها هذه الانشطة والعلاقات التي تربط بينها، وإهام التي تتجدد رهن اللحظة، بالإضافة إلى شدة الاعتماد على العنصر الإنكاري الذي ينفاذ جوفها، مع التنظيم الهرمي ذي الطابع السلطوي المارض لسيطرة الكبير على

## ٥١٣ مؤشرات

## التقييم الاقتصادي

### (أ) المعنى

✧ يقاس أداء مؤسسات الإنتاج في الاقتصاد التقليدي بمؤشرات ميسوسة مثل طاقاة الإنتاج والمخزون السلعي وحجم الاسواق وما شابه، أما مؤسسات الاقتصاد المعرفة فيتم تقييمها على أساس مدى سلامة النشطيات العلمية والتكنولوجية القائمة عليها، وقدرتها المرفعية الكامنة، وقابليتها للتوسع والاندماج مع التكنولوجيا الأخرى ✧ تتركز مقومات التوسع لمؤسسات الاقتصاد التقليدي، أساساً، على عوامل مادية إضافية خطوط إنتاج جديدة أو فتح منافذ جديدة لتوزيع السلع والخدمات وما شابه، في حين تقاس قابلية مؤسسات اقتصاد المعرفة للتوسع على توفر البنى التحتية من شبكات الاتصالات وبحوث وتطوير وقواعد معارف وما شابه، ومعهمها أمور تحدد مستوى الذكاء الجمعي للمؤسسة ككل، ذلك والكذ، ولابد التفاعل الدينامي بين العاملين والوحدات التنظيمية داخل المؤسسة

✧ يمكن أن تلعب المخططات والأفكار دوراً حاسماً في اتخاذ القرارات، وبكمثال ذلك تشير هنا إلى الخطط الأمريكية لقيادة الدفاع الإستراتيجي Strategic Defence Initiative، والدور الذي لعبه هذا المخطط في جسم سياق التسلسل لصالح الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفيتي الأسبق، وكما هو معروف فإن مبادرة الدفاع المذكورة لم تتناظر بعض المخططات والبرصو التوسيعية والمخطط البيشية الأولية ✧ إن المنتج المعرفي ادا ما قورن بممنات الصناعة التقليدية يتسهم بصورة هائلة من حيث قابليته للتوسع والإضافة، ومثلاً هنا نستفيع معاً يجري حالياً في تطوير الأسلحة الذكية، حيث نحدد أن هذا فاعلية هذه الأسلحة ومدى دقة توسيعها وقدرتها الهجومية يمكن الناطعية وبحالات استخداماتها يمكن تحسينها وتوسيع نطاقها، في كثير من الأحيان، دون أي مساس بشق العائد المادي hardware وذلك بإدخال تغييرات طفيفة على برمجيات التحكم فيها software.

### (المعزى)

✧ نظراً لصعوبة اقتصاد المعرفة غالباً



# مصر كلها حاتجيب كمبيوتر



## مستنى إيه؟

انت كمان ممكن تجيب كمبيوتر من  
المصرية للاتصالات وكبرى شركات  
الكمبيوتر بقسط بسيط على  
فاتورة تليفونك.

**المصرية للاتصالات**  
**Telecom Egypt**  
شبكة واحدة .. بتقربنا كلنا

هذا العرض سارى لجميع أنحاء الجمهورية

لمزيد من المعلومات اتصل بالرقم المجانى  
٠٨٠٠٢٢٢٢٢٢



# أوهام الصورة

تأملات

في

النص

بين

المصري

والمكتوب

إبراهيم فرغلي



مصوراً، بوصفها وسيطاً ينطوي على خطاب يساهم المبدع والتلقي في إنتاجه. وتقتضى المؤلفة أن مصطلح «التمثيل» هو الأصلح في تفسير قراءة النصوص على اعتبار أن الوسائط المنيعة تتفاعل فيما بينها كما تتفاعل مع النصوص الثقافية المحيطة، بالإضافة إلى أن التفاعل بين اللغة المرئية والمكتوبة في النص يعد تمثيلاً أو إعادة إنتاج للنص في حاضر القراءة. أي أن قراءة ملاحقة حوارية بين المعارف والفنون والمبدع والمتلقي.

وهذا التعريف ينفي الفصل المتعسف بين النص المكتوب وبين الصورة، وهو مرسس طويلاً في الفكر الغربي وفقاً لموقف أديولوجي سعى دائماً للفصل بين اللفظ

أخرى بالإرهاب، وأحياناً تختلط الأمور فتعيب عن وعي المشاهدين المنتمين إلى أنظمة ديمقراطية غياب تمثيل فئات عديدة من المواطنين حتى غدا ما تقدمه تكنولوجيا المعلومات في عداد التمثيلات الرديئة..

وهو ما كشف الحاجة إلى نقد للثقافة المدنية على المستوى العالمي للكشف عن التفاعل بين التصويري بكافة أشكاله، والخطاب السائد في الأجهزة والوسائط، وهذا بالتحديد هو أحد أهداف هذا الكتاب الجاد، والعميق، إلى درجة الصعوبة في بعض أجزائه، والحديد في موضوعه، والذي توصل فيه د. عبد المسيح لما نسميه بـ «التمثيل الثقافي»، أي مقارنة اللغة، سواء كانت لغة متلوقة، مكتوبة أو لغة مرئية. أي سواء كانت نصاً شفاهياً، نثرياً أو نصاً

مراجعة الصورة وثقافتها عنصراً أساسياً بين عناصر أخرى تشكل منظومة المراجعة الثقافية الشاملة المرجوة عربياً وعالمياً.

د. عبد  
المسيح  
فرغلي

هذا التناقض الكبير تعبر عنه الدكتورة «ماري تيريز عبد المسيح»، في كتابها «التمثيل الثقافي: بين المرئي والمكتوب» بالقول إنه «بينما توهمنا تكنولوجيا المعلومات بنقل الواقع برمته، يتبع وراء هذا الإيهام أفراد ومؤسسات تعاونوا في تركيب هذه الصورة الوهمية، والأديولوجيا المنطوية عليها. ومن ثم، تبرز حروب الإبادة في مناطل من العالم، بينما توهم الحركات التحررية في أماكن

أصبحت للصورة الآن سلطتها التي تستمد من طغيان ثقافة مرئية تنسب العالم عبر تكنولوجيا المعلومات والاتصال بالشكل الذي يضاهي من قيمتها من جهة، ويساهم في خلق عوالم وهمية جديدة قد تستخدمها مؤسسات أو إدارات أو أفراد لتركيبتها بما يحقق أيدولوجية أو مصلحة وبشكل قد يصل إلى حد التناقض، مثل تصوير الإدارة الأمريكية لاحتلال العراق بأنه عملية تحرير أو وصف الصداميين العنصرانيين بالإرهابيين أو غيرها من التناقضات الأمر الذي يجعل من

التمثيل الثقافي: بين المرئي والمكتوب  
ماري تيريز عبد المسيح  
القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢





لوحة السيدة لسان محمود سعيد

خاصة في حالة عدم معرفة الطرف التاريخي للصورة العالم عند اقدم لسطاط. صورة بمودحية ليدكتاتور شرقي غارق في الملمات للدرجة التي يبدو معها غير مكثرت بها. لا يابه بمن يستعيت به او يستجبر. ولا يمايى لمن يدفع إليه لفسرا. سيما نشائر ثرواته من مجوهرات وفلاذ وثمانيت عاجية وذهبية في كل مكان من حوله.

وعندما شاهدت اللوحة الاصلية في محبص اللوفر بباريس قبل عدة سنوات توقفت مشدوها. وعاصي قلبي بعمق. مثل عاشق جمعته صدفه قديرية بمشيقته التي فرق بينهما القدر فجاءة. فاللوحة ضخمة جداً (٣,٩٢ × ٤,٩٦) والثاني كان علي ان اعود للخلخلف عدة خطوط لكي اشكّن من

الفروض النظرية التي اعتمدتها المؤلف في سياق تأكيدها على فكرة النص الصورة. وعوامل ارتباط المكتوب بالرئي بشكل عام.

هذا النص هو لوحة «موت سردانا بال» التي رسمها الفنان الفرنسي الرومانسي المولع بالشرق اوجين ديلاكروا (١٧٩٨ - ١٨٧٣). شاهدت اللوحة للمرة الاولى في نسخة مصورة بأحد الكتب المهتمة بالاستشراق في الفن الرومانسي. وشغفت بها. بفعل التناقض الشديد بين الانفعال الكبير الذي تعبر عنه حركة الجوارى والخدم والحراس حول فراش الملك سردانا بال. وبين الهدوء الذي نسم به ملاصق وجهه وهو بين النوم والجلوس متكئا على ذراعه الايمن أعلى الفراش الذي يتوسط المشهد. وهذا التناقض يخلق حالة من الغموض

التي تعتمد على الانتماء من مرجعيات خارجية تعاد صياغتها لتنتج استقطاعات وإضافات لتتخذ شكلاً جديداً في النص. فتعدو قراءة النص تحركاً بين مرجعية العنصر المتحليل وموضعه الجديد في النص. ومن هذه العملية التبادلية تعاد قراءة ما كان يعد فيما قبل نصاً مغلقاً تحدث معانيه. والجدل القائم بين الواقع والخيال هو الذي يحرك الوعي.



وهنا اجد نفسي مدفوعاً لتصميم واحدة من خبراتي الشخصية في قراءة نص مرئي تتفق مع التعريف السابق من جهة. كما تسهم في توضيح بعض

والجسد. والشكل والمضمون لخلق قرأتين يقوم على المفاضلة بينهما (التحيز الشكل على حساب المضمون أو العكس أو للنص المكتوب على الصورة أو العكس). تعتمد د. ماري تريز في دراستها. ضمن عدة مرجعيات. على نظرية الصورة، التي طرحها ميتشل (T.J.W. Mitchell): إذ تعتبرها أنسب النظريات إعادة في دراسة عبر تصافية لأسباب منها: أنها أطروحة منهجية مرنة. ولكونها «نظرية تقارب للغة لا كنسق مغلق. بل بوصفها وسطيّاً للتعبير ينطوي على خطاب انتقلت إليه. في الغالب. عنوى البصر. أي أن الخطاب ينطوي على التصورات المسالمة التي تحملها اللغة المنطوقة المكتوبة واللغة المرئية. أما عملية التمثيل نفسها فتصفها د. عهد المسبح بأنها «أداة بعملية التخيل



الإلام يتفاسيلها. كما كان على أن يحرك عيني بين تفاسيلها عبر زمن استغرق دقائق عديدة.

هذا الزمن المستغرق في تأويل النص المرئي من شروط القراءة النصية للوحة المرئية كما تقول د. ماري على عكس القراءة النصية للآلاف التي تحول السرد التاميلي إلى سرد نثري.

وهو ما يفنئ أيضاً أن اللغة المستخدمة في هذه الصورة لا تدعو إلى توجيه نظرة محدقة (تتملك الحقيقة المطلقة كما تشير د. ماري وتسم بها أعمال حاولت تفصيل الصورة على المكتوب) وإنما تدعوني لإلقاء نظرات مختلفة دون توجه إلى منظور محدد (لغة تدعو إلى الحوار مع المشاهد أو المتلقي). أما عرض الجوازي فقد بدا كاشفاً أولاً ومن أكثر بكثير من كونه يستهدف تأثيراً حسياً، رغم تأكيد على جماليات الجسد الأشوي الشفوي وما يتضمنه من دلالات على استغراق السلطان في الملذات الحسية.

في معرض بيانها لظواهر ودلائل الارتباط بين النص المرئي بالنص المكتوب توضح د. عبد المسبح أننا يمكننا تعريف النص المكتوب بالنص السردى، بينما يعد النص المرئي وصفيّاً؛ أي أن الأول يقترن بالعنصر الزمني، بينما يقترن الثاني بعنصر المكان، ولتكنهما في حقيقة الأمر. السردى والبوصفى، يشتملان على العنصرين معاً،

وهكذا يمكن بالفعل قراءة لوحة موت سردانابال، سردياً رغم اختزال ديكارو المسافة الزمنية إلى لحظة تاريخية واحدة هي الأوج في التوتير الدرامي للحادث، وهي لحظة استلقاء الملك على فراشه محاطاً بجواريه وممتلكاته بانتظار النار التي ستوقده إحدى خادماته ناقصة نهاية الجزء الأيمن في اللوحة الأقرب إلى فراش الملك، لتلتحم استنساخ الجميع دون استثناء.

وتشير بعض المراجع كما نوضح د. ريناتا بيلار (١) إلى أن ديلاكروا استلهم لوحته من مسرحية سردانابال، التي كتبها الشاعر الإنجليزي بايرون، ومن المخطوطة التي اطلع عليها في عام ١٨٢٦، وضع اللامع المميزة للبهلوك الملك

الفارسي المستبد والمتنور والذي عاش بشاعرية وعرف شتى ملذات الحياة الذهنية والحسية، والذي اختار لنفسه مئة تاريخية مرسومة بعمقة استعجاب الموت ودواعي الحياة معظمر احتفالي ضمه كل ما أحب في الحياة. وهكذا... ففي أثناء قراءة النص المرئي التاريخي يستعمل المشاهد الصياغة الأيقونية التمثيلية صياغة سردية، أي تفكو اللوحة سردية لونية، ويفضو ذلك إلى إمداد فضاء اللوحة التاريخية بعناصر زمنية مرحلية..

وتشير د. ماري أيضاً إلى أن اللوحة التاريخية تتجاوز صفة الزمن الوقتية، بل إنها في تمثيلها إياه تسمى لإبراز هذا العنصر وذلك بتسني للقرائن تأمل نموذج جلي للزمن في وسط فضائي (مكانى).

هذا النموذج التصويري الذي يتجلى فيه الزمن المرحلي تطلق عليه الناقدة الأمريكية وندي ستاينر، اللحظة الغمضة، (Pregnant moment) إنها تشمل على كل ما سبقها وكل ما هوأت وما هو موت سردانابال لا يتوقف، كل ما هوأت على نهاية سردانابال بموته محترقاً، وإنما يمتد إلى كل النهايات المائلة لنماذج الديكتاتور السلطوي المنذر بقوة السلطة المطلقة غارقاً في ملذاته وتاركاً شعبه لأنياب الجوع، والذي تأتي نهايته، طوعاً أو جبراً.. بأن لا يكون لديه سوى خيار أن يحرق نفسه. وربما شعبه، ويمكننا هنا أن نستبدل سردانابال بنماذج هؤلاء الحكام على امتداد التاريخ، وصولاً لأحدث الوقائع التي يمثلها نموذج صدام حسين!

## العالم عند أقدام السلطان..

صورة نموذجية لديكتاتور شرقي غارق في الملذات للدرجة التي يبدو معها غير مكرثر بها. لا يأبه بمن يستغيب به، ولا يبالي بمن يدفع إليه قسراً، بينما تتناثر شرايته من مجوهرات وقلائد وتمائيل عاجية وذهبية في كل مكان من حوله

فسردانابال يمثل هنا علامة لها مدلول تاريخي لهذا النموذج أيضاً كان زمانه أو الشخص الذي يمثله. وعلى مستوى آخر أسس التجريديون أعمالهم بناء على فكرة العلامات التي ملأوا بها لوحاتهم، فحاولوا التخلص من التشخيص في فنونهم باعتبار التشخيص من شوائب العمل الفني، مما اضطرهم إلى إلحاق أعمالهم بنصوص نظرية شارحة. وهذه فكرة أخرى تثبت بها المذكورة ماري ترير العلاقة الوثيقة بين النص المرئي والمكتوب.



أما أسباب الفصل بين المرئي والمكتوب في الفكر الغربي فيأتي من بينها. كما تقول المؤلفة، سيادة التصوير بأن العمل الفني تمثيل لطبيعة، وكان هناك طبيعة مطلقة. حتى جاء الناقد الإنجليزي، جومرث، ليؤكد أن ما تعود الناس على رؤيته في الفنون والآداب بوصفه واقعاً طبيعياً ما هو سوى تقليد قد ربحت عدالته حتى صار من المستلزمات. وهو تقليد يعكس توبها تاريخياً بدعم القيم الصورية (إسفاف المبدع على المتلقي والذات على الموضوع) إضافة لأنه تقليد أعادى الرؤية بفترض الحقيقة المطلقة. وتنفى د. عبد المسبح صفة الواقعية عن هذه الأعمال الأحادية؛ أي التي تقلد الواقع وتوهم المتلقي أن ما يشاهده هو الواقع. أما مفهوم الواقعية كما تراه فيتحقق بالتفكيك لا بالتوحيد، وبمشاركة الناقد والمتلقي مع المبدع

للتعرف على الاختلاف بدلاً من السعي للتمثل وهذا ما يؤكده الناقد الفرنسي اللامع «رولان بارت» في تعريفه بين النص المصنع، والنص الذي يحقق السعادة، فالأول هو نص «يصيب القارئ بالرضا ويشعره بالاكتماء» أي أنه نص يصيب القارئ بحالة من الضيق، فهو نص مؤثر للقلق، ويتركز كافة المعتقدات التاريخية والثقافية والنفسية التي نشأ عليها القارئ، حتى أن ذوقه العام وقيمه وتكرارته التي ترسخت بمواءمة اللغة التي اكتسبها كلها تتأزم.

فالسعادة، كما نوضح د. عبد المسبح، ليست مجرد صفة تتحقق عند إشباع الذوق، وإنما تتطلب معرفة معقدة تعبر عن الجهد الذاتي لتلازمها الرغبة في التعرف على الاختلاف، لا السعي نحو التماثل، مما يتوه بقدرة الذات على كسر أسفادها الموقلة لإعادة تشكيل حضورها عن وعي.

ويتحقق هذا الفرض سواء كان النص مكتوباً تحولته القراءة النصية إلى صورة، أو تجربة مرئية، أو كان لوحة تتعدى عيناً مدبرة على قرائها قراءة نصية.

هذا الإطار النظري تؤكدته المذكورة ماري تيريز عبد المسبح عبر مجموعة من القراءات الموسعة التي تقدم بها تطبيقاً عملياً للتمثيل الثقافي من خلال إعادة قراءة نصوص مكتوبة (أعمال أدبية روائية أو شعرية) أو نصوص مرئية (صور ولوحات وأعمال فنية مركبة وقطع نحت) أو مختبر موضوع الهوية من خلال قراءة ثيادية نصوص مرئية وأخرى مكتوبة تتناول الموضوع في ظروف تاريخية مختلفة.

وهي في هذا تستحدث أساليب خاصة بعيداً عن أنماط منهجية أو تصورات تصنيفات نوعية، وعلى سبيل المثال فهي تستخدم أسلوباً منهجياً يهتم بقراءة الصورة والنصوص المرئية لكي تحلل بها عملاً سردياً روالياً؛ فهي الباب الثاني الذي يحمل عنوان «التمثيل المرئي والمكتوب لصدام» حوار الشقاقت محلياً وعالمياً، تعيد قراءة تمثيل الأندلس عبر قراءة نصية لرواية «ظلال شجرة الزمان» للكاتب الباكستاني المولد المقيم في إنجلترا (طارق علي)





باستخدام الباث التآطير والتركيز والتصميم التي استلهمت من منحج مطبق على الصورة.

والقراءة المطولة والجديدة، عبر تأمل الصور والعلامات والدلالات التي تكونها شبكة علاقات الشخصيات الإسلامية والمسيحية واليهودية الموجودة في الرواية. تستهدف التدقيق في دراسة المصير الإسلامي والمسيحي في فضاء مشترك إطار عام تتنازع فيه الثقافتان وتلتقيان في الاندلس.. تبحث في مدلولي العقد الاستعادة لدى كل من الحضارتين ومدلول قراءة الأسطورة وغيرها لتصل إلى أن «المواجهة بين المسيحية والإسلام مهبة للانغلاق ما ظل خطاب الهيمنة الثقافية مستهدفاً مؤكداً الخطاب التنافسي ومعبئة اليقين بالتفوق الطائفي وتنتهي طلال شجرة الرمان باندلاع الحرب بين المجاهدين المسلمين والإسبان المسيحيين، وتوقع اندلاعها في مناطق أخرى استكشمتها المستكشرون هذه النهاية المفتوحة دالة على استمرارية تلك المواجهات ما ظل خطاب التفوق الطائفي سائداً، ولا سبيل لإنهائه سوى بالتفدية الطائفية، فالهيمنة الطائفية تمضي إلى الإفقار الثقافي ويستتبعه ظهور رد فعل دفاعي يعمل على تأكيد الخصوصية المهددة بالفتاء..



وتستعين المؤلفة بمجموعة من النصوص المرئية (١٨ لوحة فنية) تقدم لها قراءة تحليلية موسعة في موضوعات مختلفة وتبدأ بتحليل التمثيل المرئي لمدينة الإسكندرية كما مثلته أعمال مجموعة من الفنانين التشكيليين الأوروبيين الخارجين إلى الإسكندرية أوائل القرن الماضي أو الفنانين المصريين مثل محمود سعيد وحامد سعيد وعصمت دواستاشي وسيف وأثلي وأدهم وأثلي وأيمن نمر وعبد السلام عيد.

وترى د. عبد المسيح أن التمثيل المرئي لمدينة الإسكندرية يجسد تساؤلاً متجدداً حول التحولات الدينية والمدنية، كما يجسد الصراع القائم مع المفاهيم الشمولية عن الجمالية التي تتناقض مع الخصوصية المحلية.

كما تشير إلى أن المخاطر الناجمة عن الدمج المتصم مع الثقافة الغربية دفعت

بعض الإسكندرية إلى تجديد عصرى الرومان والكان. حتى يتسنى الإبقاء على الخصوصية في ظل التعددية الثقافية وتصل إلى أن «إعادة قراءة نماذج من التمثيل المتنوع لمدينة الإسكندرية ما يفسح المجال لإقامة حوار متوازن بين الشرق والغرب في الزمن الراهن».

ثم تعقب هذه الدراسة بأخرى تقارن فيها بين التمثيل المكتوب لمدينة الإسكندرية في «رباعية الإسكندرية، للورانس داريل، وبين التمثيل المرئي لها في أعمال محمود سعيد وخاصة في لوحة «المدينة». وتصل إلى أن كلا من المبدعين أنتج نصوصاً تنقض الخطاب القائم على فصل الشائيات، الزمان والمكان، العقل والجسد، المأفد والمبدع حيث حولا مشهد المدينة إلى مكان للتلاقي في زمن لا يتحدد بالحاضر ولا ينحصر في جماعة معينة، أي الهما نجما في تشكيل مكان رحب (فضاء الإسكندرية الكوموسبوليتي) يتيح المقاومة، وهو ما يتشقل إلى الممارس، مبدعا كان أو متلقيا، فيجعلها فاعلا في إنتاج النص ومن ثم قادراً على المشاركة في التعبير الثقافي.

ودرسة فضاء الإسكندرية هو نوع من إعادة قراءة أسطورة الهوية القومية في فضاء يمهّد لتكوين إطار عام لا لتقاء الثقافات، ولا يتحقق هذا الإطار العام للعلاقات الجماعية دون مراجعة موضوع الآخر في العلاقات الخاصة، فإذا تهددت الهوية القومية من غزو الوافد تتهدد هوية الفرد من فهم الموروث الثقافي الذي يمثل أحد أوجه السلطة والانتقال من دراسة السلطة القائمة للهوية القومية إلى السلطة القائمة للفرد يستندى تقريب منظور الرؤية لرصد التماصلي وتعتبر سبل المقاومة بتغير المواقع كما ترى د. عبد المسيح حيث يوجد المبدعون موقعاً مبدعاً لمقاومة السلطة وقد تتمثل هذا الموقع في جسد المرأة أو صورتها الشخصية، وبغزارة صورة المرأة في التمثيل المرئي يمكننا التعرف على قدرة المبدع على مقاومة الوافد والمورث معاً. وتختار نماذج من أعمال ثلاثة أجيال من الفنانين لتتبع التعبير الذي طرأ على المفاهيم المذهنية تجاه المرأة، والأعمال لفنانين محمد حسن وأحمد صبرى ومختار ومحمود سعيد ثم عبد الهادي الجزار ثم صبرى منصور.

وهي يحسنها عن الوسائط الثقافية التي





## كتاب الزاوية

بعتة إلى أطلال بابل عام ١٨١١

إن موزي آثار العصور القديمة، الذين كان هيرودوتس أحدهم، يؤكدون جميعاً أن بابل كانت مدينة مترامية الأطراف، إذ يبلغ محيط جميع أسوارها ٦٩ ميلاً، وهو محيط يبدو كبيراً للغاية، ويبلغ ارتفاع تلك الأسوار ٣٥٠ قدماً، على الرغم من أنها هدمت فيما بعد لتصل إلى ٧٥ قدماً، وكانت تبلغ ٨٧ قدماً سبكاً.

كانت مبنية بالأجر المخفوف ومغطاة بالقار الذي لاتزال توجد منه كميات كبيرة في الصحراء المحيطة بالمدينة.

خططت المدينة بالطريقة نفسها التي خططت بها المدن الأمريكية الحديثة، فهي ذات شوارع عريضة تقاطعها شوارع أخرى في زوايا قائمة، وفي كثير من نقاط التقاطع يمكن مشاهدة الساحات الواسعة والحدائق العامة، وفي أغلب الروايات والأوصاف المختلفة، تبيان الحديث عن عدد القصور فيها، إذ يذكر في أكثرها، أن عددها اثنان، القصر القديم والقصر الجديد، الأول من الجانب الشرقي من التهر والآخر من الجانب الغربي منه.

وهناك جسر عظيم كان يربط بينهما، فضلاً عن وجود نفق يمتد تحت نهر الفرات، ويفترض أن معبد بيلوس الشهير كان قائماً بالقرب من القصر القديم، في حين كانت الحدائق المعلقة، التي اكتسبت نفس الشهرة، أو أرصفة الشوارع التي صفت عليها المصاطب، وقد خططت لتصبح مراتع للمرح والمتع الحسية، ويمكن مشاهدتها كلها إلى جانب القصر الجديد.

تجمع التمثيل المرئي بالتمثيل المكتوب تختار د. ماري تيريز عدداً من أعداد مجلة «مكنة»، النورية المستقلة الهتمة بقراءة المجتمع عبر الكان. حيث يرد هذا العدد بالنص والصورة، مواقع عدة بين النوبة القديمة والحديثة عبر رحلة علاء خالد وسلوى رشاد، ثم الإسكندرية بأحيائها القديمة وأسواقها الشعبية والحديثة والمقابر القاهرية والأحياء العشوائية وغيرها كما يرصدها مجموعة من الكتاب، وتقدم المؤلفة قراءة موسعة للتمثيل لتحلل وتآمل أسباب عدم تزامن وتساوي قيم وأشكال الحداثة في مصر، مؤكدة على أن وعي الفرد بمكانه تاريخياً وجغرافياً (كما تحيلنا) نصوص «مكنة» يساعد على صياغة خصوصية ثقافية وتأكيد مكانته، ومن ثم تحقيق المعاصرة على المستوى المرئي والجمعي.



أما البعد الثالث لكتاب د. عبد المسيح فيقوم على قارة تحليلية موسعة لأعمال كل من يطلق عليهم أو يتسمون بصمة الكاتب. الفنان. أي الكاتب الذين جمعوا بين الكتابة النثرية والتصوير الفني سواء في الغرب أو في مصر. فهي تقوم بدراسة تزاوج النص المكتوب والمرئي ليمثلا ثنائية تتطلب القراءة التبادلية، على اعتبار أن إنتاج الكاتب الصنار يمثل الصدارة في النقد المعاصر لأنها تعانث تحولاً نحو الصورة (..) فالمنشده الراهن تستعربه ممارسات خطابية بغضلها صبار الهم محدقاً وعرضة للتحديق في أن..

وهي في هذه القراءة تؤكد على أن الأعمال الإبداعية لا تقبل الرضوخ إلى قواعد نظرية تفرض إطاراً مسروس الحدود متجاهلة ما يتعداهما على اعتبار أن قراءة التمثيل تعني النقل المستمر بين المستويات المعرفية والأفاق الاجتماعية ليسفر ذلك عن فهم أعرق لفهمي الهوية والاختلاف.

وتقسم هذه الدراسة إلى ثلاثة محاور أولها يبحث أعمال الكاتب. الفنانين، الذين حاولوا البحث عن هويتهم من خلال القطيعة مع التراث أو الماضي مثل السويسري جين أدب أو كاندنسكي وليونورا كارنجن وغيرهم، حيث تقرا التمثيل المكتوب والمرئي لكل منهم بالتبادل انطلاقاً من هزيمة القيم الغربية بعد الحرب العالمية الأولى ويبدأ الفنانين في نقض المسلمات المعرفية والجمالية للمركزية الغربية.

أما المحور الثاني (استعادة الماضي) فيقرأ التمثيل الثقافي لمجموعة الكتاب الفنانين الذين توجهاوا للماضي برؤى جديدة لدعم مكانته في الحاضر في مواجهة الآثار المدمرة للحرب وتأكيد هويتهم أمثال هرامس وهجران خليل جبران وداقيد جونز الذي تفضي أعماله النثرية ولوحاته بالروحاني المستوحى من النصوص الدينية والأدب الكلاسيكي، ود. ه. لورانس وطاغور ولوركا (صافه) لنصوص أدوار الخراط النثرية المستوحاة أو الموازية للنصوص المرئية التي جسدها أعمال الفنان أحمد مرسى.

المحور الثالث (إشكاليات النزعة القومية) يبحث التمثيل الثقافي بعد الحربين العالميتين في مواجهة الإشكالية الكامنة في النزعة القومية ومظاهر الحداثة الرأسمالية وسياسات السوق المفتوحة وما أسفرت عنه من جشع استعماري اغضى إلى إعياب المشروع العقلاني لتحرير الفرد من القيود الفكرية والاجتماعية.. وصولاً إلى أعمال الفنانين المصريين في تعاملهم مع الأزمنة. وتختتم د. ماري تيريز قراءتها في هذا المحور بالقول إن «مشروع الحداثة بالنسبة للكاتب. الفنان للنص في مسالة المفاهيم القومية الإختلال في تمثيله الثقافي المرئي والمنطوق المكتوب. فالبرامج السياسية للمؤممين المتشددين قامت على الإقصاء والاستثناء متجاهلة شرائع عريضة من المجتمع، ومنزل هذه البرامج الثقافية الهيمنة تحت دعاوى الحفاظ على وحدة الأمة عرقلت نموها الفكري وهو ما يدعو إلى وجود حاجة لنقش خطاب السلطة لتعريف التراكيب اللغوية الصلبة التي يروجها الإعلام المرئي الداعي لسياسات الاستهلاكية..

وإذا كانت اللغة المنطوقة. المكتوبة قد تحصدت في نسق يسخر عن ذهن أحادي في تصوورها، هالفة الحرية قد تلجم إلى تعديلات ثقافية تستوجب إعادة النظر في نسق اللغة المكتوبة التراسع في الأدمان، وبالمثل إذا تكلمت الصورة في قالب ادعائي أو استهلاكي والكملة هي الوسيط المستخدم لتحريرتها..

وهو ما يجعل من هذا الكتاب بشكل عام وثيقة تحليلية كاشمة لدى حاجتنا الماسة للترجمة المتبادلة بين المرئي والمكتوب لإنماء وعي ثقافي نقدي للتحوّل المتجه نحو ثقافة الصورة.

هوامش:

(١) الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي، عالم المعرفة (يناير) ١٩٩٠.



مع محمد لطيف



إيسنا وودن اسكندنافيا

يوميا إلى

مواعيد الرحلات  
بالعنوان مع لخطوط المسيرة

مواعيد الرحلات المباشرة  
مع مصر تطل

الحدود

الاثنين والخميس

الثلاثاء والجمعة والسب والإثنين

الثلاثاء والخميس والجمعة والإثنين عن طريق

السبت والاثنين

الثلاثاء والخميس والجمعة والإثنين عن طريق

السبت والاثنين

يوميا عدا الاثنين والأربعاء

محمدا عن رحلاتنا المنتظمة  
إلى مدن أوروبا  
بأحدث طرازات الطائرات



٢٠١٠  
٢٠١٠

EGYPTAIR

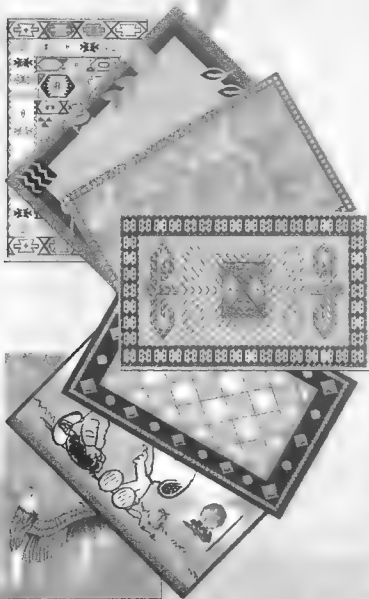


أهلا بك عتيقا عزيزا



سجاد ماك لكل الأغراض.. لكل الأجيال

ماك على الإنترنت [www.maccarpets.com](http://www.maccarpets.com)

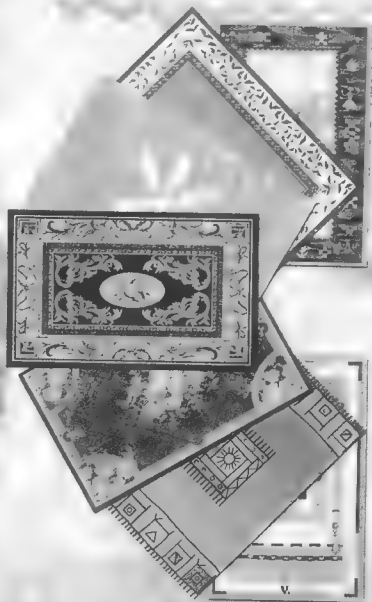


متواجد في مراكز بيع بواق





# فالك



وع

يات

وكيت

حمام

نضال

قى

التصدير المنتشرة فى كل أرجاء مصر







■ للغرب مزايا وصفات عديدة، لن ينكرها إلا الرؤية المقتنعة. ولكن للغرب، أيضاً عيوباً لن ينكرها إلا من كان تحتها في الاتجاه العاكس، المنهجر بلا حدود بالميزات الواضحة والبريق الكاذب والعيب الذي ملأه الرعجتي في دراسي لمكر العرب، والفرنسي منه بالذات، سرعته في تأليه فكر أو تيار فلسفي جديد، ثم الانقلاب عليه بسرعة فائقة، عندما يظهر فكر أو تيار آخر، وهكذا، قراهم يحرقون بنشء طفولي ما عيدهم من قبل، ليعيدوا صنفاً جديداً، سرعان ما يحرقونه عندما يحل محله جديد، والدعاء للسامية كان مثلاً، قبل الحرب العالمية الثانية، من صفات الفكر المستنير، إلى أن خسرت الفكر الحربي، وأصبحت النازية، ومعاداتها للسامية، سبة لا يجرؤ على نطق اسميها أحد، وما الهادة للسامية إلا فرع من عنصرية، عرفها الإنسان منذ عرف الحضارة، ولا يستطيع أن يتخلص منها، حتى إن ادعى

## بنو إسرائيل مُضطهدون أم مُضطهدون؟!

ليلى عنسان

العرب الآن أنه ظهر نفسه من عنصرية جعلته يستعيد شعوب العالم في الفارات الخمس، بأسم سمو الجنس الأبيض على باقي الأجناس الأخرى ولذا، لن نخجل غريباً يتجرأ اليوم ويقول إن اليهود، وبني إسرائيل (ضحايا الدعاة للسامية المشتعلة فيهم) هم في الواقع عنصريون بكل معاني الكلمة، إنها المارقة التي لن يقبلها منطقهم المتناقض، العنصري، وأخر مثل فج لا كان الفكر النازي، يبحث أولاً عما يسميه نقاء الدم، وروايات الأدب الأمريكي في أزميتيات القرن الماضي، تصور ما يحدث إذا اكتشف مثلاً أن شياً أو شابة يضاء، كان لهما جد أو جدة من العبيد السود، وقد تكون قصص، وليام فولكنر، (William Faulkner) وولاعته أبشادوم، أبشادوم، أحسن مثل يصور البحث من، نقاء الدم، الأبيض ليطهر من أي شائبة، وهذه العنصرية الأمريكية، كان يعادتها في رد الفعل العموي العنيف، الحكم النازي إذاً اكتشف أن ألمانيا كان لها من بين أجدانه يهودي.

وفي العهد القديم، الكثير من القصص التي يعتبرها اليهود تاريخهم،

تحللتا بعيد النظر في كثير من المولات التي أصبحت الرؤية الضالعة الصهيونية التابعة، من السلمات، مثل ما يعاى منه اليهود من اصطهاد في العالم، وذلك منذ وجودهم في مصر، قبل أن يخرجهم منها موسى عليه السلام، وبعد ذلك ستم النبي شكواهم، وعاقبهم الرب على ذلك، وما من رادع فتراهم اليوم يدعون مثلاً أنهم كانوا، عبيداً، في مصر، وقارئ «سفر الخروج» يبين متزعة وتنفذية، لن يجده كلمة واحدة تعضد مثل هذا الافتراء والأدعي أن الرب نفسه لا موسى عبده السلام، أمراً مني إسرائيل في الإصحاح ٣١، ٢٢، ولا تحضد العريب، لأنكم كنتم عرباء في أرض مصر، كدو، عرباء، ولم يكوّنوا يوماً، عبيد.

ولكن وما لاشك فيه، أنهم عانوا في الغرب، بعيداً عنا، اضطهاداً دموياً مأساوياً على مر القرون، فالغرب المسيحي اعتبرهم عندهم اللدود لرفضهم رسالة السيد المسيح أولاً، ثم صلبه بعد ذلك، ولكن المسيحية تعترف بكتائهم المقدس، الذي أصبح العهد القديم، لأنه بشر ببعي السيد المسيح المتقد، وبالتالي، فهي تعترف بقصصهم وما اعتبر تاريخهم، إلى أن جاء في القرن الثامن عشر، فولتير، Voltaire في كتابه عن حضارات العالم ليتهم هذه القصص بأنها أساطير وليست تاريخاً، ولكن هذا لم يرد على سؤال يطرح دائماً، لماذا كره العالم اليهود، على حد قولهم، واضطهدهم أينما ذهبوا وفي كل العصور سؤال خطير في حد ذاته، إذ يُتهم في الحال كل من يطرحه بالمعاداة للسامية، مادام يطرح فكرة أن اليهود مكروهون في ذاتهم، هذا في ذاته فكر عنصري، وكان اليهود كانوا واحد، لا علاقة له بأخرين اختلطوا به، فتحولوا من بشر يدينون بالوحدانية منذ عصر الجاهلية وعبادة الأصنام، إلى، جنس، أو شعب، متفلق على نفسه، ومع ذلك، فيهود عصرية وإسرائيل بالذات هي التي تجبرنا على طرح السؤال، ولقد أصبح للسؤال أهمية حيوية بالنسبة لنا، خاصة بسبب ما يقال عما حدث لبني إسرائيل في مصر، حيث كانوا، عبيداً، على حسب دعايتهم الكاذبة، فهم المصطهدون منذ سالت الأزمان، وعلى العالم، وعلينا تعويضهم من هذا الظلم البائس، والفكر الصهيوني الاشتراكي الملحد، يستعمل الديانة اليهودية وأساطيرها، التي لا يؤمن بها، من أجل كسب أكبر عدد من اليهود إلى صفه، ولجذب الغرب المسيحي السلفي أيضاً إلى صفه، وهو ما نجح فيه مؤخرًا، فالعهد القديم، في الكتاب المقدس، وقصة بني إسرائيل من أهم ركائز الدين لديهم.

وبناءً على ذلك، انتشرت الأساطير اليهودية في الغرب، لأن الفرد، والغرب الأمريكي بالذات، قد تبني الفكر الصهيوني المتطرد، كان هذا الأمر حتمياً ليكثر الغرب من دنيه وإهماله حال اليهود أيام حكم هتلر، وتجاهله التام لحسرات الموت والقتل الجماعي.

وهكذا أصبحت الديانة اليهودية لا تتداول بين الإسرائيليين فقط بل وصل بها الحال لميمنة لثقافة لجمعية الأمريكية إلى أنشأ بعض المثقفين العرب، أمثال، لا محذوراً، العهد القديم، يعين منزهة من أي عرس غير موضوعي، نقول ما يصد كل ادعاءات الصهاينة، لا علينا إلا الرجوع للأصل، لا بقوله اليهود أنفسهم، بل بترجيهم في العهد القديم، بعيداً عن كل أدبيات تعصر الحديث، هاتقارئ الموضوعي يجب أن يدرك أن اليهودية معاملة سيئ جداً ليهودهم أنفسهم، ليس بحد نفسه يتسدهل، هل كره ذو إسرائيل أنفسهم قبل أن يكرهوا الآخرين كرههم هؤلاء ما نالت؟!



وأول ما يجب له لارئ العهد القديم، في «سفر التكوين»، هو الطريقة التي لجأ إليها سيدنا يعقوب وأمه، رقيقة، لسل ميرث، عيسو، كان، لا سيدنا إسحق عجوزاً ضريباً، فخدع بسهولة بفصل مكر زوجته، وقال لابنته عيسو، لقد جاء أجدادكم بكمز وأخذت بركنته، (الإصحاح ٢٥، ٢٧)، وهكذا، «إني قد جعلتة سيداً لك» ودعت إليه جميع إخوته عيسو ( )، فهذا أصبح إلهاماً يائياً (٢٧، ٢٧)، فما كان من سيدنا يعقوب بعد ذلك إلا الهروب خوفاً من انتقام أخيه، ولجأ لخاله، وقصصهما معاً طريفة، عندما تشبّع حبل كل منهماما للثمن من الآخر، واستمالا لكسب المزيد من التراء، لي تدخل في تفاصيل القصة كما نقرأها في «سفر التكوين»، وكل ما نلقاه فيها من خداع الأخ لأخيه، والخال لاس أخته، فمثلاً وصل الأمر إلى الحال، استغل بن سيدنا يعقوب لابنته، راحيل، فجعله يخدعها بسنوات حتى تزوجه بها، وعند الزواج اكتشف العريس أنه خدع، إذ أرسل له خاله بدلاً من حبيبته أختها، فكان على العريس المتحيرة، أن يخدم سبع سنوات أخرى ليحصل على حبيبته، وعاش بالاشتراك معها، وبعد سنوات عديدة، وسيدنا يعقوب مع الأخوين خدعاً بينهما، زفت أختيه راحيل، بولت خمس سوسم، وقصير معروفة، فهو يوسف عليه السلام الذي اتقى به إخوته في البئر حتى موت ولكن الله أراد له غير ذلك، قصة خداع أخيه لأبناء، يكدون على أبويه ليخلصوا من أخطام الأضرأ هكذا كانت العلاقات الأسرية في العهد القديم، حيث اتخذ هو الآخر، الأول، والمثقة في الحق الوحيد، واستعمال القوى للمصيف الوسيلة للوصول إلى الهدف المنشود ولو أنما انتقلنا إلى معاملة بني إسرائيل للأخوين، فهناك قصة تشرع وسدحا كراهية الأخوين لهم، وهي قصة دينا، ابنة سيدنا يعقوب، إنها قصة شعب أراد العيش في



## بنو إسرائيل



عانوا في  
القرب، بعيداً  
عنّا، اضطهاداً، دمويّاً  
مأسوياً على مر القرون.  
فانحرف المسيحي اعتبرهم  
عدوهم، للدود رفضهم  
رسالة السيد المسيح  
أولاً، ثم صليبه  
بعد ذلك



سلا وامن وامان عبر جيرانه من قبيلة سيدنا يعقوب. وحسب قوازيها، فانقصه تقول ان ابن عمور الحيوي، أعجب بابنه سيدنا يعقوب فاتخطعها، ولكنة احيها، فذهب ابوه يخطبها من ابياها حتى تصبح الزوجة الشرعية لابنة ابيها اخطعها. ولكن ابنا سيدنا يعقوب وضعا كشرط للزوجة ان يشترك الملك وابنه وشعبه في تقاليد قبيلة الفئاة. وتجري لهم عملية ظهور جماعية. كل هذا هو شرط الانتماء الى عائلة سيدنا يعقوب وقبيلته. وقيل الأب من طيب خاطر قالنا: «واسأرونا، تعطلونا بناتكم وتآخوون لكم بناتنا، وتسكنون معنا وتكون الأرض قدامكم. اسكنوا واتجروا فيها وتسلخوا بها، (٢٤/ ١٠٩)». وقال أيضاً انه مستعد لدفع اى مبلغ يخطونه كعهر، ثم افلا قولا كبيرا لمناسبة. بعد اى حدث بعد ذلك... فحدث في اليوم الثالث اذ كانوا متوجعين من العملية الجراحية ان ابني يعقوب (١٠٠) اخذ كل واحد سيفه واتيا في المدينة يامن وقتلا كل ذكر (...) ثم اتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة لانهم نجسوا اخيم، فغضبهم وقهرهم وحمرهم كما كان في المدينة وما في الحبل اخدوه. وسبوا ونهبوا كل ثرواتهم وكل اطفالهم ونسائهم وكل ما في البيوت.

لا ينتهي «سفر اسستير» بالتالي... ابداعه عظمة مردخاي الذي عظمه الملك اما هي مكتوبة في سفر اخبار الأيام لملوك مدي وفارس. لان مردخاي اليهودي كان ثاني الملك احشوروش وعظيما... (سفر اسستير ٣، ٢/١٠). وفي نفس ان تذكر انه استولى يامن الملك على ممتلكات عدوه، بعد صليبه هو وابنائه العشرة وقتل كل دورهم



هكذا كان... إذن بنو إسرائيل مع من ارد مسالتهم او من عاهداهم. ولكن عداهم لم ليس منهم يفتق التصور وقد علمنا ما حدث عندما اطلق سراح الأسرى من بني اسرائيل. وعاد من ارد إلى اورشليم ليناء الهيكل مرة أخرى بعد سبعين عاماً من الرق، يحرم عليهم العودة إلى يديهم. ولن يسعفا طبعاً إلا ما نرجع مدونا في العهد القديم، من كلام صريح لا يحتمل أي تأويل أو مناقشة. وقد يطول النقل ولا حاجة لنا في ذلك. فاولاً، نشرقا في «سفر نحشيا» (الإصحاح ١٣/ ٢٨)، في تلك الأيام أيضا رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات. وتصف كلام بنيتهم بالسان الأشدودي ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودي بل بلسان شعب وشعب، فخاصمتهم ولعنتمهم وضربت منهم أناساً ونشفت شعورهم واستحلفتهم بالله قائلا لا تعطوا بناتكم لبنيتهم ولا تآخو من بناتهم لبنيتكم ولا لانفسكم. انيس من أجل هؤلاء اخطأ سليمان ملك إسرائيل (...) وكان واحد من بنى يوياد بن الياشاب الكاهن العظيم صهرا لتسليط الجوروش فطردته عن عدى. إنها المعرة على اللغة واللفظ هي الهوية.

إنها القسرة على اللغة واللفظ هي الهوية؛ فسر رابع قد نستفيد منه نحن عرب اليوم، ولكن الأمر لم يقتصر على اللغة. لأننا نقرأ في «سفر عزرا» كلاما آخر، كسب لقاطعة النساء الاجنبيات. الذي حدث، كما هو معروف، ان الملك سمح لبني إسرائيل بإعادة بناء الهيكل. فشرع في سفر عزرا، صفحة كاملة بأسماء من ذهبوا في تلك المهمة، مثلما يحدث عند كل حدث جليل، الأسماء، وأسماء الأجداد تأكيد انتمائهم إلى بني إسرائيل. ولكن سرد الأسماء الطويل يتوقف فجأة وتقرأ: «وهؤلاء هم الذين صنعوا (...) ولم يستطيعوا ان يبنوا بيوت آبائهم ونسلهم هل هم من إسرائيل (...)» هؤلاء فتشوا على كتابة انسابهم فلم توجد فردوا من الكهنوت، (الإصحاح ٢/ ٦٢، ٩٠). ملحوظة: كان بنو إسرائيل في الأسر لمدة ثلاث سنين عاماً، ولكن عليهم ان يثبتوا نسلهم بعد كل هذه المدة. ولتأكيد نقاء الدم، وقد عاد الأسرى احراراً إلى اورشليم، حدث التالي (٣، ٢/١٠): «وأجاب شكنيا بن يوحنايل من بني عيلام وقال لعزرا إننا قد خنا إلهنا واتخذنا نساء غريبة من

شعوب الأرض (...) فنقطع الآن عهداً مع إلهنا ان نخرع كل النساء والذين ولدوا منهن حسب مشورة سيدنا. ومزداً بعد ذلك أسماء المذنبين: فوجد بين بني الكهنة من الخد نساء غريبة (أسماء ...) وأعطوا ايديهم لإخراج نسلهم قسرين كش نسل من أجل إلههم. (قائمة أخرى من الأسماء) كل هؤلاء اتخذوا نساء غريبة ومنهن نساء قد وضع ندين، بنانا، في «الاصحاب العاشر» برقم ٢ حتى وصلنا إلى نهايتهم بعد صفحتين، عن رقم ٤٤.

ويثنى «سفر عزرا» بتلاوة أسماء المذنبين، ولا نعرف ما الذي حدث لهن ولا لأنبائهم، ولا العلاقة السوداء كتفتي هنا بوصفهم بالانحرف ليتكشف الشعب بمجازاتهم. او طردهم. هنا هو «العهد العبري»، بعينه، خاصة بعد ان قربنا «وأعطوا ايديهم لإخراج نسلهم»، تطهير عرقي ولكنه ينطبق على أولاد بني اسرائيل، وكل من يتخلص من أولاده وامهم ولزوجه اثناء الأسر لمحض إرادته. عندما كان التنازول يأخذون الزوجة اليهودية لأى أماني، كما يقوم بالتسليم لإقناعها في وأولادها وادكر هنا ما كتبه العيسوفة اليهودية «حسن أرندت» Hannah Arendt. وهي امريكية من اصل ألماني، في كتابها الشهير عن «محاكمة أديان» عندما قارنت إسرائيل وحكامها بالنازية وقوانينها، في صفتهم عن قضاء الدم اليهودي، وتضررتهم العظيمة. كما ان مثل هذه الأطفال، تشرع لنا ثورية رسالة السيد المسيح وعظمتهم، كما كسر الحاجر الذي يطوق شعب الله المختار، واعتبر كل البشر أبناء الرب. ولم نفهم طبعاً رسالته في عظمتها إلا إذا رجعنا إلى هذا المناخ الحائق اليهودية عندما كان السيد المسيح ينشر رسالته. وهو ما فعله بالافتقار كاتبنا الكبير عباس العقاد، في كتابه الرائع عن «مسيحية المسيح»، حيث تحدث عن اليهودية في عصره، أكثر مما تحدث عن عيسى عليه السلام.



هذا بالقتضاب شديد، سرد سريع أكثر القصص وضوحاً في العهد القديم، وباقي الصفحات تزخر بأحداث عجيبة وحروب دموية وسير ملوك ظلمة وفاسدة. وما تاريخهم إلا سلسلة من أفعال خائفة يثور لها الأنبياء، وتغضب الرب، فيعاقبهم... فيتوبوا بعد الهزيمة فيصمم الرب عنهم، ويتعاقبوا لمرحلة قصيرة... ثم تعود الأمور إلى سابقها من الأخطاء، وكلها لها دلالة واحدة نستنتجها بسهولة، وهي الإجابة على السؤال الحائل: لم كره اليهود على امرقورون في كل بلاد العالم، إن كان هذا هو ما يفعلونه بأنفسهم فيما يفعلونه وآخواتهم وبنايتهم، فما بناينا وما يفعلونه بالآخرين، وشعوب جيرانهم؟ سؤال نجد اجابته في تاريخهم المدون في العهد القديم. ■



# دار الشروق — محمّد حسنين هيكل

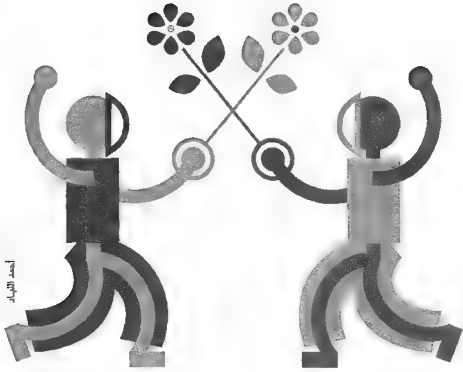
٩٩ عمُر من الكتب



تطلب من

دار الشروق: ٨ شارع سيدويك المصري - رابطة العقولية - مدينة نصر لكرتون ٤٠٢٣٩٩ ومكتبة الشروق ١٠ ميدان طلعت حرب، لكرتون ٣٩١٢٤٨٠  
ومكتبة الشروق، مبنى فرست امام حديقة الحيوان ٣٥ ش الجيزة محل رقم ١٩ لكرتون ٥٧٣٥٠٣٥  
كك بكمشكم شرائط الكترونية [www.e-kotob.com](http://www.e-kotob.com)





أحمد الشهاب

# استيعاب الصراعات

مع القيمة (ص) الشبيهة لها والمناظرة في الحضارة الأخرى. وهكذا فالمطلوب هنا النظر إلى الثقافة بكونها مركبات وبني مرتبة تمتلك عناصرها القدرة على اختراق الثقافات الأخرى من جهة، وهي نفسها قابلة طواعية للاختراق من قبل عناصر من تلك الثقافات من جهة أخرى. وأن هذه السمة، الاختراق والاختراق المتبادل، هي سمة إيجابية للثقافة وليست سمة سلبية. ويضيف سنجهاس إن الأمل في تولد حوار حضارات حقيقي يبعث عن المشترك بين الثقافات عن طريق القوص في المكونات المتشابهة ينبع من حقيقة أن معظم الحضارات في الوقت الراهن شهدت عملية صراع داخلي في كل منها لم تشهد في الماضي. وأن نتيجة ذلك كله هي إسماع النظر في الذات والتقدم الذاتي، والتطلع نحو خارج الذات للاقتباس والتعديل.

يقول إن: «فلسفة ما بين مكونات الثقافات، كما يناقشها كثير من منظري ومفكرى العالم اليوم، وحتى بعض فلاسفة القانون الدولي، تطرح فكرة تأسيس «قانون العالم»، التي هي أعلى مستوى وأرقى إنسانية من فكرة «القانون الدولي» التي تسير وفقها دول عالمنا اليوم. «قانون العالم» يعنى إيجاد أطر للعلاقات العابرة للشعوب والحضارات تتجاوز فكرة «الدولة الأمة» (nation state) وبعيدت تنسج تلك العلاقات وفق مصالح وتناغمات واحتياجات ليست محكومة بمفهوم «سيادة الدولة» الصارم الذي عرفه العالم في القرون الثلاثة

وليس مستوى الإطار الشامل العامل لكل منها. ويفصل في ذلك بالقول أولاً أن داخل كل ثقافة هناك أجزاء وموضوعات فرعية، واهتمامات وصراعات، وقد ذاتي ومتبادل. وكل ذلك يمثل حقيقة تلك الثقافة إذا نظرنا إليها من الداخل، على ذلك فعلينا ألا نحصر أنفسنا في الفكرة التسطحية التي تنظر إلى الثقافة كجسم واحد من الخارج. وبالتالي يفهم من طرحه أن حوار الحضارات والثقافات المطلوب يجب أن يتم بين الأجزاء المنسجمة أو المتنافرة في دواخل الحضارات المختلفة، وليس على مستوى أعلى يفترض ابتداءً أن هناك توحداً صارماً لكل ثقافة إزاء الثقافات الأخرى. بمعنى آخر إن الحوار يجب أن يشتمل بين الأفكار أو القيمة (س) من هذه الحضارة

متعددة ومتنوعة وأحياناً متناقضة. فضلاً عن ذلك فإن الصراعات الفرعية داخل كل إطار حضارى موجودة بحضور بارز وعينىة، وهي صراعات أهم من تلك التي تقوم بين الحضارات، خاصة في القرون الحالية. لكن كيف يفصل سنجهاس أطروحة عبر فصول الكتاب؟



في الفصل الأول يبدأ بطرح فكرة مهمة وهي فلسفة التحوّل بين الأجزاء المكونة للثقافات، وليس بين الثقافات كتكتل كالأمة مصمتة أو «فلسفة الحوار» ما بين مكونات الثقافات، حيث الحوار على مستوى المكونات لهذه الثقافات

**«قانون العالم» يعنى  
إيجاد أنماط للعلاقات العابرة للشعوب  
والحضارات تتجاوز فكرة «الدولة الأمة»  
(nation state) وبعيدت تنسج تلك العلاقات وفق  
مصالح وتناغمات واحتياجات ليست محكومة  
بمفهوم «سيادة الدولة» الصارم الذي عرفه  
العالم في القرون الثلاثة الماضية**

■ يقدم ديتير سنجهاس، المنظر الألماني في السوسيولوجيا والعلاقات الدولية، في هذا الكتاب أطروحة مهمة ومثيرة رغم أنه قد يتبدى للوهلة الأولى أنها تقليدية. وتم نقاشها كثيراً في كتب ودراسات عديدة - أي أطروحة صدام الحضارات أو عدمها. هدف سنجهاس المركزي هي كتابة هذا هو تقويم مقولة صاموئيل هانتنجتون حول حتمية الصدام بين الحضارات، ولكن بطريقة أخرى فتلك المقولة، وكما نعرف الآن، تفتقر حدوداً ثقافية داعمة بين الحضارات، وهي حدود لا يمكن تجسيدها، بحسب ما يقول هانتنجتون. وسوف تكون سبب الصراعات الحالية والقادمة وقد قدم هانتنجتون نظريته بعيد انتهاء الحرب الباردة. وقال أن الصراعات الأيديولوجية، سنجهاس هنا يرفض هذا الطرح، ويقول أنه يستحيل وستسرع، فليس هناك حدود جادة وصارمة تفصل الحضارات، بل إن هناك تداخلاً شديداً فيما بينها. كما أن كل حضارة ليست متجانسة وموحدة، بل هي عبارة عن تجمع حضارات وثقافات

Clash Within Civilizations: Coming to Terms With Cultural Conflicts  
(الصراع داخل الحضارات: استيعاب الصراعات الثقافية)  
Dieter Senghaas  
London, Routledge, 2002 146 pages



## ليس هناك حدود جامدة وصارمة تقصّل الحضارات. بل إن هناك تدخلاً شديداً فيما بينها. كما أن كل حضارة ليست متجانسة وموحدة. بل هي عبارة عن تجمع لحضارات وثقافات متعددة ومتنوعة وأحياناً متناقضة



✧ الثالثة. إخصص ما قد ينتج من توترات بسبب الانتقال من الطور التقليدي إلى الطور الحديث من الاجتماع إلى الاعتماد المتبادل، الذي يقوم على توزيع الأدوار المختلفة من كل فرد في الطور الحديث. توزيع الأدوار هذا يفرض على سلسلة القوى من النشاطات الإيجابية تعمل على تجربة الصراعات الحادة إلى عناصر صراع أقل حدة يمكن استيعابها عبر التسامح والحلول العزلية.

✧ الرابعة. المشاركة الديمقراطية، الناتجة من مثالية الحراك الاجتماعي، ومن هذه المثالية فإن التوترات التي تشارك حل عملية الانتقال تؤدي إلى صراعات كبيرة تنجر بقوة لا حقا.

✧ الخامسة. تحقيق توزيع هائل للثروات، الذي من دونه ستقل الحظائز حول القضايا العامة والمشاركة. وسوى ذلك من دون ضمان تحقيق مادي.

✧ السادسة. تطور ثقافة إدرة الصراعات بشكل إيجابي، بحيث تخفّر كل محالات الحياة الاجتماعية الأهمية البالغة لمدى الحصار، كما يمكن أن يستنبط من معالجة سينجاس هو أنه ليس بحاجة حصرياً من إنتاجات الحضارة الغربية بل إلى كل البية من البياكة كانت هناك أو مالا سعت إلى، وبطريقته بشكل أو بآخر، الثقافات والحضارات المختلفة. وأن الوصول إلى إجماع العلاقات بين رؤيا السداسي بكامليات، وبالتالي تحقيق المجتمع الحديث، والتخلي عن الطور التقليدي للمجتمع، هو جهد إنساني عكسه كل ثقافة بطريقاتها الخاصة. وأن جوهر العملية هو كونها خلاصة تاريخية للتوترات والأزمات والانعكاس التي تضر بها المجتمعات. وعليه، فليس من الصعيب ولا المثير علمياً وأدبياً اعتبار أن البياك السداسي الحضاري هو اعتباراً أوربية، أو عندها خصوصية غربية. صحيح أن الظروف الخاصة بالثقافة الأوروبية لتبني هذه البياك بشكل أسرع من غيرها من المجتمعات، لكن فهم البياك التنبئي يجب أن يقوم على فهم الظروف التاريخية، ولا يجب نسبته إلى خصوصية أوروبية أو عربية. هأوروبا نفسها واجهت صراعات مريرة من منها التمدد، ومما فيها اختلاف خلال عملية انتقالها من الطور التقليدي إلى الحديث، ولم تكن البياك الست للسداسي الحضاري إلا بعد مقد طويلة من الشك والتردد. ومن هنا فقد يقول سينجاس هو إن النتيجة النهائية للمشكلة التي يجب التركيز عليها هي أنه من الخطأ الحسيم اعتبار السداسي الحضاري للصراعات

الكوني، المتجسد في توترات الحضارات وثباتها. هذه الصيرورات وإلمامها لم تعد هي التي تشرع تدخل الحضارات في العصر الراهن. ولا طريقة لتعاونها بين بعضها البعض، ولا طريقة لتطور المجتمعات وتعقد الأوجه الحديثة فيها. هألذي حدث في القرون الأخيرة، وتحديداً كما يقول سينجاس منذ أواخر القرن الثامن عشر، أن المجتمعات اخترعت في تحولات عميقة التمس العميق، والحراك الاجتماعي النشط الذي خلط الأوراق والمكونات التقليدية للمجتمعات والتج مجموعة من التوترات والأحقاقيات التي برزت بسبب انهيار الأسس التقليدية لوحدة هذه المجتمعات إثر تفكك الترتيبات الاجتماعية والسياسية والنسبة الثابتة التي تحوت عليها هذه المجتمعات وبالتالي أصبحت

وبما يدور، في الحارج، وعليه فإن زيادة التسييس، برأى سينجاس هي ملمح أساسي لا مفاض منه من صلاحيات التحديث الاجتماعي. ويختلف تماماً عما كان سائداً في المجتمعات التقليدية حيث كان بإمكان تلك المجتمعات التعاضد بين سمات التهميش السياسي للأفراد أو إهمالهم لما يدور حولهم. لكن تحول المجتمعات التقليدية إلى مجتمعات حديثة يعتبر عملية في غاية الحساسية والخطورة أحياناً، ولا يخلو من خطبات عنيفة، وصراعات داخلية. بحيث يصعب التعاضد الداخلي للسلم قضية أساسية وإجاء عملية التحول يقاض يمدى الوصول إلى صيغة تعاضد سلمى بين الصراعات الاجتماعية. والمجموعات، وأصحاب المصالح المتناقضة والمتنافسة في داخل المجتمع الواحد،

الماضية وقانون العالم، هو خلاصة تفاعل الأفكار والطروحات والنماذج التي يتم إنتاجها من خلال التواصل الاجتماعي. ومكونات الحضارات المختلفة، المكونات المتناظرة، يتجاوز الحدود الصلبة لكل حضارة، والدخول إلى قلبها. هذا الانتقال من القانون القديم، إلى قانون العالم، ليس ترفاً فكرياً، بل هو تحدٍ مفرحه التحولات التي شهدها العالم في القرنين الأخيرين. ويقول سينجاس، إذا كان القانون الدولي، أو أية خلاصات نظرية وسياسية شهدتها البشرية خلال الماضي القريب، نتيجة إبداع الفيلسوفات في حل المشكلات الاجتماعية والثقافية والسياسية للمجتمعات التقليدية في الماضي، فإن مجتمعات اليوم تختلف كلياً عن البياك التي أنتجت تلك الحلول. فالمجتمعات

## الثقافة افريقية

### خالد الحروب

مهمة العلفة السياسية الجديدة هي إيجاد صيغ لاستيعاب الصراعات الجديدة العطرلة في داخل هذه المجتمعات، بشكل أكثر إلحاحاً من إيجاد صيغ لاستيعاب الصراعات بين المجتمعات المختلفة.



لكن ما هو الحل الذي توصلت إليه العلفات المختلفة لمتناسب التوترات والصراعات القائمة في المجتمعات الحديثة؟ يقول سينجاس أن الحل يدور حول ما يسميه سداسي الحضارة، ويتمثل في شكل سداسي يعكس تدخل ست البياك مركزية تعمل على ضبط الصراعات وتضمن تطور المجتمع بشكل سلمى تعاضد، وكل أنماها تمثل زاوية من رؤيا كالتى، "السداسي". هذه البياك هي كالتى:

✧ الأولى: احتكار القوة من قبل سلطة حاكمة، اختر سلاخ الأفراد (من دون المساس بتسييسهم)، بما يفهمه للاختراخ في السياسة سلمياً.

✧ الثانية: حرية القانون، وهو أساس الشرعية التي يتم عبرها احتكار القوة من قبل السلطة الحاكمة، وهو القانون الذي يضمن حل النزاعات سلمياً.

وبكلمة، يتجسد الفرق بين المجتمعات التقليدية والمجتمعات الحديثة في أن الأولى تخلو من تسييس المجتمع، وكذا جود الحراك الاجتماعي فيها. بينما تتصف الثانية بمعاملية سياسية وحراك اجتماعي دائم، ويرى سينجاس أن المجتمع الحديث يتصف بما يسميه التسييس العميق (Fundamental Politization)، حيث يتم تسييس المشكلات الاجتماعية، وكذلك تنزيل المشكلات السياسية على مستوى اجتماعي، ومرة أخرى لم تهمت الفيلسفات التقليدية ما قبل الحديث، خاصة فيما يتعلق بالنظرية السياسية أو الفلسفة الاجتماعية، بالبرحاز الاجتماعي والسياسي الذي يكسر جمود الترتيبات والأدوار مسبة التوزيع صرامة، والنظرية لعالم والحضارات في باعتبارها هي منظمة ومرتبطة بطريقة لا يمكن تعديلها. وقد كانت تلك النظرية أقرب إلى التحليل التاريخي، لاكتشاف، حيث تبدأ الحضارات من نقطة معينة، ثم تتطور وتقدم، وتصل إلى أوج قوتها في نقطة معينة أخرى، ثم تبدأ بالانحلال، كما في انتم (الدورة الأخيرة) بحسب التراث العروبي (الإسلامي). ويرى سينجاس أن العلفات التقليدية كانت تتجهز حول كيفية مواجهة (الفوضى والاضطراب، اللذين يمكن أن يصيبا الانسجام

الراهة هي صناعية وحديثة، وتتمسك بعقود الاعتماد المتبادل (interdependence) فيما بينها بشكل لم يسبق له مثيل. ويتجسد هذا بشكل جلي عبر تطور مظاهر العولة، والتحول من طور المجتمعات التقليدية إلى المجتمعات الحديثة هو صيرورة حتمية، وليس خياراً طوعياً، وتكفي نظرية واحدة للمجتمعات العالم خلال القرون الثلاثة الماضية للتأكد من صحة هذه الفرضية. (إذ لم يعد هناك على وجه الأرض ما يمكن تسميته مجتمع تقليدي، كامل بالمعنى الحرفي للكلمة، فيما عدا بعض الاستثناءات ذات التعداد السكاني البعير والقليل جداً، وبهذا فإن التحولات العالية لمرص بانثالي إنجار مشروطة فلسفية تتجاوز ما أنتجته الفلسفة التقليدية في اجتماعها لأشكالاً صيغ لمحلية السياسية والاقتصادية والثقافية. لكن هذه الصراعات لن تكون خلاصة فلسفة ثقافة معينة، أو منطقة معينة من العالم، بل خلاصة تفاعل وتزاوج بين مكونات الثقافات المختلفة، وتكون بانثالي عالية حقاً، وليست صيغة واحدة فقط. إعادة هيكلة مجتمعات العالم، كما يجادل سينجاس، تنتج عدة مظاهر وانعكاسات، أولها زيادة الانحاض على المشاركة السياسية، هأوروبا درجات الاعتماد المتبادل، حيث تسارع انخفاض نسبة المجتمعات المكتفية بذاتها في العقود الماضية، فرضت على الأفراد والمجتمعات تعميق الاهتمام بالسياسة



ونداخلها بشكل ينفق قدرة أي حل تقليدي على استيعابها، ومن بعد ذلك تنجز المجتمعات نحو تبني «السداسي الحضاري» والبقاء بالترتيب.

وإذا النظر إلى الحضارات القديمة ولفسقاتها، يطرح سنجيهاش السؤال: هل هناك فائدة من العودة إلى تلك الثقافات وإعادة التأمل في ما جاءت به؟ والإجابة التي يقدمها المؤلف على هذا السؤال، من خلال معالجته للفلسفات الصينية، والإسلامية، والهنوسوية، والنودية، هو الإيجاب، والسبب الكبير في ذلك هو أن كثيراً من مكونات تلك الثقافات ولها ماضي دعت إليها في مرحلة ما من مراحلها، تتواءم وتتناسب مع عناصر المجتمع الحديث، فمثلاً هناك قيمة التعددية التي هي محور من محاور المجتمع الحديث، وهي قيمة تتجسد بكل وضوح في الفلسفة الصينية، والهنوسوية، والإسلامية، سواء على صعيد التفكير النظري، أم صعيد الممارسة والتجربة التاريخية لهذه الثقافات. ويرى سنجيهاش، محقاً، أن نفس الخبران عن كثير من العناصر القديمة ذات الصلاحية الجديدة والمعاصرة سوف يساعد على تحديث المجتمعات وتقبلها لصيغ من الحداثة يكونها أصيلة، وباعتبارها منتجاً محلياً وليس مستورداً.

ولفما هو الصراعات الإسلامية في سنجيهاش يرى أن التحدي الأساسي الذي يواجه تميزتها وتطورها هو وحدي التعددية. وفي نقاشه لتجربة الحضارة الإسلامية، في الفصل الثالث، يلحظ أن شئ هذه الحضارة يكمن في التسرع والاختلاف الواسع والقدرة على الاستيعاب لثقافات، وحضارات، وأفكار، ومبادئ، سواء العصر القديم قصوي وتاريخية، لكن العصر الحالي، متمثلاً بالدول الإسلامية، يصعد فيها فاجعاً لهذه القيمة المركزية، وبالتالي فإن إحدى الطرق الحزينة لتجديد المجتمعات الإسلامية هي إعادة تسليط الضوء على الاتجاهات التعددية في الثقافة الأصيلة. وهو يدعو إلى بحث الفكر العقلاني والتدويري مثل فكر ابن رشد والغرابي وأبي خلدون وفكر مدرسة المعتزلة. وأنه من إعادة الاعتبار للعلايم الإسلامية فإنه من الصعب تخيل خروج المجتمعات الإسلامية من الأزمان الثقافية والاجتماعية والسياسية التي تصف بها. فعمليات التحديث الجزئي التي انخرطت فيها هذه المجتمعات أضحت بها إلى منتصف الطريق، فلا هي قادرة على الاستمرار في طريق الحداثة خشية الانقطاع عن تراثها وهويتها، ولا هي قادرة على

الحفاظ على قيم العائلة التي هي أساس في القيم الأسبوية.

في الرابع، هو الاختراع والابتكار لمواجهة التحولات الجديدة الناشئة عن الانتقال من التقليدي إلى الحديث. وأحد الأمثلة على ما حدث في غرب أفريقيا ما حدث من العودة إلى دور الدعوات إلى هوية أفريقية، وشخصية أفريقية، بل أيضاً إلى «الوحدة الأفريقية» الزعيم كوامي إنكروما. وكانت الهوية الأفريقية التي دعا إليها تتكون من ثلاثة مكونات: التراث الأفريقي التقليدي، الإسلام (حيثما وجد في المسارة)، والإفادات من الثقافة العربية المسيحية. إسلامياً. حاول مفكرون مسلمون إنتاج ما يسمى «إسلامية المعرفة» كبديل أصيل عن المعرفة الغربية. غير أن أسئلة نحو الابتكار يطرح أسئلة بقدر ما يقدم أجوبة. فالقرار يمتد اتباعه على الشورى وتبني هذا الجدل، لكن السؤال الذي ما



زال لم يجد إجابة عليه هو كيف يمكن تطبيق هذا الجدل عملياً، وما هو الشكل الدستوري الإسلامي وكيف يختلف عن الغربي. لكن في كل الأحوال فإن ما هو حتى هنا هو أن مدرسة الابتكار لا يمكن أن تنجح في إجتراح أي حل من الحلول من دون الافتتاح السياسي.



يرى سنجيهاش أن الصورة التي مرت فيها المجتمعات الأوروبية لا مئاص عن المرور فيها من قبل بقية المجتمعات، وهي تبدأ بترتكب التحيزات الحديثة التي تواجه التقنيات التقليدية، والخصوع لمتطويع البحث عن مخارج للمعاناة الجديدة. وهنا يتم في العادة طرح العودة إلى الأصول، والهوية، والتقاليد لمواجهة تلك التحيزات. ثم لتفشل تلك الطروحات بسبب تعقد المشكلات

الحديثة، وهي كلها تغليد لإيجابيات حديثة. في جنوب شرق آسيا نجح نموذج التقليد في بلدين على الأقل نجاحاً باهراً ما كوريا وتايوان اللذان انتقلتا على تبني آليات «السداسي الحضاري» وترسيخه في المجتمع بشكل مدش. في الثاني، هو معارضة الحداثة ومقاومتها، وهذه رد فعل طبيعية. فهنا، وكما يقول سنجيهاش، وفي كل حالة يقع فيها التحول الكبير من المجتمع التقليدي إلى الحديث، فإن «حراس الماضي» يتمتعون على شكل محافظين أو تقليديين، أو أصوليين، للدفاع عما يرونه أصالة مستجمعهم، مهما في روسيا، أو الهند أيام غاندي، أو الأصولية الإسلامية الراهنة. فإن معارضة الغرب ومعارضة التحديث يبرزان على نفس الصعيد.

في الثالث، هو حل انصاف التحديثيين، حيث يريد هؤلاء فتح أقصى الأبواب للتكنولوجيا الغربية

الداخلية في المجتمعات الأوروبية سمة جوهرية وخاصة تلك المجتمعات (بل تطور حضاري تخضع له، وتصل إليه، كل المجتمعات الأخرى). والامر نفسه ينطبق على الآليات الست للسداسي الحضاري، وعلى كثير من المفاهيم الأخرى التي يظن المصنف أنها غريبة على الشرق والجزر. مثل العقلانية، الفردية، التعددية وغيرها. فهناك أمثلة عديدة في السياق التاريخي الغربي على الصراعات الثقافية الداخلية التي أنتجت خلاصات لم تكن مقصودة، والامر ذاته تشهد في التاريخ الراهن حضارات مختلفة. حيث تمر في صراعات مختلفة مستقرة إلى خلاصات لم تكن مقصودة أيضاً. وصبرورة الانتقال إلى المجتمع الحديث، وأحداث التأسيس العميق، هي صبرورة التغيير، واكتشاف نقضاتها الداخلية، وإعطاء الأهمية المطلوبة للظروف التاريخية وأثرها في إنتاج الآليات الحضارية واستحداث الثقافات لها.

لكن هناك اختلاف كبير في طبيعة التحول، الذي تعرض له المجتمعات غير العربية خلال عبورها إلى طور المجتمعات الحديثة، من ذات التحول، الذي شهدته في الماضي المجتمعات العربية. وهذا الاختلاف يكمن في أن التحول الراهن للمجتمعات غير العربية يتم في عالم يسيطر عليه الغرب ويؤثر فيه، سبب الكولونيالية، والإمبريالية، والتفوق الغربي، وهذا يجعل من تأثير العرب في الآخرين أكثر بكثير من تأثير الآخرين في الغرب. وإذا هذه الحقيقة تعاملت المجتمعات غير العربية مع تأثيرات الغرب برودة فعل متباينة، يمكن إجمالها في أربعة زود بشكل عام: الأول، هو تقليد الحداثة وتقليد النموذج العربي باعتباره طريق المجتمع العصري، التي انتقدت البنية المحلية والكونفوشيوسية اقتصاداً حاداً واعتبرتها عبئاً على التطور. والسبب الرئيسي في الإلزام الذي تعرضت له الصين منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر والخروج من مأزق التخلف جرت الصين حولة مثل الدستورية، القومية، الديموقراطية، الاشتراكية. وغيرها من أشكال ومنتجات المجتمع



# كتاب الزاوية



## معبد بيلوس

معبد بيلوس بناه مربع الشكل يحتوي على درج هي داخله، وأقيمت فوقه ثمانية أبراج أخرى يتضام حجمها تدريجياً، ويشكل أعلى واحد منها المعبد نفسه الذي تضم حجراته الداخلية منفذة ذهبية، ولكن لا وجود للتماثيل هناك، وخارج البرج وضمن حدوده ثمة مدارج ذهبية خصصت للقرايين، ولدره خطر فيضان نهر الفرات من إغراق المدينة، نظراً لأن الماء في الصيف كان يرتفع ارتفاعاً كبيراً بسبب دويان التلوج المنحدرة من جبال أرمنييا وكردستان فقد شقت قناتان على مسافة بعيدة من بابل لنقل الماء إلى نهر دجلة حيث تربو تلك المسافة على خمسين ميلاً، وهناك بحيرة واسعة تبلغ مساحتها قرابة أربعين ميلاً مربعاً وعمقها خمسة وثلاثين قدماً، حفر لتحويل الماء بواسطة سدود تتحكم به ولتكوين خزان مائي، بالإضافة إلى تزويد السكان بالماء وزراعة المناطق الريفية المحيطة التي وصفت بأنها شديدة الخصوبة من خلال ما يرى فيها من أعناب وفاكهة فضلاً عن القمح.

وعندما غزا الإسكندر مدينة بابل حوالي ٣٣٥ ق.م. كانت تحدوه رغبة في ترميم ما دمرته الحروب، خاصة القصور الرئيسية والمعابد، وكان معبد بيلوس آنذاك كسناً كبيراً من النفايات لدرجة بات معها أمر إصلاحه وترميمه مهمة عسيرة.

التوقف والجمود على ما هي عليه. وربما كان الحل هو استدعاء مبررات الحداثة الموجودة في الثقافة نفسها وإعطائها سمة عصريّة. ومبادئها الأزمات الخافضة التي تعكس المارق الذي تواجهه هذه المجتمعات بالية، فيستغل تنجح تعبيرات متطرفة من تلك الأزمات، وبالمثل ما تأتي على شكل توترات تأخذ شكل الدفاع عن الهوية.

لا بد للمجتمعات الإسلامية من أن تخاطر في مشروع نقد ذاتي مصمم، يعيد إنتاج الفكر الإسلامي بطريقة عصريّة تسهل دخول هذه المجتمعات العصر الذي تعيش فيه. لا أن نل على هامشه. وهذه المهمة لا يمكن أن تتم إلا من خلال التجدد والاجتهاد الذي يطالب المؤلف بإحيائه. وهنا يشير المؤلف إلى أن أشكال المجتمع الحديث تتنوع في عثمانيّتها، وأن أحد الأشكال لا تتطلب الفصل الصارم بين الدين والدولة، وهو ما يفترضه ويطلبه النموذج الفرنسي مثلاً. بل هناك النموذج الألماني والبريطاني للعثمانية حيث يتصالح الدين بشكل أكثر يسراً مع الدولة، فالكنيسة في هذين البلدين موجودة وقاعلة، ومتداخلة مع الدولة، لكنها مع ذلك لا تتصارع معها في الميدان السياسي.



كل هذا الحديث من الحضارات والثقافات من داخلها يقصد به التبدل على تنوع واختلاف تلك الحضارات. وعلى الصراعات التي تتعرض لها. ولأنها أكثر حدة في بعض الأحيان والمراحل من الصراعات التي يفترضها هانتنغتون بين الحضارات المختلفة. وهنا فإن النقد الأهم الذي يطرحه سينجهاوس هو أن هانتنغتون يكمن في ميل هذا الأخير إلى تقسيم العالم إلى سبع حضارات جامدة وينقسم صام، الحضارة العربية. الحضارة الكونفوشيوسية. الحضارة الهندوسية. الحضارة الصينية. الحضارة الإسلامية. .... ووضيف. وروية الحضارة الأفريقية. والحضارة الأمريكية اللاتينية هذا التقسيم يغفل أولاً أن داخل كل حضارة هناك حضارات أو ثقافات تتيان قبل أن تتشابه. ولا يمكن بالتالي جمعها في مظلة واحدة. ويغفل أيضاً مراحل تطور الحضارات. وحيث تصبح مكونات أو مناطق أو دول في حضارة أو ثقافة ما، أقرب إلى مكونات أو مناطق أو دول في حضارة أخرى منها إلى الحضارة التي تنتمي إليها نظرياً.

فاليابان مثلاً أقرب إلى بريطانيا منها إلى الصين أو أية دولة آسيوية أخرى. وثبت سينجهاوس أن افتراض التوحيد القسري داخل كل حضارة بناء على الثقافة هو افتراض هش علمياً. وكذا افتراض أن صراعها الأساسي هو مع الآخرين. فالحروب الكبرى في القرن العشرين، وقعت داخل الحضارة الغربية. وإذا كانت أطول حرب في ذلك القرن، الحرب اليابانية الصينية، قد حدثت في إطار آسيوي، فإن شأني أطول تلك الحروب الحرب العراقية الإيرانية. وقعت داخل إطار الحضارة الإسلامية. وهكذا هابن هي صراعات الحضارات التي تتحدث عنها هانتنغتون؟



في المجتمعات البوذية يرى سينجهاوس أن المعضلة تأخذ شكلاً آخر، فيسبب طبيعة الديانة البوذية. وفكرة إعادة استنساخ الأرواح والأفراد فإن إحساس الناس بمفهوم المواتنة إحساس ضعيف. وبالتالي هل يمكن تكرس أشكال المجتمعات الحديثة من دون مصالحة مفهوم الدولة والمواطنة مع مفاهيم البوذية من الخالص وعودة أرواح الأفراد بأشكال جديدة. وبسبب غلبة النظرة الأخلاقية في التعاليم البوذية فإن تقييم فكرة الدولة أو السلطة يقوم على أساس ما إن كانتا تقدمان إطاراً أو نظاماً للأخلاق والفضيلة، أكثر من كونها يقدمان نظاماً للاستقرار وعدم الفوضى (كما تركز الفلسفات الصينية، مثلاً، بتأثيراتها الكونفوشيوسية).

على صعيد الهندوسية يلتصق المؤلف قضية مركزية وهي أنه ليس هناك أولاً شيء اسمه الديانة الهندوسية، بل هناك ديانات متعددة يدين بها الهندوس. لكن تعميم لفظة «الهندوسية» جاء عن طريق الاستشراق الأوروبي الذي كان يميل إلى التعميم، واختراع الأوصاف الجامعة. والتعددية الروحية والدينية



يُعتبر الفنان يوسف شاهين في هذه الأيام فيلمه الحديد الذي يزرع فيه سميرته الفنية وتلافته المتوفرة لعالم (الأميركي) بعنوان «اسكندرية بيوربوت» وقد اصبحت اليوم المثلل اعترافه الحرر، يوسف شاهين، من الناصر (الدائنية (الاسكندرية) ليه حدوة مصرية. اسكندرية كمان وكمان.) يتابع ارمنين عالماً من حياة هذا الفنان العربي الكبير، وللناسية يصدر قريباً كتاب عن يوسف شاهين وسيماء للاداء، ابراهيم العريس. وهذا فصل من هذا الكتاب تناول اوله النافذ. السيماء التاريخية الشاهينية من خلال ثلاثة افلام لشاهين هي «الناصر صلاح الدين»، و«الهامر» و«المصير». وهي افلام توفس في التاريخ مباشرة على عكس افلام أخرى لشاهين يمكن اعتبارها «باريخية، بدورها، لكن دونها من التاريخ يأتي بصورة غير مباشرة.

## الحبر

الدين ويطل الزمن الزمان جمال عبد الناصر ويوسف شاهين. رغم ناصريته المخلعة في ذلك الحين ونشروه نحو التفكير العروبية والتشاكريك. لم يكن معروفا بقوة تحليله ووعيه السياسي. أما عز الدين ذو الفقار فكان أثبت تصلعه في الأمر برعة افلام منها: «رد قلبي» الذي كان من افضل ما حقق عن ثورة الضباط الاحرار، لكن المنتجة اسيا داغر، التي كانت مشاركة للسلطات الرسمية في إنتاج الفيلم. تبثت اختيار عز الدين ذو الفقار لشاهين بدلاً منه لا وقع ذو الفقار ضحية مرض عنيف، وهكذا وجد شاهين نفسه، وهو الخارج من واحدة من أكثر حقب حياته المنيحة ظلاماً عبر افلام «مليودرامية» حققها تقبلاً بين 1994 و1996، وبعد بضعة أشهر من إنتاجه، وبمعدل من أفكاره واهتماماته السينمائية ومع هذا لم يتردد. بل بسرعة وسيفول لاحقاً أن كان قبل جيل جداً كبيراً في إبعاد بعض التيمات اليومية في السيناريو والأحوال، حتى يمكنه أن يتبنى الفيلم تماماً، وفي نهاية الأمر بعد شهر من العمل ويقض مساعدات فدورها الجيش المصري. انجز شاهين الفيلم الذي كان حتى ذلك الحين أكثر الأفلام كلفة في تاريخ السينما المصرية، وبسرعة أدرك الناس حتى من دون مشاهدة الفيلم، ولدى قراءة عنوانه مدى الربط الذي يقيمه بين الماضي والحاضر. ذلك تدليل أن سموات الكرة ويؤكد هذا الربط دائماً في افلامه التاريخية اللاحقة.

## إبراهيم العريس

إذن، منذ ذلك الوقت المبكر حشد شاهين وطيفه السينمائي التاريخي، إنها ليست مجرد رسم الأحداث التي حصلت في الماضي، اختلافاً من نظرة موسيقية باردة، الحقيقة التاريخية ليست مهمة هنا فالأناخية يمكن تعلمه في المدارس والأكاديميات، أما ما يهمنا منه فهو مدى انكساره علنياً غير أن علنياً، هذه أيام «الناصر صلاح الدين» كانت تعبر عن المجتمع وعن الأمة ككل، وهذا لا بد أن تشير إلى أنه حتى ولو كان قد نشأ منذ البداية لشاهين بأن يكون هو صاحب المشروع وكاتبه، لم كان من شأنه، في ذلك الوقت المبكر أن يحول الدنح، إلى «أنا، الذات كانت لا تزال خفية لديه حتى وإن كانت أطيافها موجودة منذ فيلم «بابا أمين»، في زمن «الناصر صلاح الدين» لم يكن شاهين قد اخترع «سيماء السيرة الذاتية» (أو إعادة اختراعها) على سبيل (مفروضة) إذ في تلك

اختار في الوقت نفسه أن يكون ذلك الدنو ذاتياً، وهكذا. حتى لن كان الضرعون حاضراً في «المهاجر» فإن البطولة الأساسية معقودة للشباب، طالب العلم العربي الذي قصد مصر ليتشبع بالعلم الذي به قد يسدى خدمة إلى بلاده، ولئن كان الخليفة حاضراً في الدولة الأندلسية أيام عزها. فإن الأساس في «المصير» كان لابن رشد، الفيلسوف، ولطالبا العلم وانصار الفن في صراعهم مع القوى الظلامية المتشددة، وأخيراً إذا كان بابليون بونابرت قد حضر بكل زخم حركته التاريخية في «وداعا يا بونابرت» فإنه ليس هنا الشخصية الرئيسية. الأهمية القصوى معطاة هنا لكارفاريلى، العالم الذي يرافق بونابرت في حملته لاسباب علمية لا عسكرية ولا سياسية والذي هو، يعرف كيف يتقمع علاقة مع سكان البلاد المحتلة ومع حضارتها، وفي الحالات الثلاث أيضا تخوض الشخصيات الثورية (أو الساعية إلى التنوير) الثلاث، صراعا ضد السلطة وسياساتها وعسكرها. إنه صراع العقل ضد جيوت القوة، يصرف النظر عن سيخرج في نهاية الفيلم منتصرا، وبقينا هنا أن شاهين الذي أحس حين تحقيق «الناصر» صلاح الدين، أن هناك أشياء كثيرة لم يتمكن من قولها في هذا الفيلم، الذي كان في الأساس إنتاجا صغما ألمته ظروف سياسية محددة، عاد بعد أكثر من عقدين ليسأل السينما في علاقتها بالتاريخ، ويسأل الذات في علاقتها بالأخر. ومع هذا، في معنى من المعاني، يمكن النظر إلى «الناصر» صلاح الدين، باعتباره نوعاً من التهديد للثلاثية التاريخية اللاحقة، منتبهاً أنها من ناحية خروجها عن القرن العشرين واستناده إلى أحداث تاريخية حصلت حقاً، وإن كانت مستخدمة الآن أي زمن تحقيق الفيلم. لغايات أيديولوجية بحتة.

## الناصر.. صلاح الدين

## من الماضي إلى الحاضر

مبدئياً كان من المفروض بفيلم «الناصر» صلاح الدين، أن يكون من إخراج عز الدين ذو الفقار، ذلك أن الفيلم كان مستنداً إلى فكرة غايتها من ناحية تمجيد التسامع العروبي والإسلامي، والحث على الوحدة العروبية ومن ناحية ثانية إقامة توازي بين بطل الماضي صلاح

الناصر والناصرية لشاهين ونالها، والكاميرا بالناتى كمنكوك يستقله ليوم بواسطته في رحلته عبر التاريخ، التاريخ السياسي المباشر (كما في «جميلة» أو «ثلاثية الهزيمة» والتاريخ الشخصي (كما في «الثلاثية الذاتية») أو حتى في تاريخ السيماء. غير أن سيماء شاهين طلت في هذه الحالة كافة واقعة عند القرن العشرين لا تتخطاه ولئن كان شاهين قد اقدم في «الناصر» صلاح الدين، على تحقيق فيلم لم يكن فيلمه، في ندية الأمر، فإنه لاحقاً عند العام 1988، عاد ليبارح القرن العشرين محقق ثلاثة افلام تاريخية بالهني المتعارف عليه لعبارة سيماء تاريخية. لكن المفارقة الأساسية تكمن في أن الأفلام الثلاثة التي تتحدث عنها سيماء، وهي «وداعا يا بونابرت»، 1988 و«المهاجر» 1996، و«المصير» 1997، ستبدو، ما إن نلخصها لتجليل ما الأكثر ذاتية بين افلام شاهين (إن نحن استثنينا الذات المباشرة المؤلمة في «اسكندرية ليه» وحدوة مصرية، و«اسكندرية كمان وكمان».) ذلك أن يوسف شاهين، بعد تجربته التاريخية في «الناصر صلاح الدين» لم يبد أبداً رغباً في أن يتوسل في أي تاريخ دون موضوعها، فهو سيمائي أولاً وأخيراً، وليس أسند تاريخ ولا موزجاً قادراً حتى حين اقترابه من الحروب الصليبية ومآثر صلاح الدين الأيوبي في فيلمه العائد إلى العام 1993، قد عرف كيف «يستولى» على موضوع ليس له ويحمله قدر ما سمحت له به الظروف، ببعض أفكاره الخاصة عن التسامع والعلاقة مع الآخر وجوى الحروب، ما الذي يمتصه في الثلاثية الجديدة من أن يجعل هذا وأكثر وما الذي يمتصه من أن يستحوذ على تلك المراحل التاريخية الثلاث التي موضع فيها مكائبات الظلمة لكي يحملها بما في داخل ذاته من أفكار؟

في الافلام الثلاثة التي نتحدث عنها هنا، لدينا، أولاً، زمن حملة بونابرت على مصر، ثم زمن الفرانعة وولادة الاياد التوحيدية في ريفاساتها الاولى على يد اخناتون، وأخيراً زمن الأندلس وولادة الفكر التهموي الانساني، في الحالات الثلاث، إذن لدينا ما يشبه الانعطاف في تاريخ الفكر والموور، غير أن هذا لم يمس شاهين إلا بمقدار ما رأى في ذلك كله «سلحاً» يمكنه استخدامه في «معاركة» الرومنة التي تعبر عنه ذاته المتنامية ولكن الساعية دائماً إلى التواصل مع الآخر. ومع هذا إذا كان شاهين اختار أن يدنو في سيماء من لحظات انعطافية، فإنه









الحكاية كان شاهين لا يزال صاحب فكر جماعي، مؤمناً بالتقدم السياسي والوحدة العربية.

غير أن هذا لم يمهده. منذ ذلك الوقت الميكرو، وعلى عكس ما كان الوضع مع آخر فيلم، جدي، كان حقيقته قبل «الناصر صلاح الدين»، أي، جميلة الجارية، لم يمتدحها من أي منظر إلى الآخر، وإلى ضرورات التلاقي الحضاري نظرة مستتورة وتشتعل لديه كثيرا لاحقا، نظرة تبعد إلى حد كبير عن لعبة الأسود والأبيض الكاداة فهذا كان صلاح الدين الأيوبي نفسه وحسب ما تروي لنا كتب التاريخ التي تنحدر بها نحن العرب، قد ساس مع أعدائه إلى حد ماوانه ريشارد قلب الأسد، هل علينا نحن أن نكون أقل افتخا بالآخر مما كان صلاح الدين؟  
والحال أن هذه الفكرة التي كانت جنينية في الناصر صلاح الدين ستشكل لاحقا أساسا من أسس علاقة شاهين بالنسبة وبالآخر. وسجرت عليه المشاكل أيضا، فيرأنا هنا، لا تزال امكر من أن نتوقف عند هذا الأمر. هنا لا تزال هي وسط الصالحة بين القنان والسلطة التي يخضعها في هيلمسه. ولا تزال المصالحة قائمة بين المجتمع والسلطة أيضا، فبدية الستينيات على رغم بعض الانكساعات التي جابهت العهد الحضاري (الانفصال مثلا، وبدابات الصراعات العربية المسلحة، حرب اليمن) كانت لازال تشهد امتدادات الصعود القوي، وكان الصراع الأساسي قائما ضد ذلك الآخر، العربي الذي ثمارس تجاهه لعبة لجذب ولتنبيه ونود لو نقتنه ونذكره بمأهيتنا وبموافقتنا تجاهه



ونحن نعرف أن حكاية، الناصر صلاح الدين، تنتمي إلى الحقيقة التاريخية هي خطوط أحداثها العامة. لكننا نعرف أيضا ن التفاصيل قد لا تكون حقيقية كليا. كل ما في الأمر أن شاهين، ومن قبله صاحب العكرة يوسف السباعي، وكتب لسيناريو نجيب محمود وعبد الرحمن شرافوي وأيضا عز الدين ذو الفقار الذي كانت له مساهمته قبل تخليه عن العمل استحوذوا على تلك الأحداث، ثم أعاد خطط التواريخ والشخصيات بشكل يبدو منهائفا، للمؤرخين كما ستكون إلى حد ما مع افلامه التاريخية الثانية، وحتى مع افلامه غير التاريخية. وذلك خدمة الأيديولوجيا التي كان مطوبا سنة أن يعبر عنها. من ناحية، والإرضاء فتارة أخضا من جهة ثانية، ويمكننا بالطبع خارج إطار الأخرافات العامة، مثل التسامح والاعتناق على الآخر.

بتحتته، الأرض، وصولا إلى بدء ثلاثية الفات كما جاء معنا، وعلى رغم أن الاستقبال العربي العام الذي كان من نصيب الناصر صلاح الدين، تبدي أفضل ألف مرة وأرحم ألف مرة من الاستقبال الذي سيكون من نصيب أعماله التاريخية الجديدة «وداعا يا بونابرت»، فإن ما لا يد لنا من قوله هنا هو أن مكتسبات كل تلك السنين على المستوى الفني كما على مستوى الوعى، تلوح مباشرة عند المقارنة بين الفيلم، وعلى ضوء هذا يبدو في يقيننا أن فشل «وداعا يا بونابرت»، لدى المتفرجين العرب، إنما نتج عن سوء فهم واضح. فالتفكر العربي كعادته، وهو الغارق في الأيديولوجيا حتى أدنيه، كان يريد من شاهين، أن يقدم مرة أخرى على رسم صورة علاقة «النحى» بالآخر في فيلم يطاول حملة بونابرت على مصر، وهي إحدى المسائل الأكثر إثارة للجدل في تاريخ الفكر العربي الحديث، كان يريد منه أن يهاجم الحملة دون هوادة وأيضا من منطلق إزواجية الأسود والأبيض، «نحن، دائما على حق، ومطلوبون من الآخر، دائما على خطأ وهالتم، وفي هذا الإطار من الواضح أن المتفسر العربي لكى لا يقول أيضا: التخبية العربية، لا يريد أن يرى أية دياكتيكية في العلاقة بين الأنا والآخر. واللافت هنا أن النخب العربية الحديثة والجمهور نصف الواعى من ورائها يبدون متعلمين من النخبية العربية أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، التي من دون أن تفوتها تطاعات بونابرت الاستعمارية في حملته أدركت، على خطى الجبرتي والعديد من المثورين المصريين الذين عاشوا زمن الحملة، أن الحكاسب النهضة التي تحققت للمكر العربي وللحداثة العربية، ليس بفضل الجانب العسكري من الحملة، بل بتحديد أفضل جانبها الأهم، بالنسبة إلى تلك النخبية العلمية، وهذه الجدلية لم يكن لمسيحائي واع، وروما مشاكسا، مثل يوسف شاهين أن يرفض ويتها، بل كانت همه الذي أملى عليه الاندفاع لتحقيق هذا الفيلم.



والحال أن الصراع الرئيسي في «وداعا يا بونابرت»، ليس الصراع بين الفرنسيين والمصريين بل العرب، حتى وإن كان هذا الصراع حقيقيا وأسفر عن ضحايا ثم عن هزيمة بونابرت، الصراع الرئيسي لدى شاهين هو بين بونابرت وبين فرنسا آخر هو كاتاريللى، أحد العلماء الذين

وانتماء الجميع إلى أديان سماوية لا ينبي للصراعات الدنيوية أن تؤثر عليها. يمكننا أن نرى في سياق هذا الفيلم (المنقول بحرفية كبيرة، ذلك أنه كان أول فيلم ملون شاهين الذي لن يعود بعده أول فيلم الأسود والأبيض إبداعا كما كان أول فيلم يستخدم أعدادا كبيرة من الجامعين، ويحضر في ساعات عرضيه، الثلاث تقريبا، أحداثا تاريخية امتدت في الزمن الحقيقي عقودا من السنين) بعض الأفكار الأساسية التي سيظل شاهين يهجم بها دائما، مثل موقع الحب وسط عواصف الحروب والكرايمية، ودور العلم والعقل، لا القوة، في الانتصار في الحروب وفي بناء الحضارات، والانتماء الحمسى للأقليات المسيحية للبيئة التي تعيش فيها. إن مسات صلاح الدين وافتتاحيته تبدو مستقاة مباشرة، ليس من كتب التاريخ، بل من واقع إسكندرية شاهين نفسه، والدمشق ذلك العالم الذي يشغل عقله من أجل الانتصار ليس سوى إرغاص بدور المثقفين في صنع الانتصارات، صحيح أن السنوات التالية من حياة شاهين ومصاره المهني، تستشهد تبديلا أساسيا في نظرته إلى دور المثقف (خيانة المثقف كما قد يقول جوليان بندا) لكن شاهين، حين يحين موعد تحقيقه افلامه التاريخية، بالعلمي الجرفي للكلمة، الثلاثة التالية، سيكون قد استعاد إيمانه بدور العلم والتثوير، ودور المثقفين في مجتمعه، تاهيك بإصراره على مفاهيم مثل «حكايات دائما مثل التلاليق الحضاري، وهذا سناحظه من خلال الشخصيات الأساسية التي ستمثل مشاهد وحكايات تلك الأفلام، من كاتاريللى في «وداعا يا بونابرت»، إلى رام في «المهاجر، وصولا طبعاً إلى شيخ المثقفين في سينما شاهين، ابن رشد الذي سيكون بالنسبة إليه في فيلم «المصور، البرد الطبيعي على مقفى الأرض» والصقوف والأختار، وعودة الابن الضال»، وفي سيوسيله إلى ذروة الصالحة مع شخصية المثقف ووري، وسنعرف لماذا، حين تقرب بالتحديد من «المصور».

## «وداعا يا بونابرت»

### الأخضر أخرا..

اثنان وعشرون سنة في الزمن الذي يفصل بين الناصر صلاح الدين، «وداعا يا بونابرت»، وهي سنوات شهدت تغيرات جذرية في مصر والعالم العربي والعالم، وكذلك في حياة يوسف شاهين ومصاره الفني، وبالنسبة إلى هذا المسار الأخير، كانت تلك السنين هي التي شهدت تحقيقه لأهم أعماله بدءا

## حدد شاهين وظيفة

### السينما التاريخية،

### إنها ليست مجرد

### رسم الأحداث التي

### حصلت في

### الماضي، انطلاقا من

### نظرة موضوعية ياردة،

### الحقيقة التاريخية

### ليست مهمة هنا

### فالتاريخ مهمه تعلمه

### في المدارس

### والأكاديميات، أما ما

### يهيمن منه فهو مدى

### انعكاسه علينا





## الهاجر - أصلب العلم ولو

### في أرض الصراغنة:

منذ زمن بعيد جدا كان يوسف شاهين يحلم بتحقيق فيلم عن زمن الصراغنة. ولعل مباحثته عددا من الأفلام التي كانت تكثر في هوليوود، وربما في بعض أوروبا أيضا، متحدة عن ذلك الزمن سببها وإسماصة الإنسان فيه ممسك مصيره للحرية الأولى في تاريخ البشرية. كان هو ما حركه، ولكن كان من الواضح، بالنسبة إلى شاهين منذ البداية، أنه ليس من يحنو فيلمه عن ذلك الزمن بكسبي ما يكون ذا بعد تاريخي فيلمه الفتي من «المرصعة» لا يمكنه إلا أن يكون معاصرا بل أكثر من هذا، لا يمكنه إلا أن يكون ذاتيا.

في هذا، لإضارة، لأن السبب نموها مرة أخرى وسكرها دائما. ليست مجرد بحث نظري يتجس في أن يكون ذراعيا. وجد شاهين صلاته في حكاية تورانية تبثها لاحدا الأدباء «سماوية» جميعا في حكاية يوسف الذي شره في أخوته وحيل إليهم أنهم تخلصوا منه بقتله، فإذا لم يحنو نفسه في أرض الصراغنة ويكوه له شأن هناك.



بعد البداية كان شاهين يعرف أن ليس في إمكانه، وهو لا يريد ذلك أصلا أن يجعل من فيلمه تصويرا لحكاية يوسف. لم يكن هذا همه. كان همه أن يستمد من الحكاية العينية عناصرها وأن يجعل من بطله الذي هو صورته الذاتية، شيئا يوسف، يعانى معاناته ولكن لأهداف أخرى ترتبط بأصاف شاهين نفسه. وتعرف أن هذه المواقف المحورية بين الشخصيتين، على رغم تشابه الأحداث، فالتك كل أولئك الذين ألقوا شاهين بالتهميد وبالغصاء الذين يمنعون عرس الفيلم حين أنجز، ليتركوا فقط على التشابه بين الشخصيتين ما خلق سوء تفاهم جديدا. ما يكن شاهين في حاجة إليه. ولكن إذا كان هذا انعكاسا سلبيا، فإنه سرعان ما انعكس إيجابيا على الفيلم حيث إنه جعل الصفحة المتصلة التي أثرت من حوله، متاهة تصوير شخصية ديمية تاريخية لا يجوز تصويرها. تدفق المتفرجون بالأمم الفيلم في مصر وفي غيرها، لمشاهدة الفيلم، ما جعله أنجح أفلام شاهين على الإطلاق. والحقيقة أن كثيرا من الذين كانوا يشاهدون فيلمنا لشاهين على الشاشة الكبيرة للمرة الأولى



## لأن يوسف شاهين

### هو واحد من

### الفنانين الأكثر قلقا في

### تاريخ فنوننا

### العربية كان من الطبيعي

### له أن يجد ضالته

### من خلال حكاية الحملة

### البونابرتية، حاصلا

### على التمويل

### حتى من الفرنسيين

### الذين أبدوا لهم

### بطالبود بأن يكون

### رفيقا مع بطلمه

### القومي المزيف ذات

### (تأيلبون)

كافاريللي كذلك لم يلتفتها، حتى وإن لم يكن على السوء الذي كان عليه كولومبوس، أو بونابرت، ومن هنا على رغم أن شاهين يرسم شخصية هذا العالم رسما إيجابيا، فإنه لا يفتيه من الملامة هو الآخر، وعلى لسان علي، التي هو تعلم الكثير من كافاريللي وأحبه يصدق واضح أن شاهين أثر هذا الفيلم المشعول بحرفية تقسية عالية أن يترك العام التاريخي الكبير ليخوض في الخاص مواصلا البحث عن أجوبة لأسئلة لا تكف عن إفلاقه منذ زمن بعيد. ولأن ما يقدمه شاهين هنا أسئلة لا أجوبة، تعود مرة أخرى لنقول أننا حتى ولو لمناهة، أي شاهين من خلال شاعرية شخصية كافاريللي، فإنه أيضا حاضر من خلال شخصيتي يحيى وعلي.

هذا قد يكون السؤال مشروعا حول أحقية الفنان في أن يبدل التاريخ بآرائه الخاصة وأن ينقش الماينين على فيلمه، فخاف، في نهاية الأمر؟ ولكن مع يوسف شاهين يتقدم هذا النوع من الأسئلة. لأن الرجل يرى أصلا أن هذا هو الدور الأساسي والحقيقي للسينما، والسينما كما يفهمها هو، إبداع فني يتخلل من ذات الفنان ليسب في الحبيات. لا في الواقع فإن صيد الأحداث، ما يفتي شاهين هذا، ما يعنيه هو تفسير هذه الأحداث وقدرتها على أن توفر للمبدع/ الفن بوصفه سلاح الفنان الوحيد وناقذته على العالم، ولأن السينما الحقيقية/ الفن الحقيقي على سينما الأسئلة والمفوق لأن يوسف شاهين هو واحد من الفنانين الأكثر قلقا في تاريخ فنوننا العربية كان من الطبيعي له أن يجد صالته من خلال حكاية الحملة البونابرتية، حاصلا على التمويل حتى من الفرنسيين الذين أبدوا لهم بطالبود بأن يكون رفيقا مع بطلمه القومي المزيف. ذلك، هم أنفسهم لم يكونوا وقيافين مع نابليون على الإطلاق.

والحال أنشا أن لم نخضع هذه الفرضيات على هدنا ونحن نتفرج على «دعاء» أن بونابرت، سيقى عند مستوى سوء التعامل في تعاملنا مع هذا الفيلم، بل سنحجز حتى عن فهم فيلمي شاهين الآخرين الآخرين الذين قد حققهما خلال السنوات التالية لتحقيق «دعاء» بونابرت، وهما «الهاجر» و«المصري». وإذا لم ندرك أن شاهين مثل كل حرفي ماهر، يمكنه أن يصنع أي شيء من أي شيء ولا يتورع عن إعادة تركيب التاريخ على هواء دون أن يزيغ في مجرياته الزمنية بالطبع. لن نتمكن أبدا من فهم تلك الزاوية الأخرى التي جعلت «الهاجر» ممكنا وجعلته هو الآخر فيلمنا من سيرة شاهين الذاتية، حتى وإن دارت أحداثه في زمن الصراغنة.

رافقوا الجنرال الشاب الجموح في حملته، ولنتذكر هنا أن بونابرت (التي قام بدوره بكل براعته الفرضي نابرتيس (شيرو) لا يظهر في الفيلم إلا لثما، وهو في كل مرة يظهر فيها يتهدى لنا عرضة للسخرية ولا سيما من قبل كافاريللي. المتي تروى أحداث فيلم شاهين من مسطوره دون أدنى لبس أو غموض ولتلاحظ أن شاهين يدخلنا هذه الجدلية منذ يلتصق بونابرت بعيارته الشهيرة المتلفة بالأرعة آلاف سنة التي تنظر إلى وجود الفرنسيين في مصر من أعلى الأهرامات. إن شاهين يدخل لعبته منذ تلك اللحظة. إذ ما إن ينتهي الجنرال من عيارته الماثورة التي يصورها شاهين ليلا ومن بعيد، حتى يتسهم كافاريللي (ميشال نيكولي) سائرا ويتيمت بما معناه، «ها هو هذا الأحمق عاد إلى أسطواناته مجددا».

منذ تلك اللحظة إن يوضع شاهين فيلمه في سياق فكره هو لا في سياق الحدث التاريخي نفسه، ويقول لنا بكل وضوح إن هذا الحدث التاريخي لا يهمه بأية حال من الأحوال، ما يهمه هو ما جاء كافاريللي ليفعله في هذه البلاد، لا ما جاء من أجله بونابرت. ما جاء من أجله بونابرت يمكن التعرف عليه في كتب التاريخ أما كافاريللي فهو ما يهم سينما شاهين، لذا ربما لأن كافاريللي يمثل جانباً من شخصية شاهين فهو يسافه المخطوطة ومحاولة الاندماج في حياة المصري (ولو عن طريق إقامة علاقة غرامية بالفتى يحيى لم يأخيه على) إنما يرمض بشخصية زام في «الهاجر» وبشخصية جورف ابن جبران بروي في «المصري». غير أن شاهين لا يفوته هنا أيضاً أن يلقى باللائمة على كافاريللي. ولعله هنا يقارب الناقد الذاتي في شكل من الأشكال. وفي هذا الإشارة تكون مهمة تلك العبارات التي يلقها على بعد موت أخيه يسبحي وفيما يكون كافاريللي على فراش الموت، أخذ على هذا الأخير أنه إذ جاء ليلمع ويستمع اقتصر دوره على أن يعلم، ولم يتعلم على ولا لغة القوم الذين أتى ليقيمهم ويحيش بينهم. إن شاهين يبدو هنا قريباً جداً من منطق كان عالم الأنثروبولوجيا الفرنسي كلود ليفي ستراوس عبر عنه في واحد من أهم كتبه، «حكاية اللكس، إذ تحدث عن استقبال اليهود الحمر لكريستوف كولومبوس حين اكتشف هذا البحار القارة الأمريكية، كان الاستقبال حفلًا صاخبا لكن الأوروبي الأبيض لم يسهم كنه ذلك الترحيب بل دبح مستغلبة موقفاً على العرب واحدة من تلك الفرض التي أبدع دائما في تفويتها.



معيد قراءة العدد الأكبر من أفلام شاهين السابقة لكشف أنه بين السطور، أي ذلك أعماق خطابات أفلامه، لم يكن أبداً ذلك «الناكس الأخلاقي» الذي يوحى بكونه طاهر تلك الأفلام؟

وفي وسط هذا كله كان شاهين يعرف أنه سينمائي، هناك أولاً وآخرها. وأن وعظمية الفنان أن يروى يحكي يصور. ولا ينسى ولو للحظة واحدة، لذة الحكى، ومن هنا عبر في هذا الفيلم الغريب والعصبي في أن معاً عن إيمانه بتلك اللذة. فقدم حكاية جذابة. قدم أفكاره كلها من خلال عمل استعراضى كبير، يشبه في شكله الخارجى الأفلام التاريخية البوليتوية الضميمة. لكنه يشبه في شكله الداخلى تلك الأفلام الحميمة. وهذا كله جعل الفيلم أشبه بلعبة الدمى الروسية، حيث تخفيه كل دمية دمية أخرى أصغر منها تحتها.

غير أن الدين ارتأوا أن عليهم أن يحاربوا هذا الفيلم لأسباب دينية كما قالوا. لم يروا منه سوى واحدة من دميته، بل لربما رأوا الدمية الأقل أهمية، فاضين نظروهم من كل المزايا الأخرى التي يحملها فيلم عرف بدوره كيف يساهم في إخراج السينما المصرية إلى العالم وكيف يستفيد من السينما العالمية لصالح مصر، مواضيع السينما العربية إنما يجعلها أوضح وكثيراً، كما ثم خاصة وأخيراً كيف يحدد مكاناً لتطبيق حديث شريف يقول «اطلبوا العلم ولو في الصين».

وفي هذا الإطار لم يكن اختيار شاهين ليحمل من فيلمه عملاً عن جزء من مسيرة الفيلسوف العربى الأندلسى من قبيل الصفة وسقوف في الصحف الثانية لما. أما هنا فطيناً أن يطلب من القارئ أن يضع وهو يشاهد «المصير» أو يقرأ عنه، كل حمل قبلى شاهين «واعداً بولنارات» والمهاجر نصب عينيه، لأنه من الصعب قراءة «المصير» خارج إطار علاقته بهذين الفيلمين.

#### المصير، أين رشد،

#### شاهين، وراهنية حياتنا

من المؤكد أن الدين قصوداً فيلم «المصير» ليشاهده أملاً في أن يتعرفوا من خلاله على حياة فيلسوف قرطبة الأندلسى الكبير، أن رشد، ظلو على قلمهم، هم الذين قد عرض الفيلم بأشهر. كانت الصحافة قد أمطرتهم بأخبار عن الفيلم تؤكد أنه يروى حياة صاحب بثلاث ثقافات، الدين، المصير، شاهدوا «المصير» حين كانت عروضه الأولى خلال الدورة الخمسين لمهرجان

نصه (ولسوف يؤكد جزء أساسى من أحداث حياة رام هذا) ومن ناحية ثانية إلى جعلنا ننسى تاريخية الشخصية نذكر أن ما يقدمه هذا الفيلم إنما هو «امتدود» لا أكثر ولا أقل.

المهم هنا هو أن رام أصلاً. لا يذهب إلى أرض التور، مصر الفرعونية، من تلقاها، بل إلى إخوته فغروها، وهو بعد ذلك إذ يجد نفسه في قاع سفينة. يجد أن السفينة تأخذه إلى مصر. وهناك يباع كعبد إلى القائد العسكرى الحبيب والطالع من صفوف الشعب بالجنهاد، أميرها. ولا أميرها هذا زوجة حسنة أو سميت التي تقرر برام بعد وفاة زوجها دام عشر سنوات راحت بعدها تتطلع إلى حب جديد في حياتها، يعرضها عن عز زوجها وإهماله لها. لكن رام على رغم الإغراءات كلها وعلى رغم فتنة سميت، ليس هنأ كي يشق امرأة سيد، وهكذا يصر صراع بينه وبينها يرافيه أميرها تعلق أولاً ثم بغضول بعد ذلك، وعلى خلفية هذه الدراما العائلية، إن جاز القول، تدور الأحداث الكبرى في الفيلم، حيث من جديد وكما في «واعداً بولنارات»، يقيم شاهين العلاقة الجدلية بهارة وتناقض بين الخاص والعام، ويضلل كما شأنه دائماً أن يرجع كفة الخاص جاعلاً العام لا يبرز إلا من خلال كفة الخاص والمنتظم، والعام هنا هو الصراع الداخلى وفلسد الطبيعة الحاكمة. وتوق الشعب إلى الثورة، ودور العسكر، ثم الجفاف الذي يضرب البلاد في خضم ذلك كله، وأيضاً هناك «الغريب» الذي لا كان يصالح في البداية تعاملت هندسياً. سرعان ما يضيف إلى المجتمع الذي يعيش فيه علمه وكهانه، ما يجعل التفاعل حقيقة ويجعل «الأخر» ضرورياً للثبات. وهذا الجانب قدسه لنا شاهين من خلال العلاقة العرابية والودية التي تقود بين رام وهاتى من خلال تعاونته معهم ومع أهلها ومجاعتها لقائمة الجفاف.

ذلك أن شاهين في لحظة من لحظات الفيلم يقول «التمتع، الآن هنا سعيًا وراء المعرفة والتور، معلماً، يدوره ينشرهما في هذه الديار التي يعيش فيها ويتزامن هذا من تعلق رام على رغبته تجاه سميت وتعلقه أكثر وبهايات. وفي هذا الإطار بالتصديق يقيم الفيلم أخلاقياً وعظماً إلى حد ما، ويشكل معاً، ذلك إننا نأثراً ما سبق أن قلنا طائناً من الفيلم لشاهين مثل هذا القدر من الوعظ الأخلاقى، وتقديراً من يسير على مضى استقيم.

هل عرفت هنا أن شاهين كان قد أصبح أكثر تحفظاً وامتناعاً من ذي قبل؟ إن أخلاقيات فيلمه التالى «المصير» تتوصلنا إلى مثل هذا الامتناع، ولكن أفلا يسكتنا يا ترى على ضوء هذه الوظيفة التي قد تلوح هنا جديدة أن



#### بفعل الضجة المتفعلة التي أثرت من حول يوسف شاهين.

#### باتهامه بتصوير شخصية دينية

#### تاريخية لا يجوز تصويرها، تدفق

#### بمئات الآلاف في مصر وفي

#### غيرها، مشاهدة

#### «المهاجر»، ما جعله

#### أنجح أفلام شاهين

#### على الإطلاق

الأولى في حياتهم لم يتدمروا على ذلك أبداً، ذلك أن هذا الفيلم يطل، الأجل، والأغنى، فنياً من بين أفلام شاهين كلها فألى على الصورة (مستيسس مزروق) ومشتدة اللغة السينمائية والتنوع الموسيقى والملابس والمونتاج التي هافت كلها ما كان لدمه شاهين سابقاً (حتى قبل أن يجامى الفيلم طلع حتى على موضوعه، لكن هذه حكاية أخرى)، يمكن أن نصيف أن تعاون رفيق الصبيان وخالد يوسف مع شاهين في كتابة السيناريو، فكرة مرة واحدة بمهمهم الوضوح لا المواجهة ليعبر الفيلم عن بعد خطى لا تلتئم جميع، بل إنه أتى في نهاية الأمر فيلماً بسيطاً متمكناً من موضوعه، مثبناً في تعامله مع مثقليته مستفيداً إلى أقصى الحدود من الديكورات الجميلة، وطيناً أن هذا كله ما كان من شأنه أن يرضى الشاهينيين الخالصين (وكانت هذه السطور واحد منهم)، لذا لم يمل شكل الفيلم خطوة كبيرة لديهم لدى مشاهدتهم له للمرة الأولى، لكنهم سرعان ما أفركوا أن «المهاجر» واحد من أفلام الشاهينية التي تكسبت عمقها بالتدريج كما تكسفت شاهينيتها بعد حين. ذلك أن طابع «الطبقات البريدية» الذي يبدو للوهلة الأولى مسيطراً على الفيلم، والاحداث، والخطبة، على الشخصيات (خصوصاً أن حال تلك العلاقات لا يحمل نقاط بل يكاد يكون معروفاً سلفاً) وبعض الأفعال الذي يلون في النجوم إلى استعراضات صناعية الموسيقى. كل هذا سرعان ما يحلى مكاناً للبعد الأكثر الأهمية. بعد المعاصرة الخاصة في هذا الفيلم.

كل شيء، فيلم معاصر تماماً كما أن رام فيه، المتوجه في أرض الفحل إلى مصر. هو شاهين (المتوجه من أجل بلاده إلى بلاد الحضارة) ما هي العناصر الأخرى في الموضوع والحبكة تحليلاً مباشرة إلى زمننا، الزمان، الصراع الطبقي بين الأفكار الجديدة (يرمونها أختاتون) مقابل الأفكار القديمة (يرمونها أمون وكهنته)، دور الثقافة والعلم في بناء المجتمع، وفي هذا الإطار لم يكن بعيداً عن الصواب ذلك الناقد الفرنسى (فنان هاتريكار) الذي قال إن فيلم «المهاجر» هو أول وآخر فيلم عن التعلق، إذ مهما كان من شأن الأحداث التي عاشها رام وغيرها فإن الأساس هو اكتسابه للفلم والحركة وبقينه من أنه سيكوي في وسع أي إنسان عبثه بواسطتها، منذ البدايات هي «المهاجر» يقول لنا شاهين كما أن لديه نيتية يوسف في الحكاية التورتية. وهذا التصديق يرمى إلى أمرين في أن معاً، من ناحية إلى استبعاد فكرة أن يكون رام هو يوسف



وييس ما تعنيه رسم تصوير العيف وعرضه

الوصول إلى هذا، من الواضح: يوسف شاهين وحالده، يوسف قد أعاد اختراع ابن رشد من جديد وسهل عليه هذا كونهما يتعاملان مع عمل مشر وليس مع درس تاريخي أكاديمي. شام كما سبق لنشاهن أن فعل في أفلام سابقه تنطق من التاريخ من دون أن تصب في بالطبع

ومن هنا سيكون من العجب أن نبهت في كتب التاريخ عن سيره لابن رشد وتفاصيل عن حياته العالمية، تشبهه وتعدده في الفيلم، فيالمجلد جعل لآلوه رشد ابنه يريده ابن الخليفة، الاقتار بها وجعل للخليفة المنصور ابنه هما عبدالله والناصر وأقام صراعاً بين الأندلس (والصراع بين الشقيقتين يكاد يمشى موضوعاً دائمة الحضور لدى يوسف شاهين في العديد من أفلامه راجع، عود الأمن الصالح، والاختيار، بين أعمال أخرى)، ثم صور شخصية العجيرة مازينويلا، زوجة الشاعر الفسيفس مرزوق (وقامت بالدور ليد، علوى النص هذه إلى ردة ألقاها على ربح قصر دورها في الفيلم)، واختار شخصية العالم الفرنسي جيرار بروي وأتى بانه يوسف من فرنسا ليضمه إلى أسرة ابن رشد.

وكل هذا جعلنا في الواقع، نشعر أن لا تعيش في قرطبة الأندلس في القرن الثاني عشر بل في، إسكندرية يوسف شاهين، في مصر أربعينيات الخمسينيات، حيث كان التعاشش ممكناً بين الطوائف والأفكار، وفي هذا السياق ألك تشبه العلاقات بين أفراد أسرة ابن رشد وبينهم وبين أصدقائهم شبيهة بالعلاقات بين أفراد أسرة يحيى، يوسف شاهين في، الإسكندرية أله، حيث يلعب محموب، الميجي (الذي يكاد يكون والد شاهين) دوراً يشبه دور ابنه ولكن يبدو شاهين بين عبد الله والناصر ابنه الخليفة شبيهاً بالصراع بين الأخوين في، عود الأمن الصالح، وأحال أن لا نشأنا البعد هنا عن تشبيهات في هذا النوع، لم تتوقف أبداً، فالمعجب كما أشرت، وكما هو الأمر بالنسبة إلى معظم أفلام شاهين هو تشبه لعمله لعمل شاهين قبل وبعد هذا لن يعود مهما أن نشتر علم وجود تشابه بين الممثلين العالم بالفرنسي وبين منطق فيلم «اسم الورد» (الذي اقتسمه جان جاك أوت قبل «المصير» يستوناً من رواية أمبرويو أليكو المعروف بالاسم نفسه) علماً بأن «اسم الورد» هو لمرجع سيميائي في يحظر على الهال لدى مشاهده، «المصير» حيث، إلى التيمات المشتركة بين الفيلمين عده أبرزهما حضور أرسطو



صورة من فيلم «المصير» لـ يوسف شاهين

الغالبية (١) التي تربط بينهما.

ولكن كان الفيلم، حتى هذه اللحظة، قد حرص على أن يصنعنا في قلبه ما يشبه الحقائق التاريخية فإنه من الآن وماهنا يسطط بين التاريخ وأمننا الراهن لينقل إلينا رسالته الأساسية. إذ، مرة أخرى، من الواضح أن درس التاريخ ليس ما يهم يوسف شاهين، مرة أخرى ليس التاريخ بالنسبة إليه أكثر من درعة أما المرحلة التاريخية في الماضي والحاضر والماضي المصوري في الحاضر (والذي يصل إلينا نحن المشرجين) فستشتمل بشكل أساسي، عن طريق اللغة، إذ هنا لن يبدو من البراءة يمكن أن يكون شاهين ومشاركه في كتابة السيناريو وأيضاً الإخراج إلى حد ما خالده يوسف قد اختار العامية المصرية من جديد، أداة التعبير في الفيلم، إذ كان في وسعهم أن يختاروا عربية فصيحى بعض الشيء، للوهلة الأولى لا اختيار حل تقني بحت، ولكن نظرة معمقة إلى «الخطاب الخفى» للفيلم بعد ذلك، نستكشف أن الدور الرئيسي الذي كان يتعين على العالم الفيلمي لتفطوه أن نكلمه، إذ أننا لو أغضنا أذاننا واستمعنا إلى الحوار ستفاجئنا أنفسنا وقد دخلنا زسى الراس مباشرة، وأكثر من هذا هو شاهين، ومباشرة بعد محاولة قتل الشاعر مروان (بعد دوره العتي محمد منير) يجعل محاولة، قتله الشاب المتطرف، تلتقط أماد ابن رشد الماضي في فاعة المحكمة، بالعبارات نفسها، تقريباً التي تلتقط بها في تمثيليات القرن العشرين في مصر ذلك المتطرف الذي حاول قتل نجيب محفوظ (شاعر القرن العربي الحديث).

لزم ألا يفهم يوسف شاهين، هنا، مرة أخرى، في قلب الراهن المتكلم، ويحدث ذلك التقلب بين ما يرويه لنا التاريخ،

العامية، ويتنافس فيها طلاب العلم، العلماء على شراء الكتب والمخطوطات مع الخليفة بكار أحياناً المنيعة. وعندما ينضم يوسف إلى حلقة الأصدقاء والأهل الخليفة يابن رشد يقوم بالدور (دور الشريف)، تكون النظرة تمت، وترسم أمانته على الفور صورة العلاقة بين المثقف والمدينة، ومن ثم بينه وبين سلطة المدينة في أندلس الموحدين. وهذه العلاقة سرعان ما تقودنا، بالطبع، إلى علاقة ابن رشد المباشرة بالخليفة المنصور (يلعب الدور محمود حميدة) لتكتشف مدى التداخل بين الفيلسوف والحاكم، ونسج العلاقات (حتى العالمية) التي تربط بينهما.

ولكن كان الفيلم، حتى هذه اللحظة، قد حرص على أن يصنعنا في قلبه ما يشبه الحقائق التاريخية فإنه من الآن وماهنا يسطط بين التاريخ وأمننا الراهن لينقل إلينا رسالته الأساسية. إذ، مرة أخرى، من الواضح أن درس التاريخ ليس ما يهم يوسف شاهين، مرة أخرى ليس التاريخ بالنسبة إليه أكثر من درعة أما المرحلة التاريخية في الماضي والحاضر والماضي المصوري في الحاضر (والذي يصل إلينا نحن المشرجين) فستشتمل بشكل أساسي، عن طريق اللغة، إذ هنا لن يبدو من البراءة يمكن أن يكون شاهين ومشاركه في كتابة السيناريو وأيضاً الإخراج إلى حد ما خالده يوسف قد اختار العامية المصرية من جديد، أداة التعبير في الفيلم، إذ كان في وسعهم أن يختاروا عربية فصيحى بعض الشيء، للوهلة الأولى لا اختيار حل تقني بحت، ولكن نظرة معمقة إلى «الخطاب الخفى» للفيلم بعد ذلك، نستكشف أن الدور الرئيسي الذي كان يتعين على العالم الفيلمي لتفطوه أن نكلمه، إذ أننا لو أغضنا أذاننا واستمعنا إلى الحوار ستفاجئنا أنفسنا وقد دخلنا زسى الراس مباشرة، وأكثر من هذا هو شاهين، ومباشرة بعد محاولة قتل الشاعر مروان (بعد دوره العتي محمد منير) يجعل محاولة، قتله الشاب المتطرف، تلتقط أماد ابن رشد الماضي في فاعة المحكمة، بالعبارات نفسها، تقريباً التي تلتقط بها في تمثيليات القرن العشرين في مصر ذلك المتطرف الذي حاول قتل نجيب محفوظ (شاعر القرن العربي الحديث).

لزم ألا يفهم يوسف شاهين، هنا، مرة أخرى، في قلب الراهن المتكلم، ويحدث ذلك التقلب بين ما يرويه لنا التاريخ،

كان السينمائي، فإنهم أدركوا بسرعة أنه عمل شاهينى جديد، يتحرف في المسار المتعود والعقد لقن شاهين وهم وجدوا في الفيلم ما أراضاهم وأشعرهم أن العاصيتين اللتين أعضوهما أمام شاشة الفيلم وشاشة شاهين لم تضعيا هيا. ذلك أنهم أدركوا منذ البداية أن «المصير» ليس بالتمام عن حياة ابن رشد، بل يكاد يكون فيلماً عن يوسف شاهين، وتبين لهم أن البيئة الحقيقية للفيلم ليست بالتمام أندلس القرن الثاني عشر بل هي مصر وريما العالم العربي كله في القرن العشرين، أو عند اللحظة الانعطافية بين القرن العشرين وما يليه، والحقيقة أنه نادراً ما تمكن فيلم عربي قبل «المصير» من أن يتراجع بين الماضي والحاضر كما فعل، «المصير»، ونادراً ما تمكن فنان قبل شاهين، من أن يقيم رصفاً بين العام والخاص كما فعل شاهين في هذه العمل.

إذ حتى لو كان مارس هذا التراجع بقوة ونجاح في كل أفلامه التاريخية التي تحدثنا عنها أعلاه فإنه هنا، وتقولها من دون تردد، وصل إلى ذروة عمله وخلاسته بحيث لنأنا لو بحثنا بدقة عن مراجع مشهورة وموضوعية تربط بها اللحظات الأساسية في «المصير» أن نشتر على هذه المراجع ألا داخل ما من السينما الشاهينية كما كانت صنعت طوال نصف القرن الذي مر منذ بدأ شاهين عمله في الفن السابع، ومع هذا فإن ما نراه على الشاشة هو ابن رشد وقرطبة والخليفة المنصور ويضع شخصيات، عربية وإسبانية وغير ذلك، تضعض منذ لحظات الفيلم الأولى في قلب القرن الثاني عشر بزهره وقسوته بألامه وتناقضاته، القرن الذي يعبر شاهين عن تطوره إليه وإلى ازدهار التاريخ العلمي العربي بكل بساطة ومباشرة، فلم نلاحظ لدينا هنا عند بداية الفيلم، مخبر فرنسي يدعى جيرار سوي يحرق بأمر من السلطات المدنية والكنسية في إقليم الألفندوك المرزسي، تحديداً لأنه متأثر بمؤلفات «الكفار» ابن رشد ويؤلف على منوالها. ويروى يحرق مع كتبه ومع مؤلفات ابن رشد في الوقت الذي يقرر فيه ابنه جوزيف (يوسف) أن يتوجه إلى مدينة قرطبة الأندلسية لاتباع رسالة والده الفكرية ويتكلم في إيتابع قراره صاحب، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال، وهكذا يتيج لنا انتقال يوسف من البلاغفوك عصر الظلمات، الأوروبي وعصر التنوير العلمي العربي في الأندلس، حيث أن (ويضعضاً) على شاس مباشر مع حضارة نشترى فيها كتب الفكر في المساحات



[illegible]

لكن هذا كله يقضي على أي حال على  
صعيد الاحتمالات في هذا الميلم الذي  
في هذا الميلم الذي ورد في يوسف  
الهيبري. على عاتقنا في ابلاننا  
السيبريانيين، ان يقول انضواء كثره  
وعشائركه ورجاها متناقضة في صيورها  
على وجه ونهج في وجه، والمصري، و  
يتشكل انضواء هذا نهج في أي قليم  
سابق، فمن دور المتكفي في المجتمع إلى  
مخلافه القضيطة السطحية، الى الحديث عن  
علاقة الدولة التي قد يمل في الحكم  
مواجهته تتناقض في طبيعته الخائنة إلى  
الحكم في لحظة القراءات الخاطئة.  
وعنوزن العظمى ليدعي، إلى عزلة الحكم  
والاحتلال كونه، القاطنة، وصولا إلى بعض  
الفرصيات الممتدة من حول ليدعي احتلاله  
التي ترتدي فناء جهري، وهي ليست في  
حقيقة الامر سوى شجرة من الصراع على  
السيطرة تتحول سحرا في الظلمة.

وهو للوصول إلى التعبير عن هذا كمال،  
 سيحتاجون عن حاليه يومسعد سيارينو  
 محكما قد لا يجديدها عن استراضية على  
 بناعات الحظرطين ولا تبسيطية اعترقة  
 التي يتكلم عن ابروان التي انسطرة على  
 خصوصه. ولا تروى الهامة التي يحرق فيها  
 نور السوريع كسبه الاحمر، إذ إن هذه  
 الهامة لن تسكن خاص من اصعب ما  
 في العلم، ولا تروى صعب مثلا متخلص  
 من مشهد البداية التي يسمي، لغة  
 وضموته وصرقة كاسيرا إلى ارقى في  
 امكن شطين ان يحققه على مدار تاريخه  
 السيماني، والكل من هذا قد لا يجدي  
 الحياة العاكسة الاليمية التي طبعت  
 شطينه ان رشده (وما يربو واصح مدى  
 الطابع الانساني التي شاء تهاين ابيافه  
 على انما يلقون إلى الفسوف هو في  
 العلم ايمان من لعمرو، وقد يتخلص

مع زوجته وقد يخشى غضب ابنه). لكننا في المقابل نحب تلك المشاهد القوية (التي قد تذكرنا في قوتها بمشاهد حوارات هنري الخامس والمير توماس مور في «رجل لكل الصور» مثلاً) التي يصور فيها الحوار بين الخليقة المتصور وابن رشد مرة من حوار طاولة الشطرنج، ومرة حين يبدا ابن رشد صراعه الحفي مع الخليقة في مشهد وصلت فيه الصورة (كضوء وظل) وحركة الممثلين والكamera إلى مستوى مميز.

التي وظف كل لحظة وكل مشهد توظيفا لا يلائم ميعاد إياه. هي لحظات كثيرة عن عمليات المجاعة التي اختلج البيكات الطبرية على لعيت مناطق وقصور وقلاع في سورية ولبنان دور الأندلس بمرآة. هي الخلل والاسقاطات التي تدور بالفعل مئات السنين إلى الوراء من دون أن يخرج أي منها عن وظفته. وصولاً إلى موسيقى كمال الطويل وغناء محمد جوح، تمكن شافين من أن يقدم عملاً استثنائياً وضعه مرة أخرى في قمة السينما العربية، وفي مكانة لا بأس بها بين كلاسكيك السينما العالمية. كمال شافين تمكن في الوقت نفسه من أن يواصل تصفية الحسابات والمراجعات التي كان قد بدأ يفتحها ويغوص فيها منذ زمن. نحن أيضاً من أن نجيل طبعه شافينياً. أي كما بأساً.

في الحصار، عمله شاحنين موضوعه  
يقوه وضفي من أسلحة سبابة. على  
طريقته. مع تلك القوى التي كان حاكمت  
الهاجر، حاوره أن تسير إليه من  
الغالة. هو يبين شاهين وأشا من أن  
قائمتها الكبرى تمثل في القضاء على  
الفن والشعر وحيثهم. وبالتالي القضاء  
على عصر وما تبدل (المثامرون في  
الحصار، يصلون إلى حد التواطؤ مع  
الأسبان ضد عروبة الأندلس، وهذه  
الأشارة، العاصدة جداً لا تغيب  
عن بال متفرجي الحصار، لأنها تقسم  
أولئك العارضة غير أن المهم من هذا،  
هو تهيئة الصاحبة التاريخية التي  
يوصلها شاهين إلى زورها بعد ما كان  
يداهم منه. وبوإتار، تفتح المتفقد ودوره  
في هذا كما رأينا في مقاطع سابقة  
كيف أن شاهين خلال مرحلة طويلة من  
إدارة المهني، لم يتوقف عن توجيه أصبع  
السادة إلى المتفمين (من بيان الجرائد  
في باب الحديد، إلى الألف المشرق في  
عودة الأبن الضال، والكتب الانتهازي  
في الاختيار، إلى الشيخ حسونة في  
الأمم وغيره، حيث كان المتفقد، على  
الذواء مدافعاً بين يدهم التخلي عن  
رسالته وعن الفكر المتقدم الذي كان  
يحملة واقع (الأخوين) هـ ما هو هدف  
هذه في صف المتفقد بل في قوة من

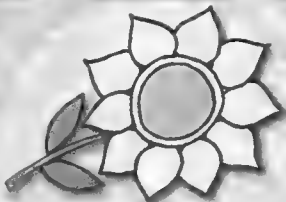
دون أي التماس، موصلًا هذا الموقف إلى دورته بعدما فعله في السبعينيات والتأثير من إياها، بل إن الوقوف في صف المنصف والاعتذار هو الفعل الأساسي في هذا العهد، المصنف تحت سمات جيران بروي في فرنسا الموقوف الوسطي وفي صورة ريش ريش وشاعره حروان ألدنلسي، فهي بهذا لأن علاقة المثقف بزمّنه ومجتمعه كانت قد تغيرت خلال تلك السنوات أم لا؟ يوسف فاهير أدرك بشكل مباغت أنه «مُظلم المثقف طويلاً»

أشهاداً ولا ذلك، بل لأن شاهين  
العقلائي قد أعلنوا التحرك بشكل عام في  
زمنه، أدرك أن معركة التثوير التي كانت  
الخاصة بين الماضين بين السلطة والتملك  
الاستبدادي (استبدكده) الأخير لا يوسعه هو بدوره  
على يكون سلطة أو سلطة مضادة في  
أولها (الأيام) التي تولدت إلى  
معركة بين الفكر والاطلاق، يتأرجح  
منهؤلاء الحاكم فيما يصلح له ولنطق  
فلا، تندرم الحضارة تحت سناجب  
السكران لا يتألف من التصبص والمهل.  
تحت سلطة الحاكم، أي مثل هذه المعركة  
لا يعود في (الحاكم) شاهين أن يحاسب  
السلطة مهما كان من شأن هذا الأخير  
وتردده وموازنته، أنه لا يعرف أنه لو شاء  
بصفه صوفيه في إحدى تلك الأجيال  
السلطة المترددة الخاضعة، ماكيافيليا،  
تلتفظها الخاص، وأن قاتله أو الظلام  
التي تستلزم تلك الأجيال الجديدة  
يربض هذه الأجيال عن مثل عليها،  
تقبلتها ضد الفكر والتمتص جميعتهن.  
أي مثل هذه المعركة يصعب الخيار  
من مبيع مثل يوسف شاهين واضحا،  
ولأن الظلام واضع كان لا بد من ابن  
رشد، بعد، وأن ويعد بولجرات، أي من كل  
ساسة أن ابن رشد مثل الحقيقة قاطعة  
تضاعفها في تاريخ العقلائية العربية،  
لمحة تلك اللحظة التي يعيشها المنتص  
الغربي اليوم، التي يعيشها يوسف شاهين  
لغرس اليوم.

وعلى مثل هذا الوضع العقلاني  
فتم شاهين هذه المرحلة من سينمائه  
التاريخية، وما لا شك فيه أن جزءاً من  
ما كان يديره في فكره من نقد، عام  
معرض (المصري، في مهرجان كان) في  
الجنوب الرسمي (1997) ليتلقى  
صفيق العالم حيث منحه المهرجان  
نمائية عرض الضيف، واحدة من أرفع  
الجوائز التي اعطاها لبنان في تاريخه،  
مؤثرة الخمسين.

صحيح أن الجائزة لم تعط للمصير،  
بومها؛ لكنها أعطيت لشاهين، هي أعظم  
كريم ناله فنان عربي على الصعيد  
العالمي، منذ جائزة نوبل للآداب التي كان  
منحت لنجيب محفوظ قبل ذلك بنحو  
سبعين سنة.





## SUNFLOWER BOOKS

Egypt's Leading Arabic publisher,  
**Dar el Shorouk**, is breaking into new  
territory with a series of books for  
children in English. These books, authored  
and illustrated by leading writers and  
artists in the field of childrens' books.

"عماد الشمس" سلسلة جديدة بسعد دار الشروق أن تقدمها إلى قارئها الصغير. كتب باللغة الإنجليزية.  
تحكي من تراث الأدب الإنساني. نزهة بأشهر الكتاب والرسمين سلسلة طبعت لكي تفتني.



# قطط ليلية.. وآلهة منبذون

## ياسمين الشاذلى

وتدور أحداثها في الأسرة الرابعة في عهد الملك خوفو. ويقول نص البردية: «في يوم من تلك الأيام شرعت روديت بألام الوضع وكان مخصصاً صعباً». وبعد بضعة أسطر يقول رز أوسر للسمودات: «افظرن يا سيداتى، إنها المرأة التى تتألم، إن مخاضها صعب، فتأكدين على عبارة أخرى، هناك تأكيد على صعوبة الولادة في هذا النص، وهو ما قد يعود إلى أن المرأة كانت تولد توءماً فلاحياً. وقد اتضح أن الولادة الفضلية سهلة، ولكن سبب ذلك فقط هو أن المعبودات هن اللاتى قمن بالتوليد، وعقب الولادة لا يبدو أن هناك أمراً سلبياً بشأن كون المواليد توءماً فلاحياً، فنحن على العكس من ذلك نعلم أنه: «بعد عودة رز أوسر من الحقل ليأتمته روديت بالأمر». وحينئذ فرح قلبه فرحاً يدعو كل شئ، وجلسا ليحتما، ولا بد أن تشكرنا أن معدل وفيات الأطفال كان مرتفعاً جداً في مصر القديمة، وربما كان احتمال بقاء المولود على قيد الحياة أقل من احتمال بقاء الأطفال المصريين. والواقع أن ذلك قد يكون سبباً في قلة الإشارة إلى التوائم في السجل الأركيولوجي. وكذلك بما أن النساء كن يمتنّ لآلهة الولادة، فقد كانوا ينظرون إلى ولادة التوائم على أن فيها خسارة شديدة على الأُم، والعمال الأخير الذى ينبغي أخذه في الاعتبار هو أنه ربما كانوا ينظرون إليها على أنها عبء اقتصادي وجسماني ونفسي على الوالدين، كما هو الحال في الوقت الراهن.



وعتباراً من الأسرة الخامسة والعشرين يصبح «باحتر واحتر»، (التوءم) اسمين شامعين. ويقول بينن إن ما يوحى به ذلك هو أنه كان هناك تمييز في الموقف من التوائم منذ زمن سوتى وجور والحكم المتماثل، وطبقاً لما يقوله فإن الخوف العام من التوائم ربما كان قد اختفى، وواقع الأمر أن تلك الأسماء أصبحت من التسمية بحيث لا يحتمل أن كل من يحملونها كانوا توائم. كما يوحى هذا بقيمة إيجابية تنصل بالتوائم، ولا اعتقد أنه كان هناك تغيير ضخم في الموقف من هذا النوع من المواليد. فالحقيقة هي أن كلمة توءم أصبحت اسماً شائعاً اعتباراً من الأسرة الخامسة

مع الأقزام النانوس الذين كانوا مقربين من الملك كذلك فهل من المحتمل أنهم كانوا ينظرون إلى التوءمة على أنها من المحظورات في بعض الحالات، بينما ترفع المكانة في حالات أخرى؟ اعتقد بدايةً أنا ما من سبب للاعتقاد بأنها كانت من المحظورات. وكان قد أُشير إلى كلمة «حتر» (توءم) لأول مرة في حكم ثمامسى نبولى يعود تقريباً إلى الأسرة الثانية والعشرين. وفيه تقول المرأة عن امرأة ما: «سوف نملأ رحمها بالأطفال الدكور والإناث». سوف لنسند هذا من ولادة حورس (٩)، ومن الإيجاض (٩) ومن ولادة التوائم. ويعلق بينن قائلا: «وبعد تكون ولادة التوائم حادثاً أو محنة خاصة بالولادة تتساوى مع المحن الأخرى، ولكنها تسلك التخصيص، ولا يخدم التوءم أدلة على الموقف من التوائم الذين عاشوا حتى تخطوا مرحلة الطول، إلا أنه يبرر مطالعهم غير المحب في الأساس». وبينما يمكن استخدام هذا الحكم التاملى بسهولة على أنه حجة على وجود أحد المحظورات، فإنه يمكننا البحت كذلك أن السبب في أنهم كانوا ينظرون إلى ولادة التوائم على أنها محنة يرجع إلى الخطر الذى يمثله هذا النوع من الولادة بالنسبة للأم وكذلك بالنسبة للتوائم أنفسهم، وليس إلى الكراهية المتأصلة لآلهة التوائم. وتوضح ذلك حكاية «مولد الأطفال الكبيرين» في بردية ويستكار التى تعود إلى عصر الهكسوس

المتدعين حتى عصر الانتقال الثالث (باستثناء حكاية مولد ٣ ملوك في بردية ويستكار). وفي هذه اللوحة يقول كل من سوتى وجور عن الآخر: «لقد كنت الصديق الذى يعاف الزنيف، الذى لا يثق فيما يقوله الكذاب، ولكنى أثق في سلوك أخى، شيبهى، فقد خرج معى من الرحم في اليوم ذاته». وفي الواضحات أن هذه الكلمات تمكس موقفاً إيجابياً من التوائم، وأرى أنه من غير المحتمل إلى حد كبير أن هذا النقش كان سيكتب لو كان هناك أى نوع من الخطر. كما أنه من الواضح أن سوتى وجور كانا شخصين رفيعي المستوى، حين قما باعتبارهما، المنشر على أعمال أمون، سوتى. (و) اشرف على أعمال أمون، حور، ويعنى هذا أن التوءم كانا يتقلدان منصبين رفيعين في المجتمع، والواقع أن بينن يقول عن شئ عتيق آمون وخوسم حطب من أواخر الأسرة الخامسة، الذين ربما كانوا توءماً ولطفاً معاً في سفارة في مقبرة تعرف باسم «مقبرة الأخوين». قد لا يكون سبب مكانتها الرفيعة هو أصلهما الاجتماعي، ورغم وجود صلات محتملة بينهما وبين مقابرهم الجيزة، فهي لا تفرطها بأي شخص غير عادى، ربما كان السبب هو كونهما توءماً. فمن الممكن أن التوءمة ترفع المكانة في بعض الحالات، مثلما كان يحدث إلى حد

الـ ٣ التوائم نوع من الشدوذ ومن الظواهر التى تحدث في المنطقة الواقعة بين ما هو مألوف وما هو غير مألوف، وما هو طاهر وما هو خفى، إنها من الظواهر المعاصرة التى تحتاج إلى فهم. تعكس تلك الكلمات من كتاب تيد ولتر، المتشابهون: نظرة على التوائم، مدى إثارة الموضوع التوائم. لقد أصبحت مهتمة بهذا الموضوع على وجه التحديد حين قال لي بختي، وهو أحد العمال الذين يعملون معى في حفائر جامعة جونز هوبكنز ومتحف بروكلين، في معهد موط بالكرنك، إن التوائم يتحولون إلى قطط بالكرنك، وأنه لا ينبغي لأحد أن يلقي قططاً بخفية أن يكون هذا القط واحداً من التوائم المتحولة. أخذت السامع عن سبب هذا المعتقد لدى المصريين الحشيين، وما أنسى عبارة مصريرات، فقد سألت نفسي عما قد يكون عليه موقف قدماء المصريين من التوائم. وبسرعة قرأت مقالة جون رينز، التوائم المصريين، المنشورة في دورية Orientalia في عام ١٩٨٥ التى كان يناقش فيها الأدلة الخاصة بالتوائم في مصر القديمة والموقف المتغير من هذا النوع من المواليد منذ الدولة القديمة حتى العصر البطلمي. وقد أوضح البحث أن هناك أدلة قليلة جداً عن التوائم من مصر القديمة، وكانت النتيجة التى توصل إليها هي:

«من الأفضل افتراض أن الكلام عن التوائم كان موضوعاً محظوراً Taboo، سواء غير عن ذلك بكتب فكرة التوائم أو قمع التوائم أنفسهم، الأمر الذى كانوا يتحاجلون عليه من حين لآخر بمعاملة التوءم بقدر الإمكان لأن أهميا شخص واحد، ومن المستحيل معرفة السبب في أن التوائم المعينين الذين نعرفهم كانوا مميزين، إنهم مطلوبون لإبداء تبادل مبالغ فيه للمشاعر والمحبة تشبهاً مع إصفاء الكمال الخاص بالأشكال الاجتماعية بصورة عامة على الآثار المصرية».

ومع أن هذه فكرة لافتة للنظر إلا أنها قد تكون، وإن هناك في واقع الأمر بعض الأدلة التى توحى بأن لشرة الأدلة الخاصة بالتوائم في مصر القديمة كانت متباعدة لأحد المحظورات، فإنه لا بد أن أقول إن هذا لم يكن هو الحال بالضرورة. وإن هناك تشابهاً آخرى على نفس القدر من الاحتمال

إن لوحة سوتى وجور من فترة حكم امحبب الثالث هي الإشارة التى لا لبس فيها إلى التوائم أو المواليد



# ... التوائهم في مصر القديمة



أحمد الشهاب

والعشرين، وهو ما قد يتعلق أكثر بموضوعة التسمية في ذلك العصر.

كانت الأدلة على أن مكانة التوائهم تحظى بالتقدير أقوى في العصر البطلمي. ففي ذلك الوقت لم يكن «التوهم» اسماً شائعاً وحسب، بل كان يستخدم في واقع الأمر كلقب لمطليموس السادس فيلوميتور وهو «باحتر إن با حامي عنق» (توهم أبيس الحى)، الذي تضيف إليه بعض النماذج حر مسح سن «في مسقط رأسهما».

وهناك أدلة كذلك في المصادر اليونانية تدل على احتمال وجود توائهم مصريين، فعلى سبيل المثال نعرف بأمر الصائتين المصريتين تاويس وتاويس من برديات السرايوم التي تعود إلى القرن الثاني. وكانت تلك الصائتان تشغلان منصب يدي ماي (التوهم) وكان عملهما هو القيام بدور إيزيس ونمشتيس في الحداد على الثور أبيس وكذلك تقديم القرابين لسرايميس. ويطلق على إيزيس ونفثيس «سنتي» (الأختان التوهم) منذ متون الأهرام. ويبدو أن هذه التسمية مقصورة على المعبودات، ولا تعني حقيقة أنها كانت تستخدم للديدي ماي بالضرورة أن المصريين القدماء كانوا يعتبرون إيزيس ونفثيس توأمًا فعليًا كما يمكن القول بأن شو وتفنوت كانا توأمًا، وهما يصوران متطابحين عن طريق ربطهما بالأسدين التوهم «وئي»، ويشار إليهما أحياناً في الاعتبار إلى الإله الخالق بالمصطلح «زانتى» (الطفلان التوهم). إلا أنه ليس هناك دليل حقيقي على ذلك. وفي أواخر العصر اليوناني الروماني كان شو وتفنوت يصوران على هيئة طفليين متطابقين من جنسين مختلفين. إلا أن هذا لا يثبت أنهما كانا يعتبران توأمًا. ويمكن رؤية ارتباط أكبر لهذين المعبودين بالتوهم في رسم رمز برج الجوزاء. ويرى بينتر أن شكل الرمز له صلة بموتيف مستخدم كرمز هيروغليفي هو «حتر» أو «سنسن» (وهو جذر آخر يمكن ربطه بالتوهم). ونقرأ العرض التصويري كرمز برج الجوزاء «حتر»، وتعرض نماذج كثيرة شكلاً ذكراً وآخر أنثى، من بينها ثلاثة تصور بالفعل شو وتفنوت.

ويقول بينتر إنه من الممكن أن سبب حصولنا على معلومات قليلة جداً عن التوائهم من مصر القديمة هو أن أحد التوائهم الذين من نفس الجنس أو كليهما كانوا يقتلون، وهي ظاهرة شائعة في ثقافات أخرى. إلا أننا لا بد من تذكر أن ليس كل







روح التوأم ليلاً، وهو على هيئة قط، يؤثر على جسد التوأم الثالث. كما يذكرني بما قاله كثيرون ممن أجريت معهم مقابلات عن كيف أن التوائم يكونون قريبين جداً من بعضهم حتى أن ما تفعله لأحدهما يؤثر على الآخر. فإنك على سبيل المثال إذا ضربت أحدهما فقد يبكى الآخر! ويمكن مقارنة فكرة القرنين والقريفة بسهولة لفكرة الكا في مصر القديمة، حيث كانوا كذلك يؤمنون بفكرة القرنين الذي يولد في نفس وقت ولادة نظيره. وفي الختام أود أن أودع ما قالته بتيلوب هارمر في كتابها Two, or, The book of Twins and Doubles: An Autobiographical Anthology:



... إن ما يجعل ولادة التوائم أمراً غريباً في كل المجتمعات ليس التشابه أو عدم التشابه، وإنما هو الأزواج، فالأمر المعتاد في نوعنا هو الولادة المفردة. ومن ثم فإن الحاجة التي تبدو عالية إلى منح التوائم مكانة خاصة، وطقوساً خاصة، ذهنية كانت أم فعلية، من أجل إعادة مزج المجتمع الذي يقسمه اختلافاها عن الوضع القائم. ولذلك فإنهم يقسمون ويعيدون، أو حتى يقال إنهم الأمر الطبيعي ولكن توائم معظم الناس لا يبقون أحياء في الرحم، وهو ما يفضيهم بين الدوجون والتدليل لذلك أن يفضيهم الناس بغضاً شديداً وفضيظون عليهم وينبذونهم.



وينمّا يبدو أن يينز يقول إن التوائم في مصر القديمة كانوا من المحظوظات (Doo-B) ، فإن ما لدينا من نماذج يوحى بأن التوامة كانت في واقع الأمر ترفع المكانة لتوأم التوائم الاستثناء وليس العادة، وأنا أميل أكثر إلى الظن بأنه لم يكن هناك رفض بالمرّة يتصل بالتوائم، وأن فكرة العواطف من التوائم ربما ترجع إلى حقيقة أن الكثيرين منهم لم يعيشوا بعد الولادة. كما أنه من الممكن أن يكون ذلك نتيجة لتحيز في السجلات الأركيولوجي. بمعنى أن من الممكن أن يكون هناك آثار مصرية متعلقة بالتوائم لم تُكتشف بعد، وقد تمسكنا مفهومنا عن مكانة التوائم في مصر القديمة. ■

ثلاثة عشر طفلاً لم يبق منهم على قيد الحياة سوى ثمانية. وحسن وحسين توأم متطابق عمره ست سنوات. ويوجد ولادتهما كان لا بد من إخذهما إلى محل الصاغة ووزنهما بالنذهب على ميزانه. وقبل أن يبلغا الأربعين يوماً كان لا بد من إضمار أحدهما حمار محروق (وهذا يؤتى به من كوم أمبو) وأن يعطما كبدة الجمل الحمراء، وكذلك حليب الناقة. وكان لحسن وحسين اختان توأم لم تجر لهما تلك الأصنام. وقد ماتت إحداهما بعد الولادة وماتت الأخرى وعمرها ستة أشهر. لأن الأم حركتها وهي نائمة؛



أما الإمام صالح شيخ أحد المساجد المحلية. وكان عمر توأمه صير وسيمية سنة وأربعة أشهر. فقد رفض إجراء كل الأعمال اللازمة لمنع الطفلتين من التحول إلى قطتين. فهو يؤمن بأنه ما دام هذا ليس منكرها في القرآن، فليس هناك ما يدعو للإيمان به. وربما كانت تلك قصة من اختراع امرأة كسول لم تطبع النساء لزوجها. وحين جاء من العمل جالفاً في يوم من الأيام أخبرته أن كل طعامهم أكله طفل الجيران اللذان تحولوا إلى قطتين.



ويمكن كذلك ربط التوامة بالفترة الضالعة في مصر الحاضرة القديمة بالقرنين والقرنية (حيث أن التوأم اختبه يستخين من نفس الشخص) فكل رجل يولد ومعه قرنية واحدة وكل تولد ومعها قرنتها. وقد شرت ويتشريف بالاكمان مقالة مفيدة جداً في Royal Anthropological Institute, vol. 1, ١٩٦٦ بعنوان «القرنين والقرنية»، وهي تقول.

لا يتنبه القرنين نموذج الأصيل على الأرض من حيث الشكل وحسب، بل كذلك من حيث الطبع. والواقع أنه يعكس بدقة كل أفعال نسخته الأصلية. الطبيب منها والتشريح. وهكذا فإنه إذا غضب رجل أو امرأة فإن قرنيه أو قرنتها تغل الشيء نفسه. وإذا كان يعاني من الألم والمرض، فكذلك يكون حال القرنين أو القرنية.

يذكرني هذا بفكرة أن كل ما نرى به

الثقافات تنظر للتوائم نظرة سلبية. فحدث مرة قال لاعب الكريكت البريطاني (اليك بيسر الذي لاخ توأم متطابق، «أدى كوننا توأمًا متطابقًا إلى مواجهة بعض الأمور العريبة. فحين كنا في فرنسا عام ١٩٤٠ زكج رجل مسن عند قدمينا بعض التكريم والإجلال، وتجمع حشد يدافع الفضول. وكنا محرجين ولم تكن نعرف ما الذي ينتظر منا القيام به إلى أن أوضح لنا شخص ما أن هناك خرافة محلية تقوم على الإيمان بأن رؤية التوأم المتطابق حدث سعيد».

وفي مجتمع الدوجون في مالي هناك سلسلة من الممارسات والتقاليد التي تجري للتوائم استخداماً لأن يكونوا موضوعاً لإحدى مبادات الأسلاف، ولذلك فمن الواضح أن الطريقة التي تتفاعل بها الثقافات المختلفة مع التوائم ليست موحدة بحال من الأحوال. وبسبب على ذلك فمن الخطورة استخدام مقولة إن قداماء المصريين ربما كانوا يقتلون التوائم، لجرد أن هناك ثقافات أخرى كانت تعمل ذلك، وبخاصة أن معظم ما لدينا من معلومات عن التوائم في مصر القديمة يعكس مؤلفاً إيجابياً.

والواقع أن بعضاً من هذه المعتقدات قد انتقل عبر الزمن إلى الأمازي في صعيد مصر فبقيت (عامل من الأقصر) والذي كان قد أخبرني أن التوائم يتحولون إلى قطط في الليل، أخبرني أنه حين ينأى التوائم في الليل فإن أجسامهم تتحول في القرية في هيئة قطط سوداء بلا ذيل. ولتج حدوث ذلك يجب على والدي التوأم حديث الولادة أن يعطماها حليب الناقة لمدة سبعة أيام. فحليب الناقة قليل جداً، ولذلك فالحكمة هي أنه يجعل أنواع التوائم ثقيلة ويمسحها من مقادير أجسادهم بالليل. كما يجب على الوالدين كذلك أن يطعموا التوائم سحينة، وهي توم مقلى. فمن المفترض أن التوائم تحبها وهي تساعد على جعل الأزواج تنام، بحيث لا تعاد الأجساد هي هيئة قطط. ولا ينبغي لأحد بحال من الأحوال إيقاظ أي من التوائم، فهو إن فعل ذلك قد يموت هذا الشخص. وكذلك فإنه حين تتحول روح أحد التوائم إلى قطنة، فإن أي شيء يحدث لتلك القطنة يؤثر على التوأم. فعلى سبيل المثال إذا رمى أحدهم القطنة بحجر، فمن المحتمل أن يستيقظ التوأم وعلى مكان ما من جسده كدمات. أما جاد الذي يعمل رئيساً للعامل لدى المبعثات الأثرية وهو أب للتوأم حسن وحسين. وكان لديه في الأصل



# القادمون من سيام!

## محمد أبو الفوار



التوهم السيامي الشهير مع شتى من أطفالها

تكون حوالي ثلاث مرات أكثر من الحمل في طمل واحد. وتعتبر أخطر مضاعفات حمل التوائم هي الولادة المبكرة مما يؤدي إلى مشاكل كبيرة في تنفس المولود وارتفاع في نسبة المضاعفات والوفيات وخاصة المضاعفات في الجهاز العصبي ويحتاج الأمر في كثير من الأحيان إلى وضع التوأم في حضانة لمدة قد تطول وقد يلزم استخدام جهاز التنفس الصناعي لمدة قد تطول عدة أسابيع.

وبالرغم من أن ولادة التوائم في الولايات المتحدة تقدر بحوالي واحد بالمائة من مجموع الولادات إلا أنها مسئولة عن ١٢ ٪ من مجموع وفيات الأطفال حديثي الولادة

### التوائم المتطابقة

يشهد التاريخ اليوناني والروماني على استخدام التوائم المتطابقة ضمن التسامس (legends and myths). ومن أشهر التوائم ماري وليزا التويمان للمتصقن اللتان ولدتا في إنجلترا في عام ١١٠٠ ميلادية وعاشتا حتى بلغتا أربعة وثلاثين عاما وبعد وفاة أحدهما فكر الجراحون في فصلهما ولكن الأخت الأخرى رفضت وقال لقد جننا سويا وسوف نموت سويا وماتت بعد أخذها بساعات قليلة. وقد تبرع أحد الأغنياء بحوالي مائة فدان تم استغلال ريعها في تقديم البسكويت على زوارهم لمدة ٩٠٠ عام وما زال ذلك مستمرا حتى الآن في الكنيسة التي دفنت فيها.

وربما كان أشهر توهم متعلق في تاريخ البشرية هو التوهم السيامي (أي القادم من بلاد سيام وفي الاسم القديم لمملكة تايلاند). وقد ولدا في عام ١٨٦١ في سيام وكانا ملتصقين في منطقة الصدر وهي عام ١٨٩٩ دعاها الكابتن أبل كوفي للسفر لأمريكا واستخدما في الاستعراضات وتديروا على الألبا الكروبيانية. وفي زيارة لأوروبا قاما بمرورهما في إنجلترا ولكن فرنسا رفضت السماح لهما ذلك خوفا من أن رؤية الحوامل الفرنسيات تهدم الظاهرة قد يكون لها آثار سلبية عليهن. وتلى ذلك ولادة أطفال متطابقة كثيرة في العالم ولم يكن الطب قادرا على فك الالتصاق جراحيا. وقد أجريت منذ أعوام قليلة في أمريكا جراحة لثوم ملتصق بغرض إقصاد طفل والتخفيف بالآخر واستمرت العملية ٢٣ ساعة ولكن الطفلين ماتا. ويعتمد نجاح الجراحات

المتطابقين يعيشون عمرا أطول ولا يعرف السبب بدقة وربما كان التواصل النفسي بين التوأم المتطابق هو السبب في إطالة العمر.

### مضاعفات حمل التوائم

نظرا للتضخم الكبير في حجم الرحم تعاني الأم من ضغط الرحم على الحجاب الحاجز مما يؤدي إلى صعوبة في التنفس. وفي كثير من الأحيان تصاب الأم بفقر الدم. ونظرا لكبر حجم الشبيهة هناك احتمال كبير لوجودها في الجزء الأسفل من الرحم مما قد يسبب انفصالا فيها وظيفيا. وتعرض السيدة أيضا لارتفاع في ضغط الدم وكذلك النزيف بعد الولادة

وبالنسبة للأجنة الناتجة من بويضة واحدة يسبب وجود اتصال البذرة الدموية بين الجنينين إلى تضخم طفل وضخم مور الآخر في بعض الأحيان وكذلك فإن نسبة التشوهات في التوهم

ويحدث حمل التوائم من تلقيح بويضتين منفصلتين أو من تلقيح بويضة واحدة يتم انقسامها بعد ذلك إلى أكثر من جنين. وهذا النوع الأخير أكثر ندرة.

وفي الحالة الأولى يتم تكوين جنينين لكل منهما مشيمة منفصلة وكيسين للجنين. أما في الحالة الثانية فينقسم الجنين إلى اثنين في مرحلة مبكرة جدا من الحمل وإذا تم ذلك قبل أربعة أيام من عمر الجنين يكون لكل جنين مشيمة وكيس خاص به وإذا تم الانقسام بين أربعة وثمانية أيام يكون للجنينين مشيمة واحدة وكل واحد منهما كيس منفصل. وإذا تم الانقسام بين ثمانية وثلاثة عشر يوما يكون للجنينين مشيمة واحدة وكيس واحد. أما إذا تم الانقسام بعد ثلاثة عشر يوما فينتج من ذلك التوأم المتصق. وهو نادر الحدوث ولا تتعدى نسبة حدوثه واحدا في الأربعين ألف ولادة. وفي معظم الأحيان تحدث وفاة الأجنة أثناء الولادة. وفي دراسة حديثة وجد أن التوائم

تشكل ولادة التوائم حوالي واحد ونصف بالمائة من كل حالات الولادة. وفي السنوات الأخيرة وبعد استخدام أجهزة الموجات الصوتية في فحص الجنين في الأسابيع الأولى من الحمل اتضح أن نسبة الحمل في التوائم أكثر من النسبة التي كنا نعرفها بحوالي ١٥ ٪. واتضح أنه في هذه الحالات يخفى أحد الأجنة بعد تحلله ويكتمل نمو جنين واحد داخل الرحم دون أدنى تأثير عليه من الجنين المتحلل. ولم تكن معرفة ذلك ممكنة قبل استخدام الموجات الصوتية.

وقد حدث في العقدين الأخيرين ارتفاع في نسبة حدوث التوائم ويرجع ذلك إلى سببين أولهما هو ارتفاع عمر المرأة عند حدوث الحمل وصي المعروف أن هذا من المسببات الهامة لزيادة نسبة التوائم. والسبب الآخر هو استخدام الأدوية المنشطة للتبويض وإطعام الأنثى في علاج العقم.

وهناك أيضا عوامل وراثية هامة وراء زيادة نسبة التوائم. فمثلا في أفريقيا السوداء تتراوح نسبة التوائم من ٢ إلى ٥ بالمائة وتنخفض إلى ١ إلى ٢ في أمريكا ونقل عن ١ ٪ في أوروبا وتنخفض تحت النصف بالمائة في الشرق الأقصى وأسباب هذا الاختلاف غير معروفة. ومن المعروف أيضا أن نسبة حدوث التوائم تزيد في بعض العائلات وتورث إلى الأجيال التالية.

و يعتقد البعض أن السيدات ذوات الحجم الضخم لديهن فرصة أعلى في حدوث حمل التوائم وكذلك يعتقد البعض أن حمل التوائم يحدث بنسبة أكبر في أول الشتاء وبالتالي يتم الوضع في النسبة الأكبر من التوائم في نوفمبر/ديسمبر.

و يعتبر تشخيص التبرويض وأطفال الأنابيب من أهم الأسباب الحديثة في زيادة نسبة التوائم ولكن هذه الأسباب يمكن تجنبها إلى حد كبير ففي حالات تشخيص التبرويض يجب استخدام جرعات مخففة من أدوية التشخيص وكذلك يجب متابعة الحالات بالموجات الصوتية للتأكد من أن عدد البويضات التي تنضج قليل حتى لا يحدث حمل في عدد كبير من الأجنة. وبالنسبة لأطفال الأنابيب فعند عدة سنوات أصدرت الهيئات العلمية المختصة توصيات بعدم نقل أكثر من ثلاثة أجنة داخل الرحم. وفي معظم دول أوروبا يتم نقل جنينين فقط ولم يؤثر ذلك على فرصة حدوث الحمل. وهناك بحوث نشرت حديثا في الدول الاستكشافية عن إمكانية نقل جنين واحد فقط بدون تأثير كبير على فرص الحمل.



## كتاب الزواجة



### مؤسسة للقراءة وأخرى للشحادة

في بغداد يمكنك أن تطلع على وجود عدة مكاتب من ذلك النوع الذي يسمونه «مكتبة جواله»، وهي التي تعمر الكتب للمطالعة الخارجية، وهي التي تجهز الناس بالكتب والقصص وكتب التاريخ المسلية، مقابل «بارات» قليلة كل اسبوع، فعامسى الشتاء الطويلة تمد موسماً للقراءة، إذ يلتقى عدة أشخاص فيدفعون معا نصيبهم من النقود لاستعارة الكتب التي يتلوها عالياً أحد هؤلاء على مسامع الآخرين لإدخال البهجة في نفوسهم، وفي ليالي شهر رمضان والعيدين خاصة، هناك قراءات في كل بيت من بيوت الوجاه.

وثمة مؤسسة أخرى في بغداد، ليست أقل «سخرية» من الأولى لما فيها من غرابة، فقد كان للسيد «هاين» سايس خيل جاءت زوجته إلى فناء المنزل، حيث ضربت زوجها ضرباً مبرحاً وخربشت وجهه ونكشت لحيته المشذبة، ولما سألت عن هوية المرأة أجابوني أنها ابنة ملك الشحاذين، وبعد مزيد من الاستفسار اكتشفت أن وزيراً معروفاً جداً في عهد سليمان باشا، عين أحد الشحاذين لتكون له اليد الطولى على شئون جميع متسولي بغداد، كان الشحاذون جميعاً مذنبين له ومنقادين لأوامره.

وكان يمد مسئولاً عن سوء تصرف جميع أعضاء تلك الجمعية، وحينما تؤخذ أعداد الشحاذين الغفيرة هنا بنظر الاعتبار، فإن مثل هذه المؤسسة، مهما بدت غريبة الأطوار للنظرة الأولى، لن تبدو دون فائدة.

الحديثة على نوع الالتصاق ومدى مشاركة التوأم في أعضاء حيوية وهامة من جسمهما كالخ والكبد، وقد أجريت في الولايات المتحدة عملية فصل توأم مصري عمرهما عامان ومتصقان بالراس وتمت العملية يوم ١ أكتوبر ٢٠٠٣ واستغرقت العملية ٢٤ ساعة وتحسنت حالة الطفلين المنفصلين تدريجياً ولكن يبقى إجراء بعض الأشعات والاختبارات على الخ للتحقق من فصل المخين لن يؤثر عليهما في المستقبل.

ويهتم العالم في الغرب بالتوائم بشدة وتوجد مجلة هامة في الولايات المتحدة اسمها التوائم يشترها معظم توائم العرب وتوجد محلات خاصة تباع مستلزمات التوأم من عربات خاصة وكراسي خاصة للسيارات وهناك مجموعة كبيرة من الكتب عن التوائم في جميع مراحل العمر.

### رعاية أم التوأم

تتيح وسائل التشخيص الحديثة معرفة إن السيدة حامل في توأم منذ الأسابيع الأولى من تأخر الدورة الشهرية ولذلك فإن رعاية الأم تبدأ مبكراً، وتتصاح الأم بتعاطي الغذاء الكافي لمنع حدوث فقر الدم وتنصح أيضاً بالراحة فترات أطول ويراعى ملاحظة ضغط الدم وتحليل البول للتحقق من فترات مقاربة نظراً لأن نسبة حدوث تسمم الحمل في التوأم أعلى بكثير من الحمل في طفل واحد وحيث إن الولادة المبكرة من الحمل تستحسن إلاجنة في حالات التوائم فتتصاح السيدة بالتوقف عن الممارسة الجنسية في الشهور الثلاثة الأخيرة من الحمل ويستحسن إعطاؤها جرعة من الكورتيزون تساعد على سرعة نضوج الرئة تحسباً لاحتمال ولادة مبكرة، ونظراً لصعوبة الولادة بسبب الأوضاع غير الطبيعية ففي كثير من الأحيان يتم الولادة بعملية قيصرية ويجب إجراء الولادة في مستشفى مجهز بوسائل رعاية الأطفال حديثي الولادة وما الحضانات وأجهزة التنفس الصناعي اللازمة لذلك.

وفي دراسة صدرت عام ٢٠٠٣ يقول الباحث أن التوأم قد عاشا بجوار بعض طوال الحمل وأن العلاقة داخل الرحم بينهما كانت مستمرة وبعد الولادة يتم إبعادهما عن بعض بوضع كل طفل في سرير وحده ويعتقد الدارس أنه يجب أن يوضع التوأم في سرير واحد حتى يستمر التأخي بينهما

### المشاكل القادية

#### ولادة التوائم

تتكلف مصاريف الولادة بما في ذلك رعاية الطفلين في حالات التوائم في الولايات المتحدة أربعين ألف دولار مقارنة بعشرة آلاف دولار لمصاريف ولادة الطفل الواحد، أما في حالة ولادة توأم من ثلاثة أطفال فتصل التكلفة إلى مائة وعشرة آلاف دولار، وهذه المصروفات الضخمة سببها الأساسي المشاكل القادية التي تحدث رعاية الأطفال في الحضانات لمدة طويلة والكثيرون منهم يحتاجون إلى رعاية مركزة تكلفتها مرتفعة للغاية، وبالطبع فإن تكاليف الولادة في مصر في القطاع الخاص تبلغ ٢ إلى ٧٥ ألف فقط من الأسمار الأمريكية، وفي أوروبا حيث الرعاية الصحية تكفل بها الدولة تسبب ولادة التوائم في مصاريف باهظة لتحملها الدول والتي تضع قوانين طبية تحد فيها من احتمالات الحمل في أكثر من جنين

وفي حالة حدوث حمل في أكثر من اثنين من الأجنة (٣ أو ٤ أجنة مثلاً) يكون احتمال الولادة المبكرة والمخاطر التي تتعرض لها الأجنة كبيرة جداً ولهذا تقوم بعض المراكز الطبية بشفط الأجنة الزائدة من اثنين في فترة مبكرة جداً من الحمل والاحتفاظ بالتوأم فقط، وبالطبع تعرض هذه الطريقة الأم في بعض الأحيان لآثار نفسية وهناك اعتراض من البعض على مدى أخلاقية هذا النوع من العلاج، إلا أن رأيي الديني الإسلامي والمسيحي قد وافقاً على هذا النوع من العلاج لأن الفرض منه تحسين فرصة الأم في الحصول على أطفال يمكنهم تكملته الحمل لمدة معقولة

وأخيراً وبالرغم من التقدم الكبير في تشخيص التوائم في فترة مبكرة من الحمل ورعاية الحوامل في توأم رعاية خاصة أثناء الحمل إلا أن الحمل في توأم ما زال مثيراً للقلق في أسبابه مقلقاً للحامل وعاقلتها طوال فترة الحمل والولادة ومثيراً لأنواع متعددة من المشاكل أثناء رعاية الأطفال في الفترة الأولى من الحياة ويبدو أن المتابع قد تستمر لغترات أطول من ذلك.

وأخيراً فإن الولادة تكون أكثر أمناً في حالة الحمل في طفل واحد، ولذا يجب تفادي كل الأسباب العلاجية التي تؤدي إلى الحمل في أكثر من جنين واحد. ■



كل واحد فينا مشتاق للى يكلمه

موبينيل

اتكلم من القلب







عن الولد، فصرعها بخنق عبد الرشيد وهو  
يحدثن في غيبته، على حضنها وتربت  
على ظهره بخنق وهو مغمى عليه فقتل.  
تعيش وتحكي يا حبيبتي،  
يعيش جارثا مازكري، من عرني هي  
والرافعة موبول، إني كنت جاثا وشارد  
الطن، وإني ما أفتح فهي حتى أقول  
أشياء مزججة، لكن قصصى لم تكن سوى  
مقاطع من الحياة اليومية، وأما أنا  
أجعلها أكثر جاذبة بإصافه مصيلا  
متخيلة ليشتت الكبار إلى، كانت محاورات  
الكبار أمامى من حولي أفضل مصادر  
تعليمي، لأنهم كانوا يعرضون لىنى لا  
أفهمها، أولئك الذين يفتخرون عن قصد  
حتى لا أفهمها، بينما كنت على عكس كل  
هذا، أفتخها وأسفح وأقصي تفهيمها  
قديما، أفتهمها وعندما أقصدها على  
قصصها من قبل يصابون بالمشقة من  
تطابق ما كنت أقوله بما كانوا يقصدونه  
في محاوراتهم،

*Journal of Management Education* 30(6)p. 789-804  
© The Author(s) 2006. Reprints and permissions:  
<http://www.sagepub.com/journalsPermissions.nav>

هي مشتركة في البلد كان اصداقا أبيضين  
 سيروهم في أواخر الأربعينيات وجل  
 حديثهم يدور حول الحرب العالمية  
 الثانية، وعن شائعة إسلام الحاج محمد  
 هتار الذي يجب أن يؤيده المسلمون  
 وينصروه لعل يخلص من كل الانجليز.  
 لكن الشبهة ما لبثت حتى شُككت بمسألة  
 كبرى إلى الاختفاء الفاضل شخصية  
 هتار؛ إياهما ثقتا في صيرت قادرا على  
 تسليق الكنبية بهفوى دون معاونة من  
 قادة، فإذا ولقت إلى الكنبية صار أولى  
 موازينا لطف إلى وهو جالس، وقد اعتاد  
 أن يتنازل لي عن رقيبته القصيرة  
 فأحيطها بنواحي، فيجلب لي إلى الأمام  
 كأنه يريد أن يفتني في الأرض فرائطها  
 من البهجة مستشعرا لذة ملازمة  
 الخطر: ثم يتوقف بمرحة يستمع إلى  
 السؤال فيقتني ملحة من ملحة من الطيف  
 إذ تبدو كحيرة في الضوء، يحف بها  
 الشعر من غير تلاح، يتلقى لي سؤال  
 عم بدلتها القطان تاجر الأقمشة:  
 «هنا جازي يا أحمد الفتى إن اختفاء  
 هتار قد يكون حادثة حربية، ولا يعني  
 الأرض انشقت وبلغته». تتكلم لي من  
 ركني وأذهب لإجابة رصينة: لا أنفي  
 عنه أسبق مني إلى الرد: حادثة نواحي  
 متقصصة لهجة إلى حورية أن يجهز  
 خللي مرسوم طال بحده، قلت: هتار  
 غاص تحت الماء، فانه  
 القطن التي تجعدت في عتيق من فرط  
 الضول ماثلة الآن الكمية. أذكر أن تلك  
 النظرة رهفتني عن الكنبية ثم هبطت لي  
 عدة مرات ثم تجعدت فوقني حتى  
 ارتقت من خوف غامض، وطوائى إلى  
 أعينك كأنه يريد أن يجنبني فيما  
 هو يترصني في شجعة أدنى قربة



فقد لبثت إرجاله شهره واسعة النطاق لأنها إلى حمال نظمتها وسيلة قواديبها كانت مهام العمدة - وسيلة التقمص ناعلة غير ودية.

الجانسون في مئذنتها ليلا أو نهارة تسلمهم أصداء الاستباحة وهياح الأصوات في شارع دابر الناحية البعيدة عن مئذنتها بعدد طول حارسها وهي عبارة عن صف من الدور المتعاقبة لا يزيد على ثلاثين داراً وتقع دارها في قاعها البعيد كأنها الإدارة المركزية لهد النور.

ومن حين لاخر يدخل المئذنة قادم جديد من أبناء عوموتى أو من أصحابهم. عندئذ يتوجه إليه الجانسون سائلياً في شفع: «إيه اللي بيحصل مره يا فلان على الرمس؟» والرمس يعنى المساحة المتاخمة لحارسها من شارع دابر الناحية فيقول هذا الذى سأل: «ده فلان بيتشاحن مع فلان..» وقد جاب غير شاف. ولهد ما أن يدخل فلان آخر حتى يبادره قبل أن يحس من اللي بيتشاحن برده يا فلان.. فيقول مره فلان ماشمش حد بيتشاحن وهكسا ان اد حصل اتا فهاص مصححة حمائية هائلة تهف في استقبالي

«يسر.. اوده اللي حيكي لناع اللي حصل من مطلق لسلامو عليكم؟» اقعدي يا خيرى! ايه اللي كان بيحصل مره ع الزميلة؟ قول كل حاجة!

أرى في عيني أبى لحة فلان تكاد تروجولى لا أتحدث حتى لا تعرض لحد الحاسدين من هؤلاء لاسياح من بعضهم يصعب عياله قياساً على طلاقى في الحديث. بل لانجام البكماء. وفي نصص الوقت أرى في عيني أبى فرحة وانطفاها لما سوف أحكيه. الواقع أن قوة في الأرض لا تشفى من الحكي لاحتفظت.. ههها

التهليل التعوف يشمرى بلدة هالقة. لعب أحدى ما دار بيني وبين العيال من كعب خناقات وتزويج شياوب؟ أم أحدى كيف طاردنا كلاب البلدة كلها بقيادة محمود الأقرع؟ أم كيف مفسنا كيزان الذرة من أرض الكبارة وشوبناها في ركبة نار من حطب سرقناه من دار كحكاية وكندا تشعل حريقاً.. كل هذا.. على أهميته بالنسبة لي كواقع يومي. بل أعده أهم به منذ أن اعتدت هتاف القوم في استقبالي لكي أحدى لهم ماذا دار في الخلاء.. لقد أصبحت شديد الانشغال لكل ما يصادفني في الطريق من مرنبات وأحداث وجاء حين من الدهر سميت فيه مهمة الانبعاث لمرجة نبي كنت أبحث كل ليلة بما هو مطلوب مني. إلا أن الصدفة لم تكن لتعشمتني: إنما كنت.. دائماً أبداً.. أجد من يجيش ما أحدى لهم بالتصميل والتأخذ يظهروهم وهم يهتسون لي في شعب كبير كأنني من عتاة الوعاظ



يسرح على يسوح

سيرته الداتية: «ان تعيش لتحكي.. لأنه يهد السيرة الداتية. والتسج حقا قد علق على صدى من، صدى أنا. أكتب من الأمسية.. هل أنا يكتب قصة حياته أم قصة حياتي وهل كان يريد إبراز انشغاف الإنسان في قرية على شاطئ الكاريزي أو في قرية مصروية على فرع من فرع النيل الأسمراني؟ إنه لشيء منهل حرق أن يكتشف الإنسان لنفسه توائم لم تلده أمه ولم يضع أبوه يمرنه. أو رياصات التوائم الانسانية أعمق وأشد وثافة مع توائم الرحم.. إن التجربة الإنسانية الحقة حين تعبر نفساً صافية تصبح الرحم الأعظم.. أمه واقع للبشرية مع جميع الأرحام التي لا تقي تزحم الكرة الأرضية بملايين من الإخوة الأصداء يتقاتلون على واقع تافه ومكاسب هزيلة إن عظمت أو سمت في النهاية أقمعة الانانية وذرائع لتسلك الدماء. الثقافة في البحر الوحيد الميبح لتستمر الحياة على الكرة الأرضية أنها كانت اللغة التي تتلق بها: وما الثقافة إلا الأدب: وعاء التجربة الانسانية. متى وجدت من أية لغة سترجم عن نفسها بنفسها، نفسها: ما أجمل أن اكتشف لي أبى رؤيا اسمه تيكوف من جسر التأسى بين أهلى التلاحين وأقربانهم في روسيا: أو أباً فرنسياً اسمه بلزك يريني كيف أن حضارة أوروسيا تمشي إلى طريق مسدود تخسر فيه كل العلاقات الطيبة والقيم النبيلة. أو اكتشف لي توأماً كولومبيا اسمها جابرييل. أو جبريل جارثيا ماركيز أرى في مرآته الصيفية تفاصيل حياتي. فاحترما، أحيها. استمد منها الهداه والإلهام والرضا. إن تناوله لسيرته الداتية على هذا النحو الانشغال النبيل قد مغلقتني. بحث في نفسي شمساً جديدة مشرقة: أوقفني في موقف العزة وقال لي: شاكواك هو الحقيقة الوحيدة المتحرمة في الوجود كله وما عداها زور وبهتان وزيف.

اليوح والافتراق جيلة فطرت عليها وهذا من حسن حظي.. فسير هاتين العصمتين نفر منى سبامسة التجنيد للتطاميل الشيوعية على أساس أننى لا أقوى على الاحتفاظ بسر.. وقد حدث الله فعلاً على أننى لم أخض تجربة التنظيمات السياسية لأننى ضد تكويني الانساني.. هذا لا يفسى أننى ضد التنظيمات السياسية. فلي أصفاء خاضوا تجربة التنظيم السياسى وقدموا نصيحات جسيمة في سبيل مبدأ أمثوا به. لهم منى كل الاحترام والتقدير. وفي المقابل يوجد بينهم عناصر قوضوية عديمة انبعاثا تستحق الضرب بالحداء صبح مساء. انكر أننى نعت من الشاعر المذيع الصديق فاروق شوشة للمشاركة في حلقة من برنامج.. لاسك ثقافية مع الصديقين العزيزين جمال العيطاني ويحيى الرخاوي بمناسبة حصولنا على جائزة الدولة التشجيعية لعام ألف وتسعمائة وثمانين من القرن الماضى. هما عن الرواية وأنا عن كتاب لي في ادب

الرحلات بعنوان: «فلاح مصري في بلاد المربجة». وفي التسجيل سألني فاروق شوشة عن علاقتي بأدب الرحلات وكيف تأصل في وجداني: كان السؤال مفاجئاً. وبدلاً من أن أحدث له كتب كثيرة كنت ولوعاً بها أنيس منصور والمكتور هيكال من منزل الوحي وأحمد حسنين ناشا عن استكشاف الصحراء، علبني المفق التلقائي فتحدثت عن ابن عم لي اسمه «صديق». كان يعمل بلقاء سرجا للخطابة والتوايل والكحل والبخور وما إلى ذلك، يحمل «خرجاً». ضحاً على كتفه يجوب به القرى والبلدان البعيدة حيث ينادي على بضاعته فتتلمح حوله النساء للشراء. وكان خصب الخيال، طويل البال، لبق العيارة. لطيف المتشر: رحلته لا تقل عن ثلاثة أشهر يضيئها في بلاد بعيدة لا يعرف منها أو عنه شيئاً: ورجاء يعود، فتعيش مئذنتها ليلة من أجل ليلتها: فصادق في فترة سابقة من حياته كان يحترف العرف: على اليرباب وإنشاد السيرة الهلالية تستضيفه طوائف من الأعيان في البلدان. ولكن مع بداية خمسينيات القرن الماضى بدأ جهاز الراديو يدخل بيوت أعيان القرى فكسدت ليالى صادق فتحول إلى تجارة العطاراة والفح فيها. وقد اعتاد أن يحكى لنا تفاصيل رحلته في المئذنة من أول ما خرج من بلدنا إلى عودته. كان لديه حصيلة كبيرة جدا من لغة الإنشاد الملحمى، وسليقته الشعرية بشطة كبديته، فكان يستخدم هذه الحصيلة في حكي تفاصيل رحلته: ماذا حدث له في مختلف البلدان؟ كيف كان يبيت ويصحو؟ من قابلهن من نساء؟ ما الأسواق التي كان يفرش فيها؟ ما الصفقات الكبيرة التي نجح في إبرامها؟ كيف بص على النصارى وكيف نصب تلميخته الكشيمري التي وافقته سنين طويلة؟.. قال:

«أسمى على الوقت في بلدة قرب شربين» ومنت في حجرة علب اليربد يضيئني: فاضلعت لدارا تدفيني! فطارنا على شراة بكارة فصارنا التلقية عبارة على الجوى يعمى..»



عملك كان بانعما سريحا؟ الإنسان لا يتجاسر بمعاذاته، قلت له: ماذا لوهرت أنتي أنا نفسي كنت بانعما سريحا؟ قال: فليكن ولكن هذا لا يتبين على أن يفسد على الناس في تلبسهم، فتركته وصميت دون خلق. ولكني كنت مندهشا من الحرارة التي يتكلم بها. قالوا فاعلم أن كان يمثل أيا عاما مستقرا ليس بين المثقفين فحسب بل بين جميع فئات المجتمع حيث يؤمن الجميع بالآثار والشائع، إذا ليتمت ما سأتصوره، وهذا هو السر في أن لجميع يلبس الألقمة. يعيش شخصية مزدوجة، فليكن ليتعلم. وهذا هو السر أيضا في أن أدنا العربي لم يعرف من أسيرة الذاتية بمعناها الحقيقي القائل على البوح والاعتراف خدمة للحقيقة الموضوعية التي بدون التكرس لها لن يتعلم المجتمع ولن تصفو نفسيات بنائه مطلقا.

في سيرته الذاتية: «أنا تعيش لتحيي، تصفو نفس جاريويل جاريلا ماركيز إلى حد الشفافية الكاملة. كان يريد أن يتكلم عن منابع الهامة. مصادر عماله الفنية الكبيرة التي باتت تشكل ملحوظ رئيسا في وجه الأدب العالمي. ربما في عالمية الأدب، وصميتا كبيرا في تلك التجربة الإنسانية يضاف إلى صميت كل قارئ على حدة. فإذا شفافيته لفرصة نفوس فيما هو أبعد وأعمق، في لبناء الإنسان، يتكشف عن جرائم سياسية التي لا تتفكر في عدم ذلك أنه لا قيمة لأي أدب أو سياسة أو لأي عمل مالم يتعامل الإنسان مع الحياة يمثل منه الشفافية وهذا الصدق وهذا لصراحة المطلقة أما التذرع بتحسين صورة الإنسان في المجتمع والخوف من لفضح هذه الجرائم بإلهامات تكريس لاستمرار الزيف حاكما وسيفا مسلطا على قارئ العباد.

لم يكن والد ماركيز طبيبا ولا صيدلانيا، ومع ذلك كان يمارس عمل طبيب وأدريلا في بيرو. ويبدو أن نظام لحياة في القري الأمريكية الجنوبية كان يسمح بهذا. وهو شيء مروع إذا نقل إلينا كمعلومة ضمن تحقيق صحفي أو مشاهدات ميدانية في أدب الرحال. إن الأدب الروائي نفسه، الذي من لضرته أنه الترجمان الصحيح لحياة لشعوب وهو الذي يقرب إلى إلهام القراءة للشعوب الأخرى كان ما يبدو معقدا يتقاسم أعضا في حياة القوم الذين يطمح إليهم الروائي ويتخذهم مادته الروائية. هذا الأدب نفسه لا يصلح في إعطائنا تفسيرات لكثير من الظواهر الاجتماعية والفكرية أو السلوكيات الفنية. لذلك أن التقنيات الفنية الخاصة بكل من في الشؤون يقدر ما تساعد الكاتب على التعمق والتوضيح والتحليل وإضائة البيان الدرامي للعمل لعنى فيها شئ من الاستطراد والتفكك قد تصيب العمل بالتأثر والتفكك وفقدان الفاعلية بل وفقدان القيمة

أحبا. كما أنها. التقنيات كثيرا ما تجرد العمل الفني من خصائص تاريخية أو سياسية أو اجتماعية تقتضيه ضروريه لفهم العمل وتحتج الصداقية والشفرة على الإقناع. وهذا هو السر أن روايات وقصص ومسرحيات وأفلام سينمائية كانت على مستوى فني رفيع جدا ومع ذلك تفشل فيلدا ذريعا على النطاق المحاصيري وأحيانا المحاصيري والتفدي معا.

ولكن السيرة الذاتية في كتسح كل المحصلات وتثبت الصور في كل حنية من الحنايا. إن التقنيات الفنية التي يبتدعها الفنان لخلق، نظما هنسي، يساعده على تقديم عالم إنساني يضاف إلى رصيد التجربة الإنسانية، والتي من

يعيش في مجتمع كمتجمعا العربي يكرس للكذب من أجل الحمل، ويكرس للماضي والحالة والمعاذلة وسيلو الحكام والالتصاف وحالة المشاكل دون حلها. ومراعاة القبول من مؤاحيه. وتؤسده فيه مفردات من قبل القلم والخطا والطرفة وما إلى ذلك من مفردات التخلل فلا تتطرق من قبل يعيش في مجتمع كهدا أن يراجه نفسه مجتمعه أولى الأمر فيا شء كاتب وفده نفسه للمجتمع بدون إقعة كما فعل لويس عوض في أوراق العمران فاحصل كبرى في الشارة وقد ينفذ المجتمع. ويقدم للسيرة بعشرات من التهم!

الحكمة الداعية لابد أن يكتسبها صاحبها بملعه لكي تسمى سيرة ذاتية لابد من التأكيد على هذا لأن الجميع وكثيرا من المثقفين من الألف، يطولون بين السيرة الذاتية والسيرة التاريخية أو الترجمة. فإذا كتب أحدهم كتابا عن حياة

## مصدر البتجاهي وفرحى أن ارتحالي الجميع في وقائع السيرة الذاتية لجارييل جاريلا ما سبق أن كتبت في قصص وروايات لا إني في الواقع أغوص فيها على صعيد الوقائع الحياتية التي أكاد أزعم أنني أصيها منذ تعلمت النطق، وصعيد النتاج الأدبي

شخصية من الأعلام قال المعلقون إنه كتب سيرة ذاتية لوالدا! فلنا إن والد ماركيز لم يكن طبيبا ولا صيدلانيا ومع ذلك كان صاحب صيدلية. وكان يجري بعض العمليات لبعض المرضى. وأد يقته له ماركيز هذه الصورة في سيرته الذاتية أن يسخر الروائي المرضي بوصف البتجاهي بال لا يحسن هذا الأمر. لأنه يقدم الصورة ضمن نسج اجتماعي تتشكل من حياة مجتمعه، برمتة. حينئذ نرى عذسة فنان تتعكس في زواريه صورة مجتمعه وصورة مجتمعا نحن العرب. يتبدل أن الصراحة تتسبب صورة الجرييل الجارييل لتحل مكان صورة المجتمع المصري العربي لمكني بسر من أسرارها لم تتسحب أو تستحق تحت صورة المجتمع الكولومبي وقد حدث بين المجتمعين ما يشبه التلاقي في الخيلة القارئة. المتبقية. ومعنى ذلك أن الصراحة المطلقة والحرية المفتوحة التي يتبعها ماركيز في التجربة جعلت من التقني التي حتى في دولة أخرى. إيجابيا. جعلتني أسدعي صورة حلاق الصحة في قرانا المصرية وقد كان بمثابة طبيب في القرية ويمارس العمل ترخيص من الحكومة. يضرب الحقن ويعالج العدوى والبطون

ويحذر الكسور الخ. وفي سنة صيدلية مصمرة فيه أدوية مفسولة وحرى تركيبة من صنع بيده الخفية لتلحق بتحقيق عن الحسن نحو في مرارة السر الداعية بوجه حسن. وسير الأدباء والمثقفين وعادة العيوش بوجه حسن ذلك ن السيرة الذاتية في الولوج في التخصصات والتخصصات. ومراعاة ليس بحسب ما تبين من الأرواح ومحاولة الوقوف على لكسب العري في رة وحديثه في السوء لأنه يندوس في فكرة «كأخرف» وهي لميلده مسحي يسر منه المساور بوجه عام لا بد من حيث أشتبه نظام حداد يحيى من جهة الخشنة ويشتبه حجاب عني من من تحول. تكسب من الكسور في سر. ثم يفسد رويلا كسرة في دست كرك

في «نوع» في لندافه ولسخره من أورد البوي السخمي هو سرع صلاح لتلشوش نوع والمثقفين ليس له وأبسطه، لتلشوش تحقيق لأن نوعه من حشاش لا بد أن يحسب من هذين الخرفين «لنطلس» السوح والمثقفين يبدلان لائمة «الند» لا يتعامل لائق، في وصف سطع له من. ثم يفسد رويلا كسرة في دست كرك يحيى عليه هو. ترصد حياته هو وكلما تشابهت الأحداث. وأيام والواقف ثرأبت المشاعر وتلاحمته. وشاعت النفس مع النفس وبن منه في شيل المنس البواح يفسل لاديوح نفسه، والقارئ يفسل بالترادف نفسه يستكمل ذاته. تتفحص السامع في داخله وتلطف ألق المقبح صمير الألف. تطيب عذسة فنان فيكم من أفعال مرض على الإنسان أن يفعلها رغما عنه ويظل طول عمره يحمل وزرها والشعور بالغالب التي إن يشرها في إحدى السير الذاتية مثلا لها مره رجل قمر فيه، وبع تجربة واعيق. ربما عاكس لماروز. فحيثه بعد يصعب بعد دسا لحيته سحقه له النساء وتضمو نفسه بعدو السوء

والد جاريلا ماركيز استدعي والدي لم يتخرج في كلية الحقوق، ولم يكن محاميا ولا قاضيا. إنما كان طبيباً وجرعاً لثابتاً ومولداً وذاك. فاستطاعت شهادته في مندرسات طريف من أهل القرية يحكون لأبي أحياناً وأوضاعاً ومشاكل عويصة مركبة ومعقدة. ولطوبون منه التكيف القانوني إلى من يملكون؟ إلى الشرطة بلاعة؟ أم إلى المحكمة بفضة؟ وما قد فده الضميمة وما أسهوا في أدارة ريفهمونها؟ أجنبية في أم مدنية؟ ومن من الحاميين ويسلك في



هذا النوع أو ذاك من القضايا؟ .. إلخ .

حدث هذا في الفترة ما بين اذان العصر وأذان العشاء إلا أنه يسافر كل يوم إلى مدينة المركز لتحلّيل أعمال قضاينة وإدارية لأهل القرية لتقرير أجر معلوم، يمشي على قدميه ستة كيلومترات ليتركب القطار من محطة شيباس الشهداء أو البناكوش. وبعد منتصف النهار يتنزل في واحدة من هاتين المحطتين ليمشي سيراً على قدميه إحدى المسافة عائدًا إلى القرية حيث يصدى ويتمدد قليلاً ما يستأيه الناس من النوم. أحمل في المساء فكتيرا ما نفاجا وكراتين تمام إيهاماً من المحامين الشبان أو الشيوخ جاءوا لزيارتنا من بلدان محاورة ليمشوا على أبنى ألوانا من القضايا يطمشون أطراداً برأيه هيبه. هل يقبلونها؟ ما نسبة البراءة فيها؟ وما الدفع التي يمكن أن يتقدموا بها لضمان البراءة أو حكم مخفف؟ .. إلخ.. وتحفل دائرتي بأسميات متمعة غاية الإمتاع وأنا أستمع إلى تحصيلات لأحداث جرى فيها قتل أو نهب أو هتك عرض أو اختلاس أو تزوير أو خيانة أو تعريض في إمامة، ويتصادف أن يكون في القصة أطراف متعددة من اعتدلى عليهم أو ممن قلعوا لخدعان، فيتدخل هذا لتصحیح معلومة. ويتدخل ذاك للتذكير بحدث سابق كان من بين أسباب العدوان. ما أمتع أن أستمع إلى تحليل أبي وهو مبعيرته الفدة يقيس هذا الحدث أو ذاك على المدة كذا من القانون الخاص، وتردده على أسنانه من المذكرات! أسماء، وهمايون وعصاوين تتداخل في ذاكرتي، فاصول الإجراءات، عبد البراق السهورى، وحيد زفات، الهياورى، عید الفتح باشا الطويل، محكمة أول درجة، الاستئناف، المطنن، فلم المحضرين، إلخ، وتصل التهمة إلى دروتها حين يقرأ أبى على عيونه مدركة كلود بكتابتها وجاءوا لاستلامها، حيث يقرأها بلغة عربية غاية في المصاحبة والبيلاعة والجزالة ليردعا المستعجب كانوا وزاعة كالغورس لا يكوم عن التعليق بسلام.. أصل الله الهة، إلى مساءه التجشئ.. إلخ. والحق القول أن أبى وهو مؤلف سابق بمصلحة الفئارات بالإسكندرية كان عضواً بالمجتمعة العمومية لحزب الوفد وجميع أسماؤه من رجال القانون وأسائته ولما كان هو مغيراً بدارسة القانون قبل تصفه فيه ممتد على ثمانية عشر الكت والحصار ومجلس الجماعة وكان هو السبب في إحساسى المبكر بجمال اللغة العربية، وكنت أفقه حين أفكر للناس في الدكاكين خصوصاً من السير الشمية، ويدورى أحبيب القانوان لكننى نضرت من دراسته مغرور من دراسة الجبر والهندسة والحساب، ولما أزل إلى اليوم أن أرتد أن أعد ألف جنبه مثلاً اضطرر إلى تقسيمه إلى مئات أضعا بحوار بعضها ويخيل دهنى ندم مراجعة كتاب ما لم أضع يدى على كل هاته قائلًا: الله واحد.. مالوش تانى.. العدد ثلاثة.. إلخ.



جاءوا لزيارتنا من بلدان محاورة ليمشوا على أبنى ألوانا من القضايا يطمشون أطراداً برأيه هيبه.

كسبت تجارة الأب مراكزي. أغلقت الصيدلية بيلت الأسرة فرصة للعوّز.. عيال كتار، أب رخو، وأم قوية الشخصية جداً، فيها شبح كبير من طفلة ورايتي (الود) الحاجة طامعة تعلية، التي كانت في الأصل زوجة عمى محمود، سافر الأب مراكزي إلى أحد البلدان البعيدة على شاطئ الكاريس ليبحث عن شغل ترك الأم يعاها تعانى من شغل العيشة وتحاول تدبير أمورها بقروش زبيدة الأم يرسلها من حين لآخر مع رسالة ميسرة تفيد أنه لا يزال يبحث، وأخيراً انقطعت رسائله تماماً، انطلقت الصلة بينهم وبينه. لا يعرفون له مكاناً أو عنواناً. كابدت الأم وعيالها ظروفًا غاية في الصعوبة والشقاء، ولولا قوّة باس الأم وقدرها على التصرف لانهارت الأسرة انهياراً تاماً.

في بلدهم رجل ثرى من أصحاب القصور المنيعة المشهورة مشهور بأنه فاعل خير، يتبرع كثيراً للمجمعات الأهلية، وللمساجين، ودور الأيتام، والمستشفيات، ومعروف أنه يساعد في السر مجموعة كبيرة من الأسر الفقيرة يبعث لأفرادها مربات شهريّة، ولم يقصده طالب حاجة إلا لآد مهجور الخاطر.

فكرت أم مراكزي في اللجوء إلى هذا الثرى المنيح القلب. كتبت له خطاباً شرحت فيه ظروفها المصيبة، وضعت في مغلف، أعلته لابنها جابريل وأوصته أن يذهب إلى قصر أبيه ليرى ويسلمه هذا الخطاب ومن المؤكد أنه سيعلمه ما فيه القصة. جابريل في ذاك الزمان عمره اثنا عشر عاماً، وعنى في مرحلة الدراسة الثانوية. لم يناقش أمه. لم يفكر في شيء اسمه الكبرياء، أخذ الخطاب من سكّات وتوجه به إلى القصر، سلمه سلم الشرف، دقّر على زجاج الباب نفراً خفيضاً خجلاً، فالباب طاقه تسمح نالكه لدماع الإنسان، انتصب بها من الدالح، انقلع منه وجه كالح لاراعة عجور متجمعة الملامح، سألته بجفاء: نعم؟ مد يده بالخطاب، تناوتة وأغلقت باب الشارع، جلس الصبي جابريل إلى إحدى المرج ينتظر الرد، مكث حوالى ست ساعات، يا ربي! وأخيراً طاق وقدم باب الشارع من جديد، افتتح بابها، أطل منه وجه العجور، سألته بجفاء كأنها لم تره من قبل، نعم؟ قال لها إنه صاحب الخطاب الذى أعطاها إياه في الصباح، قال بنفس الجفاء: تعال! يوم الثلاثاء القادم، ذهب إليها يوم الثلاثاء، تكرر الموقف، قالت له: الثلاثاء القادم، ذهب إليها للمرة الثالثة، فتحت له باب الشارع وصبت على رأسه فاصلاً من التوبيخ أستمع إليه في حال من قفل عاداً إلى أمه وهو في دل ورش لها.

يا ربي! هل يستطيع كاتب عربى أن يحكى عن نفسه مثل هذا المشهد؟ وحتى قلّى، وإرتيتي طفلة في السنة الرابعة من التعليم الإلزامى، كنت واقفاً مع زملائى في المساحة الضاربة أمام باب

المدرسة ننتظر أن يضرب الجرس لندخل كتبي وكرايريسى في محلة كانت في الأصل رجل سروال قديم من سراويل إلى قامت أسمى تخفيط أحد طرفيه وصنعت من له تعلية سميكة من بقية السروال. كان من عادتنا إذا مر علينا أحد مدرسينا ونحن في الشارع أن نقف ونضرب، نتعلم سلام، على سبيل التحية الواجبة للمدرس، وفي ذلك اليوم رأينا مدرسينا الأثري الأنيق مقبلاً يصطحب يديه في جبينه، يبتلعون، والطروش الأحمر القاني مائل على جبينه، ولعنا، رفهنا أبنينا إلى رموسنا بالتحية، فإذا به يحملك في وجهي من خلف المنطار الطبي السميك بعينين واسمتين، ثم أشار لي بيده في حركة عدوانية، وجعاه قال: تعال يا ولد، ذهبت إليه وأنا انتفض من شدة الخوف، نعم يا أفندي، امسك بيدي، اصطحبني إلى حوش المدرسة، اتضح لي جاني.

«النهاره إيه في أيام رنا؟»  
«والنهاره السبت»  
«ما سرحتش الفيط إيه ياخويااه؟»  
«فطيت مين؟ إنا مالناش عيقت»  
«حتلاتنا يا ولد؟ أنا متفق مع أبوك ومبديه عربون كيلة غلّه وكيلتين دره»

تذكرت: كان الإصلاح الزراعى فى ذلك الحين يقوم . نياية عن أصحاب الأرض بمقاومة دودة القطن، ويسلم أصحاب الأرض المزروعة قطعاً بأن يورد المالك نفراً من كل سنة، ومن مجموع هذه الأنفاز تتكون فرق نقابة الملع باليد من شجيرات القطن الخضراء، وذلك بقطع البورقة الملطوعة ووضعها فى محلاة محكمة الإغلاق، ويتم حرق هذه الأوراق فى جهورات بميدى على الأرض الزراعية . وكان مدرسى ذاك يملكه فدان أرض زرع قطعاً، فطوبت بتودى نضر، وهو رجل من عليّة القوم واولاده يتلقون العلم فى المدينة، واولاد الطلاب مندورون لأرضهم، والأنفاز الزراعيون الموسميون يفضلون العمل من مقاولي الأنفاز الذين يوردونهم إلى وسايا خاصة بالإفطاعيين وأفراد الأسرة المملوية، فالمأولون يدفعون نفقدا حية، والنمر يتفق على شهرين أو ثلاثة فى ترحيلة يقيض عنها مبلغاً جانياً لا بأس به يستطيع أن يفعّل به شيئاً مهماً . وهكذا فكر مدرسى القاضل فى نضر من تلاميذه، من ناحية يفيد التلمذ الفقير ومن ناحية مقابلة يستفيد هو من هيبته فى نظر أهل التلميذ الذين بالتأكد لن يساموه كثيراً فى قيمة الأجر . يومية النضر الذى فى ذلك الوقت خمسة قروش أو أربعة اليوم فى موسم العمل المزحومة كموسم نقابة الدودة أو شتل الأرز أو جمع القطن أو حصا القمح، ثلاثة قروش أو أربعة فى غير هذه المواسم إلا يقل واشتل وتكثر الأنفاز، إلا أن هناك نظاماً آخر يتعامل



به أهل القرية الدين لا نقود في أيديهم معظم أيام السنة، إلى الواحد منهم يستأجر النضر طوال موسم نضارة الدودة مثلاً بمخمس كيلات من القمح وكيكتين من الذرة أو الأرز الشخير. فكر مرسى في أفقر تلاميذه فتذكر أننى. إلى جانب ملاسى المتواضعة. لا أشتري لأى شيء ما يطلبه المدرسون على الإطلاق، لا كنت خارجية ولا أدوات هندسية ولا ورق تعليل ولا أى شيء من هذا القبيل. قابل أبى وافق مع على أن يكترينى طوال موسم نضارة الطلع مقابل ست كيلات من القمح وثلاث من الأرز الشخير. مع ملاطحة إلى الأرز الشخير بدف ضريره لإزالة القشرة على كل حجر حمصه إلى النصف فتصير الكيلة نصف كيلة. ولهذا سأومئ إلى أبيه بأربعة كيلاتين من الذرة فوافق المدرس بصفاد أن يخضع من الأرز الشخير كيلاتين. ولم يكن أبى يتصور أننى يجب أن أسرع مع الأماز قبل أن تنكس السنة الدراسية التى توشك وتنتهي الانتهاء. فلما فقلت إليه احتياج مدرسى أطفنى وذهب إليه في منزله. إلى: أيا طاعة من المرح وخفة الطل والجئون الحكيم كانت في ذلك الرجل الذى قدر لى أن يكون أبى؟ أحياناً كان يخيّل لى أن القدر تكلمنى وشيأه لا لشئ إلا ليصجر فيه مبالغة المرح والسخرية. إنه لم يعمل قدر غاشم يصعنا نحن أسرة ذلك الألب الشجاع القوى. في مواقف حرجة لا هدف له منها سوى تدمير كبرياء أبى وإلاله وإراغاه على فعل ما لا يرضاه من أجل أن يطعمنا ويكسونا. ولكن عيباً. فالألب الذى تزوج وهو فوق الستين من عمره طفلة في عمر

أحدها لعجت له بمئة عشر ابتاً. كان فى من الخامسة والستين يوم دخلت على المدرس بنفخس مكتوبة خزينته إن المدرس شبه على أن أسرع من عند مع الأنظار. فانتفض على الكنية في تحفز وراحت قادمة تبحث عن الاقترب الخشبي وهو يقول: ده باين عليه اتجنأ! ثم قهقهة التذوق حلا بين أسياده يتنقل نصر كفاية وكمان غابا يضيغ عليه سنة دراسية كاملة بست كيلات غله وكيكتين درو! أنا على ما عايت. ونهض واقفا بردتى الجلابى. أبى عيبت أم القبطا حول وجهها لتدارى رجعتنا وتساؤلها من منه من التناقضة. قالت بقليل من الحظوظ: التفاهم مهابت بالقباط يابو خيرى ما نتناش إلنا خدنا منه عربون وبنينا مكية الحظين. فلذا به يفعل نفس العمله التى لا يتورع عن فعلها فى أشد المواقف حرجاً. ما ده أصعبه الوسطى معقوفاً يفرغ به الهواء نأخأ شديفة ليصمر بفرقه. ثم يحببني ويصميت بركاً على العصا ويترقع بالقباط إلى الأرض محدثاً ضحة هائلة. فلما أوشكتنا على بلوغ باب بيت المدرس لصادف أن أباينا أختى الكبرى أتية من مائكنة الطحين القمية من بيت المدرس تحمل على رأسها قفلة كبيرة بلادى خلفها أصفر فيها طحين كيلة القمح وكيكتى الذرة. صاح

أبى فى صرخ قاتلاً: س! كند التحلنا. ونادى على شقيقتي فتبهنا مهولة تحت حملها الثقيل وقد طهر عليها التوجس من جنون ابنتها. وتلقبسى بانسانها صاحبة لعلى أخبرها جلية الخبر لكننى أيسمت بدورى رافعا كنى علامة على أننى لا أعرف شيئاً.

فبحنا الكلب بشراسة. فرفع أبى عصاه ليظهر به الباب فارتد الكلب خائساً وهو حسير. نظر المدرس من الشباك. هاله المشهد. أخبر يا أحمد الفتى؟ فيه حاجة؟ تحت الشباك مصطبة طيبة تطل على حديقة تامة للبيت. ما يده إلى مقبض القفة. نزلت يا بتا. نزلت القفة إلى المصطبة.

## إن التجربة الإنسانية الحقّة حين تعبر نفساً صافية تصبح الرحمة الأظم.

### أعمق وأنفع للبشرية من جميع الأرحام التى لا تنى تزحم الكرة الأرضية بملايين من الأخوة الأعداء يتقاتلون على موارث تافهة ومكاسب هزيلة إن عظمت أو سمنت هي في النهاية أقتعة للأناثية وذرائع لسفك الدماء

يجعلك تنال كمادة المعلمين ويصعب معلماً! إن جئت للتحقيقه فاسى هو الأولى منك ومن عيالك لا تعلم أنه من بيت علم عصره خصمها عام على الأقل. كان المدرس يحنى بس إلى ويعرف جيداً أن أبى أو أده في دماغه يستخض عليه عنه وقد بسدت في رقه من وطيشه فاخذ بحربته ورجع إلى الريحه. ويهرت على كفى سرى حقن: أنت أبى يا أحمد الفتى! وسلك معروف ومضامك معطوف: لا يا ولا أنطى من يتدبر عنى رعبنا! إن سبب تعود بالطحين إلى البيت كيسة منى لب الولد طليطه إلى المدرسة والأدنى للشغل! سبحت عن غير حساب نصضل الشاى الشاوى لى أن نأشنى شه نويش واقفاً. أنا طلى أو طليطه من دفعه لماكينة الطحين: يا أحمدك منى لا يا يا ولا! وعصيا وراعه تاركين المدرس فاعزاً فاد لا يحد ما يقول كند احتى

تجسب دومها: ومع ذلك حين ارتاحت أمى من شككتنا إذ تدخل علينا بغير طحين وسالت أختى من حلق جاف قائلة: طحين يا بت؟ شوتحت احتى قليلة: بهور من وشه! سافستنى أمى صدغها على كفاها ونغمفت من بيس اقضاسها: طاحسلة لاسوكى! فحضر اقضاسها! ورهقتى نمطرة نمطرة شرا! شعرت أنها تحملنى مسئولية ما حدث فمادت الأرض بي وفطرعت دموى حزناً على شغل أبى البائس القليل الحيلة أما أبى فيكل بساطة نظري ساعة جيبه ثم وقف على الكنية وشرع يقيم صلاة المعمر كان شيئاً لم يكن إيمان أبى بالله كان غاية فى الرسوخ ويحظى منى بتقدير عظيم. فمضى صبيحة اليوم وبينما كنا نلعب للدهاب إلى المدرسة ويتأهب أبى لتسفر إلى مدينة دسوق لمباشرة البحث عن رزقه جاهد الفلاح على سرحان الدى كان على موعد للسفر مع ليقوم أبى بتخليص مأمويرة لى فى الشهر الفارضى: فجلس بتمترى الدى معنا قبل أن يتنكلا على الله. فإذ به يسال أمى: ماترهمين يا أم خيرى حد عندك مع ريتى دودة أصلى مزقوق فى أربع تمار عناب أربع هاديين فطن! لقيت تقريون عايزين كمان تدريون!

علاقتى بمارجها ماركيز كانت وقيبت شديدة الخصوصية. ومنذ أن اكتشفتها في اواخر ستينيات القرن الماضي من رواية إيسن لى التكنولوجية من يكتابه. وبعدھا مباشرة رواية إماله من عام من العزلة) في طبعته البرصية كان يعمدنى ذلك الشطوط على فى الأكراف. وكثير من الميادات من القمات. وحيات الطمر. استخدام الرمور. الانتهاء العظمى الكامل لا ف ليلة وليلة ولومانسى العربى تمثيل فى السير الشعبية التى سربت على قبل أن أعرف الأدب الرسمى وله أن أعرف الأدب الأوروبي والأمريكى. كان يبدشنى ذلك التشابه فى الولوج شخصيات معصها. بأجواء بعينها. ذلك التنابه فى إيمان كل منا بالأسطورة باعتبارھا حد سمويات الواقع همدن أن بات بلك الكلمة وأنا أظننى منمرده فى شىء مهم. هو الاعتقاد بأن ما نسميه بالحرافة ليس

سقلت الدماء تقاطيع وجه أمى، سألته هي الحال! بكاء، قال: سة خلة وسنة درد! عدلنا! صرعه وهي تقول: لو ماكانش الواد امى عده مدرسة كنت انشيت له فصاع مستحها وهو يشير بحوى: انشد ده! وركم كمال ثلاثة زرا! احما هي ديك الساعة؟ وشاء المدرسة فاضل لها كام يوم بعش؟ مش عايشه اسوع ولا تش أيد ويطحن المدرسة بحسن! وشدما قف وطلوع وشمع! حننى س قبل لى! اعقتى حد من ضربك لاريا ياحد! اللى معبودو! ده أنا معيش عاز من اميك ده بالذات! ياسلام عليه وهو يقفرا لنا فى البيوت. في مكان لبرسوى! شاع خارج حارس فى سوق احبب لك معية! طبايه زاييب حافظك كمل حلايه زهر حنمارة! أنا حاجتة لىنى و جبب لك حنمارة! دى من عسى كدم حبه نيل! ريت يوفلك! عندك نظرس لى ما نظرتنا دى معنى وقال شتى من مرده! أنا يعز من يشاء ويدل من يشاء! منى لى نشاء! تلعتشت من هيتت على سرحان. ريت طبعاً ودى عازد سوا! قال أبى: سبحانه وتعالى! يس! المعنى اللدى فى مدبى حاقول لك عليه هشان المردى تى تعظما! معسى الأية الكريهة دى يا مرم اللى عاوتنحز. ريتا يعز. واللى عاوتنحز. ريتا بدله. هه! فأكرد امبارج يا مره! وهشنا الدل وطليتنا فافلتش! وفافلتش علينا الدل الليل الا وريعا غزنا اهدا هيمتى يا مره! والله ما السى فدهم حاجة! يا سينا يا سى على! ونظرى من شمسلة المرأة المسلى لىعمل فيها طروشة قبل أن يطرخ. هيا! هيا! من عزة لىنى! طليها أبى وحمد الله عليها كانه قد رفعه إلى اعلى عيلين! إنما قد بقى فى دهمى لى اليوم! الدى التفسير الذى الشكره أبى لىنى الأكرافية إن الله يعز من يشاء ويذل من يشاء.

علاقتى بمارجها ماركيز كانت وقيبت شديدة الخصوصية. ومنذ أن اكتشفتها في اواخر ستينيات القرن الماضي من رواية إيسن لى التكنولوجية من يكتابه. وبعدھا مباشرة رواية إماله من عام من العزلة) في طبعته البرصية كان يعمدنى ذلك الشطوط على فى الأكراف. وكثير من الميادات من القمات. وحيات الطمر. استخدام الرمور. الانتهاء العظمى الكامل لا ف ليلة وليلة ولومانسى العربى تمثيل فى السير الشعبية التى سربت على قبل أن أعرف الأدب الرسمى وله أن أعرف الأدب الأوروبي والأمريكى. كان يبدشنى ذلك التشابه فى الولوج شخصيات معصها. بأجواء بعينها. ذلك التنابه فى إيمان كل منا بالأسطورة باعتبارھا حد سمويات الواقع همدن أن بات بلك الكلمة وأنا أظننى منمرده فى شىء مهم. هو الاعتقاد بأن ما نسميه بالحرافة ليس



## كتاب الزاوية

### داقوق وكركوك

اشتهرت مدينة داقوق بكونها مدينة تضم ضريح الحسين بن الإمام علي، ولذا فهي موضع توفير المسلمين، ولكن لا يزال الجدل محتدماً فيما إذا كان لهذا المكان شرف احتواء رأس الحسين، في حين أن هناك بناية مشابهة في نصيبين تحتفظ بجسده، ومع ذلك فهو مكان عظيم يؤمه جمع كبير من الزائرين، وفيما مضى كانت حلقة من الحديد غلفت بواسطة سلسلة، شيء ما يشبه ذلك العمل البارز الذي مارسه الهلاد قديماً للكتاب المقدس والمفتاح، فقد اعتادوا التفكير في رغبة من الرغبات، ومن ثم يضعون السلسلة في وضع من الحركة مقرر سلفاً، فإذا عادت الحلقة المتحركة إلى سبابتهم التي يجعلونها ثابتة ساكنة، فإن أمنيتهم سوف تتحقق، لكن سليمان باشا بغداد، وضع حداً لهذه الممارسة بإزالة هذه السلاسل.

وفي اليوم التالي سافرنا إلى كركوك وهي مدينة كبيرة، وفي صحرائها تنتشر حفر النفط، حيث يبدو العمال هناك كأنهم أرواح شيطانية، أضرم بعضهم النار في إحدى تلك الحفر التي تاجت يصحبها دخان أسود من رفت، فهدت كأنها نسخة مصغرة لبركان ثائر.

وفي منتصف النهار بلغنا قرية كلك على نهر الزاب الأعلى الذي كان في ذلك الفصل من السنة في أدنى مستوياته، ومع ذلك فقد كان عرضه ما يزال قرابة الستين أو السبعين ياردة

بخرافة، هي حرافة، فحسب، عندما يعجز خيالنا عن الربط بينها وبين الحياة، حين نلحظ عن الإدراك العميق للغة الإنسانية العريضة التي تخترعها البشرية منذ ملايين السنين، كان يدهشنا وحدة العالم بين ماركيز وبني، ودأت يوم من أوائل تسعينيات القرن الماضي أدليت بحديث لطبوعة أسبوعية عربية بمناسبة صدور روايتين كبيرتين لي هما، «وكالة عطية»، و«موال البيات والنوم»، أشرت فيه إلى شيء من هذا المعنى فيما كنت لأزاول في مرحلة الدهشة من استجلاله، أما اليوم وبعد طول إبحار في أدب كل من يوسف إدريس وجارثيا ماركيز اكتشفت أن وحدة العوالم الإنسانية بل وحتى تشابه التفاصيل والمفردات ليس ينفي استقلالية الكاتب عن شيء له من قوته، بمعنى آخر، إن الكاتب لا يمكن نسخه بأي حال من الأحوال حتى بين الأخوة أبناء البطن الواحدة.

إن بصمة الكاتب لا يمكن أن تتطابق مع بصمة كاتب آخر، تلك حقيقة دامغة ولكن بشرط أن يكون في داخل كل ناقد فاحص جهاز إدراك الصمات، فيرغم تشابه المفردات الإنسانية والفنية بيني وبين يوسف إدريس على سبيل المثال، إذ إن كلينا يكتب عن الغلاخين وعن الأنفاس وعن نفس التقاليد القروية وربما ننضج اللغة فإنني أختلف عن يوسف أختلف تعريتي عن تجربته، أختلف المكابد، ومحتويات الشعور، والفناء في المصادفة، وإذا كان الأمر هكذا بالنسبة لي مع يوسف إدريس فما بالك بالنسبة لنا معاً، إدريس وأنا، مع جارثيا ماركيز؟ إن الاختلاف بيننا هو اختلاف نهر النيل عن الكاربي، اختلاف المجتمع المصري عن المجتمع الكولومبي، والعالم العربي عن عالم أمريكا اللاتينية، ولكن على قدر الاحتلاف يحدث التميز، وعلى قدر التميز تجلّ الأفضلية، وهذه الأفضلية ليست تحسم على الإطلاق، إنها لعبة الكريات الزجاجية التي استجلجها الكاتب الألماني الكبير جده هيرمان هسه في رواية له بنفس العنوان، وقد قال شاعر الإنسانية الأكبر جلال الدين الرومي في واحدة من مثنوياته: الماء العذب والماء الملح متساويان والفرق بينهما ذوق، وذلك مسألة هي الوحيدة، ربما، التي لا يتم فيها فصل الخطأ منطقياً.

ولكن مايلنا قد ابتعدنا عن السيرة الذاتية: (إن تميش لتحكى) للكتاب الكولومبي جارثيا ماركيز؟ وهل ترانا قد ابتعدنا حقاً؟ في الواقع، لا، إذاً كان هذا الذي قلناه لثوتنا هو زخمتنا، لقد كنا نرشف الحرق الذي هو ذوب إدامها، منتشع ببحار نكهتها، لقد أردت، بهذه اللغة غير الطويلة، أن أقول إن الأدب في أشكاله الفنية المعروفة المتداولة بين جميع قراء العالم هو: فن التصنيع التجسرية الإنسانية، بمعنى أن هناك تقنيات حرفية صارت لغة متفقاً عليها بين جميع مثقفي العالم يجب الخضوع لها، بشكل أو بآخر، بدرجة أو بأخرى، إنتاج أو تسوية قصة أو رواية أو قصيدة أو مسرحية، وإذا تمرد الكاتب على شيء من هذه التقنيات أو خرج عليها فإنه يبعد جرة، من اللغة المعنية المشتركة ومن ثم لا بد أن يتأثر عمله الفني وقد يعضى جيل باكمله دون أن يتمكن من إرجاع جسر بينه وبين القراء.

أما السيرة الذاتية فإنها فن التجربة الإنسانية الخاصة مع تصنيع، لم تخضع لقصص التصنيع يحرم منها أحكاماً وأبداً وجيوباً ويبدأت تتم أحكامها بعد ذلك في بعضها، إن السيرة الذاتية هي بمثابة العنقبة التي تنتج المصداق، فيها يتخسر الكتاب والمناول والقادة والرؤساء والحكام والأطباء والمهندسون... إلخ، وإذا كان الأدب هو فن تأطير العوالم الإنسانية في أطر اجتماعية محددة لا قيامة للعمل المعنى بدونه فإن السيرة الذاتية هي فن تعليم الحواجز والعلم المصداق بين البشر، هي فن المضغضة والاستقطاب، هي فن التضاد مع المجتمعات المحلية لصالح الجذرية الإنسانية وخلق روابط حقيقية متينة بين الإنسان وأخيه الإنسان في جميع أنحاء العالم، لقد مرت بي لحظات وأنا استغرق في قراءة السيرة الذاتية لماركيز شعرت خلالها بأنني عثرت على كنز لي على شاطئ الكاربي، بل شعرت بأنه أقرب لي من يوسف إدريس ومن كثيرين لا يربطني بهم سوى مجموعة من فرضيات اجتماعية ضافية تاريخية عقلانية عرقية مهما تولفت نظرياً لا تمنع قيام العدوان بينهم لأتفه الأسباب، إلى إيماننا ليس الأتمة قد اكسب الأفتة سماءة ومثالة وخرب دواخلنا تخريباً مروعاً، ولأننا قد أصبحنا ممنوعين من مواجهة النفس وتعريضها للهواء النقي وللشمس فإن دواخلنا تستل كمأمن من العدوان لا يصيب أحداً سوانا. ■



ترحب وجهات نظر، بما يرد لها من رسائل تعليقات على ما ينشر فيها من موضوعات ومذلات وتحرص على نشرها مع التأكيد على أن ما تتضمنه من آراء، مثلها مثل المقالات ذاتها، لا تعبر بالضرورة عن رأي المحرر أو هيئة تحريرها

## لدينا ما نقوله لكم نحن عرب ٤٨

والوطن لذلك انطلقنا في هذا المشروع لاننا نحمل اشد الهموم... هموم الوطن والمواطن العربي... هموم الناس السطاء الذين يبحثون كل يوم عن اسباب جديدة للحياة والاستمرار رغم حدة الجوع والحق هوم لنفسى الرافضين لزمن الاملااد وحسرس للاتباه والحد من اذات التسويه الاعلامى الإسرائيلية التي تحتل مكانة بارزة في زمن العولمة. ومن المؤسسة لحاكمية في الولايات المتحدة الأمريكية

الخطيب  
في ايد حرجه  
من ساريج  
منا من  
ومس كس  
يبت مريحه  
فصلا كس

عرب ٤٨  
www.arabs48.com

المقدود الاخيرة: هذا الموقع لهم هو ردا المتواضع منا نحن القاطنين في بلدنا منذ بداية الزمان، على التعاضل لغوانية للراي العام العربي المساند لقضايا الامة... لقد جاء موقعنا اصلا ليكون ميلا لخبر الإسرائيلي شؤو الذي يشغل لتعاليم العربي بهدف الإساءة وتليل من فصال العرب الفلسطينيين في الداخل. ولاند من التفكير هنا ان بعض الاخبار المقلولة من بلادنا الى العالم العربي في السنوات الاخيرة لقيت بعدم التقه والتهيب المتعمد لتسليم التاريخي والاساميه في حبر النورج اند نرفع من مؤسس الحبس الاهلى والنموسى وكل الذين يسعون لخطاب إعلامى عربى بليق مدا كابناء امة عظيمة فعصمنا لموقعنا مبادى كى يستطيع ان يعيش ويستمر وندعو الاخوة الكتاب والمصحص في الوطن العربي الى المساهمة في الكتابة والحوار والسجل على صفحات موقعنا على التواصل والتماذع لينا ايضا ما نقوله نحن عرب ٤٨ في عرب ٤٨

احمد ابو حسين  
رئيس دة موقع

## مقال هيكل

حوار فكرى شهيرة لنقدها نحن عرب الغربية وكنا قد اخترنا لها عنوان اسم محلثكم وجهات نظر، اعرف انه في مقالة الاخير قد استأذن في الانصاف. ولكننى على ثقة تصل الى درجة اليقين بان هذا لن يطول المجلة التي اسماها واده عائد ولو يدو حين، حتى ولو غاب قلبي مؤقتا فإن بصمته تظل واضحة في كل صفحة فيها.

د. عبد الله علام  
محاضر جامعى، كندا

كان جميلا ان تخصصوا باب يريد القراء في مجلثكم للرسائل المرسله الى الأستاذ هيكل والتي نخرج من تحليل مضمونها الى جانب تلك المرسله اليه على موقع الجريدة ثم ينتاج مشيرة، سواء تلك التي تعبر عن وفاء القارئ كاتبيه الاول أو تلك التي يمتقد منسلوها ان لد الأستاذ اجابة لأي سؤال مهما كان بداية من، من هم الماسونيون في عالمنا العربي؟، وهل الدال الفلسطيني في تلك الايام؟... وهتى مهمة توضيح ما حدث في كفر الحوار سنة ٥٤.

عدنان الشريف  
مدرس، عمان، الأردن

القارئ المتمن في كتابات الأستاذ هيكل ولكنني سيجد له بالضرورة رأيا وتعليلا... ومن ثم توضيحا للكثير من الاحداث والمواقف في التاريخين المعصر والعربي في النصف الثاني من القرن العشرين والفريبا ستخصص وجهات نظر، بابا لتقديم فيه، للكتابة، الى الانتاج الفكرى لهيكل والذي تعيد، دار الشروق، إصداره في سلسلة، عمر في كتيه حتى يمكن للقارئ انهم مراجعة راي هيكل وتحليله لقضايا التي تمنية.

المحرر

أود أن اسجل إعجابي الشديد بمقال الأستاذ هيكل الأخير في مجلة وجهات نظره، وأود أن اطلب من الأستاذ أن يصدر كتابا يجمع فيه الوثائق الإسرائيلية التي تم تناولها في مقالته منذ فترة نظرا لأهمية التي تتضمنها هذه الوثائق.

طارق عادل  
محاسب

العدد الخاص الذي أصدرته وجهات نظر بمناسبة بلوغ الأستاذ هيكل عامه الثمانين كان عددا خاصا بحق، ويستحق كل التهنئة، وخاصة تخصيص باب الزاوية لمقالات بصراحة، فحينما الذي كان يتابع المقال الأسبوعي المهم على مدى نصف قرن يعلم كم هو مصعب وشاق اختيار تلك المقطوعات المحدودة من بين هذا العدد الضخم من المقالات، ولابد انكم كلتم بهذا العمل باحثا متخصصا في تاج الأستاذ الصحفي حتى يمكنه الانتقا بهذه الكفاءة، وبإيتكم تكرون التجربة مع كتب هيكل الأخرى.

محمد عبد الحميد  
محام

لماذا لا تبادر وجهات نظر بنشر أجزاء من كتب مكرنا وكاتينا وكثرنا الاستراتيجي محمد حسنين هيكل بعدما استأذن بالانصاف لنتمكن من متابعة ما غالنا متابعين.

أبي كندجو  
مالي

طالعت العدد الأخير من مجلثكم المحترمة، وصعدني أنش لم أجد قلبي كما تعودنا. وقد كان مقاله مادة لجلسة



٢٤ تهتم «وجهات نظر» بتعريف قرائها بجديد المكتبة العربية والعالمية، وتشكر الناشرين والمكتبات والمؤلفين الذين يساعدونها في ذلك. وتدعو قراءها لإرسال مراجعاتهم النقدية لما يرونه من إصدارات. »

دمشق دار الكتاب العربي، ٢٠٠٣  
صفحة



من أجواء الكتاب: «المدينة تعدت المظلمة، تحاورته، لم يعد من اهتماماتها كسرتة بعلامات اجتماعية معقدة، وبغافاة اجتماعية ملتهمة بالتفاصيل لا يمكن أن تسمح بأي إمكانية لنظرة شاملة للحياة».

## المولود (إله الشر)، تاريخ الولايات المتحدة

كارل بياش دشر  
ترجمة محمد حميد  
دمشق دار دمشق للنشر، ٢٠٠٣  
٦٠ صفحة



هل جاءت الهجمة العربية الأخيرة، والإمبريكية خصوصا على العالم الإسلامي ضمن سياق «الرد المقروء» على أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، أم أنها لتدبر ضمن الحملات الصليبية التي شهها الغرب تكراراً على العالم الإسلامي، والتي لم تتوقف حتى اليوم ورغم دحرها قبل ما يزيد على ثمانية قرون في الخليج.

الكتاب ينحاز إلى وجهة النظر الثانية، ويؤكد على أن الحروب الصليبية ما زالت مستمرة، وأنها جزء أساسي من الفكر العربي ومن «المنهج البابوي». حسب تعبير المؤلف، «منذ أعلن البابا أوربان الثاني أول حملة ضد المسلمين عام ١٠٩٥، وأنها أعلنت باسم الرب يسوع، وهكذا يفعل بوش الذي يدعي أنه يحارب أيضاً معركة الرب، وهذه تنميط ما انتهى إلى الجمع بين سكوني الفاتيكان عام ١٩٦٥، وهو نبوة اليهود من دم المسيح، واقتلاع اليسار في عقد المائتين، واقتلاع الإسلام في عقد التسعينات».

## كشكة وكرايش

عبد السلام محمد عبد السلام  
القاهرة دار قباء للنشر، ٢٠٠٣، ١٣٦  
صفحة



عودة إلى هن الزجل، ذلك الضيف الجميل الذي يستمد من الواقع الاجتماعي وتناقضات موضوعاته، ويتبع من أهم اليومين للمصريين خريطة الدرامية والفنية، صوت من لا صوت لهم، وهو الذي عرفه المصريون عبر أجيال متتابعة من المبدعين منذ بومر

دالات الرموز وتداعيات العاكسة كما عدد جبراً مثلاً، حيث تلعب الذاكرة دوراً رئيسياً في تشكيل حسيات روياته ونموها. أو وعلى المثقف بالأساء وكيفية تعاطيه مع التحولات والانعكاسات التي مرت بها القضية منذ النكبة وحتى اليوم في كتابات هشام شرابي، والتوازي الذي تصفه سحر خلية بين واقع الناس في الأرض المحتلة، وواقع شخصياتها في إبداعها الروائي وخصوصاً في ثنائيتها الصبار/عباد الشمس، أو دعوة إميل حبيبي إلى الاضطلاع على التراث الفلسطيني من خلال روياته، لكس لكع، وأخيلة إميل حبيبي، ثم الواقع العربي في الحاضر سعيد ابن الفصح المتشائل وسرايا بنت العول، فيما بعد.

نصوص عديدة، يحفلها المؤلف بقضايا، راصدة علاقاتها بالثقافة والمقاومة، سواء على صعيد التفسير والتنبؤ أو الرصد والتفسير.

## طرف غائب

علاء حاد  
الإسكندرية كتاب أمكة، ٢٠٠٣، ١٢٥  
صفحة



هذا هو الكتاب الأول الصادر عن مجلة «أمكة»، التي يصدرها مجموعة من الشباب في مدينة الإسكندرية، والتي سبق أن تناول أعضاها الأربعة التي صدرت حتى الآن في هذا الباب، ويضمن الكتاب مجموعة من المقالات التي كتبها المؤلف وهو المحرر الرئيسي لمؤسسة «أمكة»، في الفترة من ١٩٩٧ وحتى ٢٠٠٠، وهي كتابات تختص بالثقافة والتفاصيل الصغيرة وتستلحق الأهمية، ناجمة من علاقتها بالكتاب واليسيرة الذاتية لصاحبها صوراً تتناول على قدر كبير من الدقة وبراعة الوصف، ورغم أنها كتابية لا تتعمد استحضار البلاغة والتعالي سرداً، شيئاً، وأما تستدعي مبرراتها الخاصة وتعيد صناعة الأسطورة مغفوهاها الإنساني بعد أن صامت الأسطورة أو كانت حيناً، وحلت بدلها منها أساطير حديثة وثيقة الصلة بتحويلات عالمنا المعاصر.

## محمد بن خليفة أبو شهاب

اللامع الشخصية والفنية في شعره  
بلال السور  
أبو سحر لجمع المجلس الثقافي، ٢٠٠٣  
٢٤٨ صفحة



يتناول الكتاب سيرة «أبو شهاب»، واللامع الفنية والشخصية في شعره، وجهوده في تحقيق نفسه ودراساته العميقة لكنت التراث وأهيات الكتب ولأن الشعر قديمه وحديثه، ما منه مكانة مهمة بين شعراء الإمارات يقول أبو شهاب عن نفسه  
لي من كنور لغواي ملء أحزما  
قد استقرت بحمد الله في خلدي

## القيم والمطر

الرواية الفلسطينية من النكبة إلى الانتفاضة  
محمض عبد العلي  
القاهرة مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣، ١٩٠  
صفحة



هذه الدراسة عن ثقافة المقاومة من خلال رموز الرواية الفلسطينية، شمس كسماني وجبرا إبراهيم جبرا وهشام شرابي وسحر خلية وإميل حبيبي ومحمد وثق  
وهو يرصد تحولات فترات الفهم الطويلة في كتابات جبرا وشرابي وكسماني وسحر خلية، وحين تعددت طبقات العيم وتحول العيم إلى عصب عازم ومعلم أسود شميل المنتصر ورسالته على أصحاب التحريه من عرب الداخل، من أمثال زكي درويش ومحمد وثق، ولبيد مدرو وإميل حبيبي وراعي شحاتة، يؤصمهم ألفم الحارمين إلى العزلة، وأكثر حيرة وأشد بصراً، كما يقول المؤلف الذي يكتب عن

حرب صليبية بكل القاييس  
ريب عبد العزيز



التونسي إلى أبو نيثينة وعبد الحميد الدين، وعشرات غيرهم، نشرنا في هذا الكتاب

كان نفسى أكون شري/ أبيع في بورسعيد ونشترى/ واتعامل ويا البنوك/ لا من شاف ولا من درى/ واكل اكل الفلاية/ ولا افكر افشترى/ وأجيب غرائى سيفه/ والقرن الأمارى، وأشوى كبد وكلاوى/ والباقي حمري.

**في الوحدة والتداعي**  
**دراسات في أسباب تفكك مشاريع النهضة العربية**  
يوسف مكي  
بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢، ٢٦١ صفحة



في أعقاب هزيمة يونيو ١٩٦٧، مرت الأمة العربية بحالة من التداعي والاضطراب، دفعتها نفعاً إلى قبول الصلح مع إسرائيل، وضاعت بالنتيجة مطالب التحرر والجداء، وهمار العدو الفاسد لتعسطين فداً في مفاوضات تسلب البقية الباقية من الأرض وتكرس لأوضاع ظلمة.

وفي ظل هذه الأجواء التكتست مشاريع النهضة التي بدأت إرضاعتها في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، وتحولت آمانيات العدل الاجتماعية إلى سرايات وأخيلة، وسقطت الأقطار العربية واحداً تلو الآخر في شركه الإمبريالية الأمريكية.

وهذا الكتاب يبحث في توتر مشاريع النهضة العربية، يبدأ من الوعى بالهوية التاريخية تاريخياً ثم مرحلة النهضة القومية، ويتناول في الفصل الثاني موضوع الوحدة في مجتمع الجزيرة العربية في حقبة ظهور الإسلام، وفي الفصل الثالث يعرض للإسلام والهيمنة العشائرية، ويناقش في الرابع أسباب تداعي مسيرة العمل القومي، ويتعرض الفصل الخامس والأخير لإشكالية الوحدة والتنمية، مركزاً على التوجه الاقتصادي بوصفه المدخل الصحيح لتحقيقها.

**ليالي الحصار، قصائد لنخبة من شعراء العراق**  
تقديم: سيف المري

أبو طس دار الصدى للشعر ٢٠٠٢ ١٢٢ صفحة

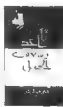


مختارات من الشعر العراقي تحت الحصار لأكثر من ١٥ شاعراً يمثلون تجارب هنية وخبرات حياتية وإسنادية متباينة، ويتنهلون إلى أجيال وثقافات شعرية مختلفة، تتفاوت بين الشعر العمودي والحر، غير أن ما يجمعها أنها لغة جيمعاً ربا، على حال الحصار التي يعيشها الشعب العراقي في ظل غياب كامل لرد فعل عربي رسمي.

لقد كان الحصار الذي عاينه الشعب العراقي طاولاً عقد أو يزيد، نادفاً لإبداع متميز، وكاشفاً عن وجوه أخرى للभासा، عبر عبر عنها الشعراء من روايا مختلفة، لغة خاصة تليق بهوم الشعب البومية. وتنتهي بعداهات التي مارالت متواصلة تحت الاحتلال.

#### لا أحد يسف الخيل

الياس فتح الرحمن  
أم درمان مركز عبد الكريم ميرغسي الثقافي، ٢٠٠٢، ١٥٥ صفحة



تسعة عشر عاماً تفصل بين الديوان الأول للشاعر، صوت الطائف، وهذا الديوان، وفي هذه السنوات الطوال جرت مياه كثيرة في النهر، تغيرت أحوال وتبدلت ممالك، تقدمت أمم وتوارت أخرى، وما كان مأمولاً ليلد الشاعر. الموان، صار ملأاً بعد الخال، وهو ما عكسه الروح المسيطرة على الديوان، والقصائد الهامة إلى الراجلين ممن كانوا قابضين على الجمر في زمن المنة والالتباس، منهم: صلاح أحمد إبراهيم ومحمد الهادي الجنوب، وجمال محمد أحمد وجيهي عبد الرحمن وعلى الملك وأمل دنقل وأخرون.

من أجواء الديوان:  
على الخنجرين... الهوى والجدية/  
تولين في هذيان الشيخ، وفي شفق الطفل/ في العفرات وفي الجبرات/ وفي

حدايات الجهاد الصليبي، هبل حبل نحى/ وهل هذه اليد تلك اليد المستعصمة أم الفصول صهارل للمحمن، ردت اللسان ليدفع ملح الصدور الوصية.

#### السيرة النبوية في رحاب التنزيل

رحلى علية  
الفاخرة مؤسسة رز اليفوسف، لكتات  
المدنى ٢٠٠٢، ٥٠٨ صفحات



يستحضر المؤلف وهو في الأصل محام ذائع الصيت في هذه المصنول، 'السيرة النبوية' المعطرة منذ ذرور الوحي على النبي الكريم في غار حراء وطوال إقامته بمكة المكرمة. وما اشتملت عليه هذه الفترة من عنذابات عاباها الرسول وصحبه وصى صفوة وأمنوا بدعوته، وهو في هذه السايق يعرض سبور القرون الكريم وآياته في مناسبات تنزولها بين أحداث السيرة ومناسبات نضول الفكر الحكيم، موقفة من كتب أسباب النزول والتفسير المعتمدة وقبب مصاحح السنة ونفحات التنزيل، مستحسنة هذه الأجواء المباركة بما انطوت عليه من جهاد في سبيل الله ونصرة للحق، في سرد إلهي يلغى لباسا ومعارات أعضاهه وفي الأجواء التي عاشوها

#### كش الأفتنة، صنع الله إبراهيم

وهؤلاء  
مصطفى بومس  
الفاخرة، دار العالم الثالث، ٢٠٠٢، ١٧٥ صفحة



على مدى أكثر من خمسة وثلاثين عاماً، قدم صنع الله إبراهيم تجربته الروائية، وهي تجربة بالغة العمق والبراء، قدمت مزجاً بين الشهادة والنبوة، هكذا كأل الحال، في تلك الرحمة، والجدية، ونجمة العظمى، وبيروت، وداته

وشرف، وبوردة، وأحمر، أمريكانيلى، أو امرى كان لى.

وحلال هذه الأعمال قدم صنع الله روبى شاملة للوقائع العربية كله، والفريق الحاد لأعماله، كما يقول المؤلف، يتواصل مع الكثير من الأحداث المهمة في مصر والسودان وليبيا واليمن والمحدوية والعراق وغيرها من البلدان العربية كما ن سوسعه أن يحد سبوراً لتعدد من الزعامات العربية التي يتم رسم ملامحها من حلال وجهة نظر صنع الله بملسبة الحال. فناناً روياته يحد جمال عمد 'ناصر وحسين من طلال وأبور السدات وقابوس بن سعيد ومعمر القذافي وقهد بن عبد العزيز وصدام حسن وكميل شمعون وجعفر نميرى وحسن اشعوى وعبد الكريم قاسم وغيرهم، ولان المادة 'الوثائقية تشكل عصب كثير من أعمال صنع الله إبراهيم، فيل النارى لهذه الأعمال يتوجه مباشرة مع هذه الشخص بشخصه، وليس من خلال الأبياب السرة ومستوثاته الرسمية، وهو في هذا الإطار يكشف عن جذور الأزمة التي تواجهها الأمة العربية وشملة في غياب الديمقراطية وانتشار الفساد والعظم الاجتماعي وأهدر حقوق الإنسان هذه هي جوانب الأزمة وجورها كما يراها، وكما أسهمت فيها هذه الزعامات بجرجات متناوطة وهو ما يسمى الباحث إلى الكشف عنه في المعالم الروائى لصاحب النجته

#### الاقتصاد العربي في عصر العولمة

حار البيلالى  
أبو طس مركز لامرات نشر سات  
نبحوت الأستر مجيحية ٢٠٠٢ ٢٥١ صفحة



إذا كان لا يمكن الحديث في ظل محدودية العلاقات الاقتصادية العربية البومية، عن الاقتصاد العربى بوصفه حقيقة اقتصادية واضحة المعالم، فإنه يمكن كذلك إغفال أوجه الشبه والترايب بين الاقتصادات العربية، هذا يعنى أنه إذا كانت المعطيات الحالية تشير إلى غياب كيان اقتصادى عربى متكامل، فإن ذلك لا يعنى استحالة تحقيق ذلك في المستقبل على أن شمة أسئلة تطرح في هذا الإطار، تتعلق بما مرسته المولة من تحديا وما استحدثت في علاقات في



دمشق دار الكتاب العربي، ٢٠٠٣  
صفحة



لمصطلح 'الدول المارقة' استخدام،  
الأول استخدمته الولايات المتحدة  
أمريكية في مواجهة المول المارقة  
لإسرائيل أو ما تسميه المول في محور الشر  
وفقا لريتشارد في نظام على قيد التشكل.  
وهو استخدام دعائي يحقق أهدافها في  
التوسع والهيمنة، واستخدام موضوعي  
تحتل موضوعه الولايات المتحدة ذاتها  
والدول التي تسير في كاهنها وخصوصا  
بريغانيا من أي التزامات تعربها عليها  
القطاعات الدولية استناداً إلى ماورين فولي  
جديدة، وهذا هو ما يسميه تشومسكي،  
حكم القوة في الشؤون الدولية.

ويعود الاستخدام الموسع للمصطلح  
الدولة المارقة إلى فترة حكم الرئيس  
ريجان، وهي، لست محدث لأمريكا  
الإمبراطورية، في سياق التسليح الذي  
قاد إلى نهاية الحرب الباردة وتشكك  
الاتحاد السوفيتي، وإفراة أمريكا  
بالمعالم، واستمر هذا المفهوم سارياً مع  
حكم الرئيس كلينتون الذي أبلغ الأمم  
المتحدة أن أمريكا تستصرف جماعياً  
عندما يكون ذلك ممكناً، وتستصرف  
فردياً عندما يكون ذلك ضرورياً، وفي  
عقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر  
٢٠٠١، وفي ظل قيادة الرئيس بوش وإدارته  
السينية المظلمة، فإن التسويق في  
استخدام هذا المفهوم بلغ أقصى مداه  
وأطلقت أمريكا لقوتها الصنان، وأراحت  
تماماً تقاليد المجتمع الدولي والواقعي  
التي تحكم العلاقات بين الدول،  
والمؤسسات التي تنظم تلك العلاقات  
هذا بعض ما يكشفه تشومسكي في  
كتابه،

## إشكالية المستقبل في الوعي العربي

هادي نعمان البوشي  
بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،  
٢٠٠٣، ٢٥٧ صفحة



خلصت الدراسات الإقليمية التي

مركزاً على سبما صلاح أوسيف بوصفه  
مثلاً لجبل حلم بداية جديدة، وكذلك  
بعض أصواته على أجال شاة نمو في  
الاتحاد دانه، مثيرة إلى حال السينما  
العربية في وعي الأحر العربي.

## مسرح الشعب

على الراعي  
التحفة العربية العامة لقصور الشقابة  
٢٠٠٣، ٨٦ صفحة



يضم هذا الكتاب ثلاثة كتب للناقد  
الراحل الذي يعد واحداً ممن رسخوا  
لظاهرة المسرحية في الثقافة العربية  
الأول هو الكوميديا البرجالية، والثاني  
فنون الكوميديا من خيال الظل إلى  
تجيب البرجالية، والثالث مسرح الدم  
والدموع.

والكتب الثلاثة يصمها خيط واحد  
هو أنها تعبير عن رؤية الشعب للمسرح،  
فالكتاب الأول أوسع المجال أمام الفن  
المسرحي على يوسع من رفعتة وفدراثة  
بالإفراج عن الطاقات الكامنة للممثل  
ويضعه إلى القان وسدلى أخرى للتعبير غير  
الأداء باللفظ والصوت، مثل الأداء  
بالجسد كله والشاركة الفعالة في بناء  
المسرحي، كما أعطى المؤلف فنانين  
الارتجال القدامى منهم، هؤلاء الذين  
قامت على أكتافهم الكوميديا الشعبية.  
والكتاب الثاني يقدم مأموراً كاملاً  
لمسرح الكوميديا في مصر، وتشاؤل  
بالتحليل الفنان على الكسار، ووضع  
كوميديا تجيب البرجالية في وضعها  
الصحيح بين من زاوه فيلسوا، أو من زاوه  
مهرجا هزلياً، كما أتم الكتاب النظر إلى  
أهمية القامة باعتبارها دراما في مرحلة  
التشكل، وطالب باستخدامها مادة  
لتمريض مسرحية، ونبه إلى أهمية عروض  
التوازي.

وكان هم الكتاب الثالث دراسة  
الفيودورما والعالية والمصري، وتجاوز  
النظرة البعيدة التي كانت سائدة آنذاك،  
وأنشأ راب الفيودورما أنها قبيل القيمة، ضار  
ومصدر للمقول، فجاء الكتاب ليثبت  
أصبيتها بدلالة عليها بنصوص مسرحية  
وعائية.

## الدول المارقة

نعم تشومسكي  
ترجمة: محمود على عيسى

التعب العراقي وقد رصد قبلة معاناة  
الكوييتيس تحت الاحتلال، العربي،  
العراقي وحين سقطت بغداد، وإنهارت  
سلطة صدام حسين واختفى البعثيون.  
كان هناك، يقدم صورة لدولة معككة  
متهارة وثائقها السرية لثبات على الأصفه  
مفروض قليلة، فيما لا يعلم أحد شيئاً عن  
مسير حاكمها الطاغية  
هذه القصة يرويها بتفاصيلها المؤلف  
الذي عايشها معين الصحفي المراقب.

## السينما في مرآة الوعي

حسن محبلة  
القاهرة: البيت لعامة مسرور الشقابة  
٢٠٠٣، ٦٠ صفحة



وقدت السينما إلى مصر في نهايات  
القرن التاسع عشر، بالتعبيد إلى ١٩٦٩،  
كانت هنا جديدة يصعد على الصور  
المحركة، وقد تعامل هذا الفن الجديد  
مع فنون كانت قائمة بالفعل، فطورت  
معضها، واستوعبت في داخلها بعضاً آخر،  
والقت تماماً وجود فنون أخرى، واندمج  
هذا الفن الجديد في الوعي الشعبي  
المصري فتأثر به كما أثر فيه، وهو ما  
تمككه متناميه تطور السينما المصرية  
والتي جاءت أفلامها في إطار سباقات  
اجتماعية شاملة، التي وفي وعي صناع  
السينما في تلك الحظرات التاريخية،  
عالمنا التي عرستها مصر في

الثلاثينيات والأربعينيات مثلاً، تختلف  
بالصوروة عن تلك التي سادت في أعقاب  
ثورة يوليو ١٩٥٢، وهذه تمايز عن سينما  
السينماتيات والسينماتيات في زمن  
الانتاج، وصولاً إلى أفلام سينما الشباب  
السائد الآن.

في هذا الإطار فإن ثمة وعياً حقيقياً  
بالمات والتمايز والتمايز مع طرفها التاريخي  
من نوع الأثر، ورد قلبي، وشبه في  
الحواف، والمصطوف، وأبعث على المهر،  
والأبدى التمايز، والتميزة الشابة،  
والعش والكلاب، وأنا حرة، ومضارب  
غيرها... وفي المصالح ثمة وعي رافق  
لسميا تقليدية الطابع والتفتية، لكنها  
تجاري متطلبات السوق في سينما هزلية  
لا غاية ولا مصمون، وأخري تحاكى  
مبارات ما بعد الحداثة العربية، تلك التي  
نقلت في سياق اجتماعي مغاير وضمن  
وعى إنساني متمايز.  
في هذا الإطار يحلل الكتاب عشرات  
الأعمال السينمائية والتحرار الجديد

ظل بيئة دولية معيارية، وهل يصحح  
التعاون الاقتصادي العربي مع هذه  
المتغيرات قبصاً للزوج، أم حذوة على  
طريق صحيح؟

وفي إطار التجربة التاريخية التي  
تثبت تراجيح الأهمية التسمية للموارد  
الطبيعية في تحقيق، ونمو والتقدم  
لحساب المؤسسات والقيم، يتوز سؤال حر  
عن، أهمية، والمؤسسات والقيم السائدة  
منطقاً العربية بقيادة قاطرة التقدم،  
في ظل الشبح الشديد في الموارد المخفية  
التي تعابيه المخططة، والاحتمالات  
القرينة للظوب المظ والمثار  
هذه بعض أسئلة يشربها المؤلف الذي  
يعمل مستشاراً لصفوف التمد العربي،  
وهو صاحب خبرة كبيرة في الاقتصادات  
العربية وعلاقتها بالاقصاد العالمي  
يشير في رجاهته على بعض التحديثات  
التي تواجها الاقتصاد العربي في المستقبل  
القرين، إلى أن هناك مصلحة كبيرة  
لاقتصاد العربي في الدخول إلى السوق  
العالمية من بوابة الإقليمية، وأن ذلك لن  
يتحقق دفعة واحدة، إنما عبر موجات  
الإقليمية، وفيما يشترح الحوارد المائية  
وموارد الطاقة، يؤكد على أن الأمر يحتاج  
إلى اختراق علمي وتكنولوجيا يستخدم  
الطاقة التجميعية لتلبية الحاجات.

في العديد من تحدي المؤسسات  
والقيم يطالب بإصلاح سياسي شامل، على  
تستعيد المنطقة قدرتها على المبادرة  
والتمشيط مع العصر، وسراية ضار  
الديمقراطية والتحديث لسياسية  
سيرلان أهم العقبات أمام التعاون  
اقتصادي العربي، ويساعد على حسن  
استغلال الموارد المتاحة.

## قصة سقوط بغداد

أحمد منصور  
القاهرة: المكتب المصري الحديث  
٢٠٠٣، ٢٠٠ صفحة



عاش المؤلف، قصة، المدينتين، منذ  
الداية، عاش سقوط الكويت في لحظة  
المعاصرة التي دفعها حاكماً عربياً مستبداً  
لعزوة دولة عربية حارة بإعارة أمريكي  
١٩٩٠، عاش قسوة سقوط بغداد على  
أيدي القوات المسلحة في ٩ أبريل ٢٠٠٣،  
وهي لحظة لا نفل فجيعة سرائيه عن  
سقوط بغداد على يد قوات الموصل قبل  
ذلك ما عير من تماهية قرون  
وما عير السقوطيين عاش سنوات  
الحصار الطويلة في بغداد، ورصد معاناة



الحديثة واحسان معامل الذكاء عن  
الديناميكيون والحيثيات وحضروب  
الصيود

## الحركة القومية العربية بعيون عثمانية

حسن فياض  
ترجمة د. حسن حخر  
بيروت: شركة قيس نشر، ٢٠٠٣، ١٢٢  
صفحة



مدى انصاف الأول من القرن التاسع  
عشر، حين نجح قسطنطين القومية  
في شبه جزيرة البلقان مع الهزال الواضح  
للدولة العثمانية في مواجهة أوروبا  
الاستعمارية في تقوية النزعات  
الانفصالية في إمبراطورية وتطورت  
النزعة العثمانية بوصفها عقيدة فوق  
قومية لوقت تلك النزعات وخلق الانتماء  
إلى الدولة العثمانية

وقد قامت هذه النزعة على ترسيخ  
هوية مستندة إلى الحضاريات، وعلى  
التشبيك بالمشاعر السياسية بين الرعايا  
بصرف النظر عن الانتماء العرقي وسمرو  
شعور الولاء لآل عثمان، وقد ساهمت  
سياسات التطهيرات القائمة على اشاعة  
العلمنة، في إيجاد هوية إسلامية طائفة،  
وخلخلت احتمالات تأسيس الانتماء  
العربي بين المسلمين، الذين كانوا  
يتصورون أوروبا مسيحية وللمسلمة من  
الحركات القومية التي أطلقها مسيحيو  
الدولة العثمانية

وقد تشكل هذا المسمى بشيخ نظام  
دستوري وإعلان ١٨٧٦ وتأسيس  
البرلمان، وشكل هذا البرلمان اعترافاً  
بالمصالح الإقليمية وبالسياسات  
للمنظمات الاجتماعية في الأقاليم  
والولايات، وهو ما رآه السلطان عبد  
الحamid تهميداً، لا مميزات، وسارع إلى  
إجهاض البرلمان الأول، وتحولت سياسته  
القائمة على تأييد النزعة العثمانية إلى  
دفع من إعادة التوطين العثمانية إلى الولاء  
السياسي المطلق للسلطان، وما لبثت  
المرعات العربية والقومية التركية أن نشأت  
خلال الحكم الخليلي للسلطان عبد  
الحamid

تتميل كثيرة من هذا الصراع الذي  
امتد وتشعب وتمايز خطوطه بجمعها  
الكتاب

هذه الأصوات أولاً من اليسار  
الإسرائيلي، انصمت إليها عدد من  
على الأقل أصوات جديدة من باحثين  
وصحفيين صاروا يعرضون بالفرع  
الجديد، وهؤلاء بالرغم من اختلافهم  
الأهداف والوسائل إلا أن ما يجمعهم  
هو اعتراضهم على الأساطير الحديثة  
بدولة إسرائيل، خصوصاً تلك المتعلقة  
بأسباب الخروج الجماعي  
للمسيحيين من بلدانهم، وأن كان ذلك  
بدوافع ذاتية واستجابة لرغبة قياداتهم،  
أو بسبب القهر والتعديت والممارسات  
الوحدانية الإسرائيلية ضدهم، وهو ما  
أثار غضب المؤرخين الفلسطينيين  
ضدهم.

وقد استعاد المؤرخون الجدد من  
إزالة استار السرية من الملفات  
الإسرائيلية الخاصة بالصرار بعد مرور  
ثلاثين عاماً عليها وقتها للناشرون، فقد  
هذه الملفات هي المصادر الأساسية  
للمعلومات التي عمل عليها المؤرخون  
الجديد.

والآن بعد مرور عشر سنوات على نشر  
دراساتهم الأولى، كيف ينظر المؤرخون  
الجدد إلى الجهود المبذولة التي قدموها  
في هذا الإطار؟

هذا هو السؤال الرئيسي الذي  
يحاول الكتاب الإجابة عليه من خلال  
مجموعة من الحوارات والمناقشات  
التي أجراها جوريت الفارزي المحامي  
بحرينية هارتنس عام ١٩٩٧، مع عدد من  
المؤرخين الجدد وأيضا مع عدد من  
مستقديهم

## حكايات عالم عجوز

سمير حسان صادق  
القاهرة: مكتبة الأسرة ٢٠٠٣، ١١  
صفحة

حكايات برويها عالم تخصص في  
علمه الطعم، تشكل حماد السنين التي  
علم فيها أستاذاً بالجامعة، وتذكر حياته  
منذ بداية السبعينيات في تسجيل  
خلطة هذه الرحلة الطويلة في دروب  
العلم وعماجه، فأخرج عدة كتب تحت  
بعضها على المسكر العلمي وتبشر  
بعضها العلم، وأن علم مستعالمات العروبة  
أن تدخل هذا العصر وأن تتجلى بالتعبير  
العلمي في مثل مناهج حياتها، وأن تقاوم  
الذل والهزيمة الذين كان سببا أصيب  
فيما أتت إليه أخوالها.

من غنايات الحكايات، حوار حول  
الأخلاقيات في الطب، في البكتيريا  
والطهور، والعلم الجديد والعلم الردى،  
العلم في البيولوجيا والفلسفة، من هنا  
نبدأ الجذور المكونة للعنف العنصرية

عبد ميلاد لأنه لا يعرف أصدقاء،  
وعمر الوقت والأصحاب يسألون عن فيروز،  
ولكنه ما زال مستحقاً في الدولاب،  
وتعصر الأم القزونة والشمع ويبدأ عبد  
اليلاد، وفيروز ما زال محتسناً، لكن هريدي  
لا يجرعها غياض فيروز فتحت له الباب  
ويكتم حوله الأصدقاء مرحبين بوجوده  
معهم، ويغنى الجميع، سماء حلوة يا ماري،  
ويصرف فيروز أن كان مخلطاً، وأن جلعه  
الشديد أوشك أن يضيع عليه فرصة  
الاحتفال مع الأصدقاء الذين أحبه  
وأحبهم.

وفي الثالثة، فيروز أصبح سعيداً، لا  
يرى فيروز سبباً لسعادة أخته والديه  
واستقبالهم المشرق لليوم الجديد، ويظل  
مكتئباً طول الوقت حتى يأتي صديقه  
مارن ويؤثر الأخوين فيروز وفريدي بأن  
لديه مفاجأة سارة لهما، وحين يدخلها  
معهم إلى بيتهم يكتشفان المفاجأة فقد  
ولدت قطعتة قطعاً صغيرة جميلة، وهنا  
يعرف فيروز أن في الدنيا أشياء كثيرة تبوءت  
على السعادة والفرح

ثلاث قصص مستقلة كل منها  
تدور عن فيروز يرسم بسيطة وكلمات  
قليلة

## خطبة إسرائيل دومينيك إيدال، جوزيف الفارزي

ترجمة سعد الطويل  
القاهرة: دار سطور، ٢٠٠٣، ٣٢٧  
صفحة



في مناسبة العيد الخمسين لتقيام  
دولة إسرائيل، أصدرت وزارة التعليم  
الإسرائيلية كتاب الجويل، وورع الكتاب  
على جميع المدارس في يحتفل التلاميذ  
بالذكرى، ولم يشر الكتاب مطلقاً إلى  
وجود الشعب الفلسطيني لا قبل قيام  
الدولة ولا بعدها، ولا يتحدث عن قرار  
التقسيم الذي أقر قيام دولتين:  
فلسطينية وإسرائيلية عام ١٩٤٧،  
وحيث تناول محادثات السلام فإنه  
يتحدث عن تلك التي جرت بين الدولة  
العربية وكل من مصر والأردن، دون أية  
إشارة إلى اتفاقات أوسلو ومديروها  
محاولات التسعي إلى السلام مع  
الفلسطينيين.

في إسرائيل عدد من الأصوات  
المتعددة التي تدان منذ وقت مبكر  
تدعوا لإزالة الرسمية التي تنكر  
تماماً وجود الشعب الفلسطيني، فتراث

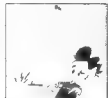
تأولت المستقل في الوطن العربي منذ  
أواسط الثمانينيات إلى تتخمة واحدة،  
مما دعا إلى الوعي بالمتنقل لم يدخل  
بعد إلى الساحة العربية، وهذا الكتاب  
يطلق من أن يجعل قضية الوصي  
بالفلسطين في موضع الاهتمام الفكري  
والعلمي العرسي، فيسبب كثير من  
المواقف خلال السنوات الأخيرة ظهر في  
معصر الأقطار العربية ما يرمع في حياث  
في الأمل بالمتنقل، وهي المظاهرة التي  
التخذت ردود أفعال شتى وصلت إلى حدود  
الهجرة خارج الوطن، أو اللجوء إلى  
الغف والمجنح إلى السليبية، والبالي من  
المشاركة في الاستفصا السياسية  
والاجتماعية والفكرية، وراث قطاعات  
في المجتمع العربي في الانتماسة  
السياسية أدوات لمحصنة تلك الشغلات  
المشروعة

والبيانات التي جعلها الباحث لتكشف  
عدم اهتمام الحكومات العربية بالعلوم  
والأبحاث، وعدم انكشافها بالكثافة والقذرة  
الفكرية، وهي ترى أن العلوم مضمة على  
الثقافة

والكتاب في التحليل الأخير دعوة  
إلى الروح العلمية والتفكير العلمي  
المبجل وتسمية الوصي بالمتنقل لدى  
أجيال الجديدة، عبر سبعة عشر فصلاً  
تستعرض هذه الإشكالية وسبل التعامل  
مها.

## حكايات فيروز

تأليف ورسوم: زهير طاهر  
القاهرة: دار الشرق، ٢٠٠٣



ثلاث حكايات عن فيروز، في الأولى  
تتصف فيروز، يبدو فيروز عجولاً رافضاً  
متصرعاً لا يكمل شيئاً فنيته، فهو في  
الصباح دائماً نصف وجهه ويكامل نصف  
نصفه، وحين يرسم فهو يبتسّم نصف  
أفنديه، حين يرسم فإنه يرسم الأراجور  
دون طرطور، وحين يلعب يختص بالكرة  
جوده دون أن يتبادلها مع رفاقه، وحين  
يدانكر فإنه يدانكر نصف المذاكرة، فتكون  
النتيجة أنه يحصل على نصف الدرجة  
ويأخذ نصف نجمة، وهكذا فإن فيروز  
الذي لا يكمل شيئاً ولا يتقن عمله ليس  
فيروز كاملاً، إن نصف فيروز، أما حين  
يتقن ما يقوم به فإنه يحقق أفضل  
النتائج.

وفي الثانية فيروز في الدولاب، فإن  
فيروز المحجول يختبئ في الدولاب يوم



## كهف الفراشات

المراهيم فرعلى  
القاهرة د , ميوي  
صمحة



بين يوميات الراوي في رحلة  
استحمام بمدينة شرم الشيخ هرباً  
من ذكرى علاقة عاطفية فاشلة.  
ورحلته هي أعماق كيف المراتب بكل  
ما يحتويه من عوالم عجالية تدور  
حول الدواة

تتتابع فصول الرواية بالأسلوبين  
ذكرات الراوي التي ألقى بها بين يدي  
رجل الفراسة مثقلة لمخاضه وحاضره  
يؤيد بها مدعوئيه كمشقفاً لعالم  
جباليس يدهش غير نادم المسجرة  
فردة، والنساء والعينات الثلاث يهيمهن  
مداح لإنهادهم والعشق والفننة والطبق  
اية تجمع بين التفصيل اليومية  
لرواية الحامانية التي تستلهم قرات  
حكى العربي القديم.

من أجواء الرواية:  
أقترننا من الزهرة الواسعة التي  
وسطها فتاة نحيفة شديدة الجمال  
ظلت أيتها بهوارة رغم الفرج الذي يطل  
من عينيها. أترقت لزيومات الكفيف إلى  
فصل حد لها. بدأ، الصمت، يضحك  
بشكل مسيرير. أترقت صمكتها  
رجعياً. حدثت في عيني الفتاة أمامي  
وهؤلاء وقد أترقت لزيومات صمكتها  
الأصوات الأخرى: والاهمون لا مكان  
م في كشم العتاق

زمری بشارۃ القضاۃ والمحاكمة

داد زید می  
شق در قدمی للمشر ۳ ۲ ۲۹۲  
نجه



قبل الوثوق إلى المحاكمة موضوع  
ثاني، يعني الكتاب بالخلعية، بعض من  
الدكتور عزمي بشارة وكتابات في  
هبة الوطنية والقومية والمساواة  
ستقبل اليسار والديمقراطية، ثم

حديث مستقل عن مشاة التجمع الوطني الديمقراطي ودهود

وفي القسم الثاني من الكتاب، حديث  
عمره، في قسميه التاريخية  
والثقافية والسياسية ودرس التي  
المستقبل. ومحاولات لإجابة عن هوية  
عرب، وعلاقتهم بالانفصال العرقي  
في إسرائيل. وفي الحديث في المحكمة،  
يعرض الكاتب لخطبة محكمة الدكتور  
عزري سبار، وحظائره أمام الكنيست  
الإسرائيلي بعد تجريده من المنصب  
لشبهات، مع أخيرا الجزء الثالث الذي  
يتناول دوافع الانتفاضة، لائحة الاتهام  
الإدعاء والشهود والمضامير والمخبرات  
للعامة الإسرائيلية في تشكيل لائحة  
التهمة. وأخيرا ملحق عن حزب الله تحت  
مناوش حزب الله إرهاب أم لا؟

الاستقبال العربي

بيروت: مركز دراسات اوجدة الوطنية  
(سبتمبر ٢٠٠٣)



يبدأ العدد بافتتاحية بعنوان: «إدوارد  
المضكر الرحال... الحشد... والعدد  
قصص من بلاد بخوان: الهند، أمريكا،  
تحتوى على أربع مساهمات، الأولى،  
عن طريق غازي بروس، «حروب جورج  
وويلز»، الثانية، من مركزية الحوف وعوله  
صاحب الدوحة، «الأسطرصر غازوي في  
دخالة الخليفة العثمانية لوش الألى  
المروغ التي يحيط به»، والثالثة كشف  
الدوحة الاستراتيجية والتي بالث  
عن تمام شديد عن الصلحة الاستراتيجية.  
السابعة الثانية لمعوم شومسكي  
ملوان: «الحرب القوقازية أو الجرمية  
طيلة، العراق، العزو الذي سيلازمه  
بار، «الوضع شومسكي في مقلته  
والأ نظرية الحربية القوقازية في نفسها  
مرب التي أدبت في محاكمات لومينغ.  
«ساحة الثالثة، الألى ووتشكاف لومينغ.  
في تقصص أمريكا أبدأها بالفتح  
وتحتوى الدراسة على معلومات  
هائلة عن نتائج استخدام أمريكا  
وإروامو انقشب في أسلحتها، إصاها  
تأثير ذلك في الولايات المتحدة نفسها  
«والتأثير على الكرامة الأمريكية، نفسها  
«الحرب العثمانية، تخلف في رسالة  
يبنى الأحمرة إلى شعب العراق.  
ضمعن هذه الأحمرة الرسالة التي وجهها  
عظيم الكرامة جورج واسون إلى الشعب  
الرافى، بمناسبة تعمد مجلسه.

الانتقالي، وفيها محاولة إستقامة دين  
الاستعمار الذي تعرض له الهنود الحمر  
والاحتلال الذي يتعرض له الشعب  
العراقي. هي العدد أيضاً مقالة لعبد  
الحسين شعيان بعنوان: «المشهد العراقي  
الراهن، الاحتلال ونواصيه في ضوء  
القانون الدولي».

### الدولة المأزومة والعنف الثقافي

بيروت الفرات للنشر، ٢٠٠٢، ١٩٠



بالنسبة لتابعي الشأن العراقي، فإن ما جرى وما زال يجري لم يكن مفاجئاً، ما حدث. كما يشير الكتاب كان نتيجة لجمعية لإحساس عازم بالظلم وغياب العدالة هانى منه العراق. كما تعاني منه المجتمعات الحديثة كافة.

وبالتحريك على الحالة العراقية، التي شابهها، حالات، عربية عديدة، فإن أزمة الدولة تجلت في مظاهر عدة، بينها: استئثار حزب أو طائفة بالحكم واستبعاد الآخرين، وتحول المخربين في هذا الحزب أو تلك الطائفة إلى هيئة تنفعين أو يمتزجين تنظر إلى الدولة نفسها غنيمة أو وسيلة للهيمنة ويسعدون

من ناحية ثانية، فإن الدولة  
تستبدل بالبعيد عنها سوى أن تبقى  
معظم على صعيد مؤلفيها. مستخدمة  
من التناقضات بين القوى المتحكمة  
فيها، والتي غالباً ما تكون هي صانعتها.  
وكثيراً ما تغذي هذه التناقضات، وهي  
تؤدي إجماعاً بقصتها، فإن الدولة  
تستبدل كثيراً ما ترفع شعارات من نوع  
وحدة الوطنية أو المصالحات الداخلية، أو  
تدفع للعالم، وهي تعبر عن ما عليه،  
فإنها سياساتها الفاشلة، فإنها تحيل  
بها إلى مؤامرات خارجية أو مخاوف  
لا جد لها.

هذه الحالة التي تصنع دولة مأزومة  
على أي مستويين، تشجع قسراً مخيفاً من  
مناف الثقافى الذى تقبله الدولة  
منخبول أو النخبة ذاتها فى داخلها  
على يمكن تجاوز الدولة الاستبدادية  
بمعتها فى لإزاحة الحرب الميسطر أو الموعود  
بهيمنة وإحلال أخرى مكانها؟ أم فى  
أفاعة مناخ ديمقراطى حقيقى يضر قوى  
السلطات سياسية وأهلية عبر عن واقع

المؤلف ينحاز إلى التصور الثاني  
يقدم أسانيد من فصول الكتاب.

## أحيط الثقافة

رئيس التحرير: فتحى عبدالمفتاح  
القاهرة المجلس الأعلى للمناهة، ٢٠٠٢.



يتضمن العدد الجديد من هذه  
الجمعية الوطنية تحت عنوان (الحدود/  
والدين والدولة، يضم دراسات للكتور  
فهد السعيد والكتور حسن حنفي  
لجنة عبدالفتاح ومعار على حسن،  
مساحة للحراخ للكتور محمود  
همي حماري، فضلاً عن مقالات  
تتابع الأحداث الثقافية  
وراسات في الفن التشكيلي والسينما  
الأعمال الثقافية، وابداعات  
مميزين وهرس.

شمس والحسد والتأويل

جمعة: محمود علي عيسى  
دار البيضاء: أفريقيا الشرق، ٢٠٠٣،  
١٩ صفحة



يتجاوز الكتاب الافتتاح بالوثائق  
في قام عليها النقد الأدبي لفترة  
بنيوية، وانصرافاً إلى التحليل الوصفي  
وتاريخي والاجتماعي للنص، وهو ما  
دفع نحو انكفاء وطبعاته دوراً رئيسياً  
العملية النقدية، كما أنه يتجاوز  
تحليل الأيديولوجي والمبني الذي  
دعاهما بعد، منحرفاً إلى ما بات يعرف  
بالنقد العرشي، ذلك الذي يحول وثاقته  
استمراراً إلى معييرات ويصمها دوماً  
ضمناً.

وهو يقدم أسانيد غير ستة فصول  
بد تأويل وقراءة نظريات النقد الأدبي  
التيمة والمعاصرة، من القاضي  
الجبار والعسكري إلى تودورف واينو



الخاسر في حرب تكريت وإغراق الأسطول الأمريكي في نهر فاو الذي يعد واحدة من أكبر المراكب التي أبحر الأمريكي عسكرياً وصحائرياً ثم يتحدث عن الوسائل "المتكبرة" التي استخدمها الماسون للمضي على الأمريكيين وباعثها بريطانيا بصرح صراحة كبيرة لدور المخابرات البريطانية ويختار معركة جسر كولاند نموذجاً لتلك وتشير إلى أن بريطانيا حاصت صراعاً على الحزب عام ١٩١٤ ثم عدت عام ١٩٨٢ لتخوض صراعاً آخر لاستعادة سيطرتها على الجزر التي كانت القوات المسلحة لأرجنتينية قد سيطرت عليها واعتزلها أرضاً أرجنتينية ويتحدث المؤلف عن خطابه وإقمت في الحرب الأولى من جانب المخابرات البريطانية ويقدم تشبيهاً موسوعياً لحملات بلاده

**Madam Secretary  
A Memoir  
(السيدة وزيرة الخارجية... مذكرات)  
Madeleine Albright  
Macmillan, 2003. 562PP. £20.00**



اختت مادلين أوبرايت رقم ٦٤ في قائمة وزراء الخارجية ما لولايات المتحدة لكنها كانت السيدة الأولى التي تولت هذا المنصب. وهو تفرع كميل بأن ينجح في مكان في التاريخ الأمريكي. تعرف المؤلفة من كتابها الذي تناول سيرة حياتها. انه مع هتل وواجهها وكانت في سن الخامسة والاربعين لم تكن لتصور انها يمكن ان تصبح شيئاً ما ذا قيمة. هرعن الثغرات المتيرة في حياتها. وفي النهاية تعتبر نفسها مثل سيدات بلاز. وان كل ذلك لم يكن ينمط على ما كانها سوف تصل إلى ما وصلت إليه بعد ذلك. ولدت مادلين في براج وهي الابنة الكبرى لاجورج كوبريل ويوجنه. وان حتى توليها منصب وزير الخارجية في عهد الرئيس الأمريكي بيل كلينتون لم تكن تعرف أن والدتها يهوداني. وقصت القصة سنوات الحرب العالمية الثانية في إنجلترا ثم عادت إلى تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٤٥. ثم كاس عليها ان تهرب من اسرتها مجدداً بعد استيلاء الشيوعيين على الحكم عام ١٩٤٨. هدد الروس توجيهات الاسرة إلى امريكا وحصل اقرباها على اللجوء الأمريكي وعزز من ذلك ان الوالد كان دبلوماسياً بارزاً متحسناً للشيوعيين. ويبدأ مادلين حياتها في امريكا كانت

صدام إنه ضل استراتيجياً لكنه عثرى في النهاية وهو يعتقد انه بعد سقوط صدام حل صدام تخفى في رى بدوى عربي وأطلق ليعته وعاش كطريد بين قبائل الصحراء شمال غرب بغداد. وهو يكشف عن ان صدام نزل بنفسه إلى الشوارع وأطلق صابرة (أر بي جي، على الدبابات الأمريكية التي كانت في طريقها إلى بغداد قبل ان يهرب. والكتاب مليء بالتفاصيل عن مغامرات سيمون وبجائه وفشله وعلى سبيل المثال كيف يحكي بشكل تفصيلي روما يشير إلى محاولة الحصول على تأثيره دخول إلى بغداد والظروف المعاكسة التي واجهته لكن الكتاب في المحصلة النهائية شهادة مراسل محصور عن أحداث الغزو الأمريكي للعراق

**Intelligence in War: Knowledge of the Enemy from Napoleon to Al-Qaeda**

**منذ نابليون وحتى القاعدة: معرفة العدو  
John Keegan  
Hutchinson, 2003. 443PP.  
£25.00**



هدف مؤلف هذا الكتاب طموح للغاية فهو يتناول دور المخابرات في الحروب منذ حروب نابليون في نهاية القرن الثامن عشر بداية القرن التاسع عشر في أوروبا وفي مصر والامام وحتى وقتنا الحاضر إلى الحرب على الإرهاب التي اجعلتنا الولايات المتحدة ضد عديد من الجماعات المتطرفة وفي مقدمتها منظمة القاعدة ويشير المؤلف إلى أن المخابرات لا تكون تحقيق النصر بالضرورة ويتحدث الكتاب عن عديد من الحروب وعلاقتها بالمخابرات بها ويبدأ بالحرب الفرنسية البريطانية في البداية الساحل الحمرى والتي سميها جليسون على النيل حيثما أعرق القائد البريطاني الشهير سافى الأسطول الفرنسي في البحر المتوسط ليحرم الحملة الفرنسية عن مصر من مدح حرجى لا يمكن توبيخه. ويقول إن العامل الإنساني مهم للغاية بل إنه يشير إلى انه رغم التقدم التكنولوجي الهائل في مجال المخابرات إلا أن الوسائل البشرية البسيطة لا تزال ضرورية للغاية. ويتناول المؤلف دور

وفي رحلته لأفريقيا سمي نفسه إبراهيم عبد الله ثم تحول إلى الإسلام. وعندما لم يستطع أن ينقطع عن أعماق إفريقيا عاش في القاهرة ومات فيها ودفن في مقابر المسلمين.

**The Wars Against Saddam.. Taking the Hard Road to Baghdad**

**(الحروب ضد صدام.. الطريق الصعب إلى بغداد)  
John Simpson  
Macmillan 2003. 415PP. £20.00**



يعد جون سيمون محرر الشؤون الخارجية لهجنة الإذاعة البريطانية أحد أبرز الصحفيين الغربيين الذين قاموا بتغطية أحداث الشرق الأوسط وخاصة إيران والعراق وهو يتمتع شهرة واسعة نظراً لقدرته الكبيرة على تتبع الأحداث بحيادية وجرة وإقترار وعندما غشي سيمون الحرب الأمريكية الأخيرة على العراق فإنه كان يغطي الحرب الرابعة والثلاثين في عمره الصحفي الذي سدا في أوائل السبعينيات والكتاب الجديد الذي أصدره سيمون هو أشبه بمذكرات مراسل حربي عن العراق التي تعرض فيها سيمون لثأكل عديدة وأخطار كان أحدها أن يودي بحياته. وكان من المفترض باعتباره محرر الشؤون الخارجية لهجنة الإذاعة البريطانية أن يكون موقع سيمون لتغطية الحرب الأخيرة في بغداد لكن السلطات العراقية بقيادة صدام حسين رفضت أن تمنحه تأشيرة دخول ولذلك ذهب إلى شمال العراق حيث سيمون للأكراد لكي يغطي الحرب التي كانت أحداثها تشعب في الجنوب وكان نجم التغطية لهجنة الإذاعة البريطانية راجع عصر المراسل الذي يعمل تحت رئاسة سيمون لكن نجاح عمله في التواجد في بغداد في تلك الفترة الحاسمة. لقد غشي سيمون أحداث العراق خلال قرن فمع الحرب العراقية الإيرانية العراقية حيث أصعب في شهور في بغداد ثم غشي ضعف صدام لقربة حلبجة الكروية بالغاز ومصرع وإصابة عشرات الآلاف من جراء ذلك. ويقول المؤلف من

**The gates of Africa Death, Discovery**

**(بوابات أفريقيا)  
Anthony Sattin  
Harpercollins, 2003. 382PP.  
£25.00**



الاعتقاد السائد هو أن الأوروبيين بدأوا في استكشاف أفريقيا لإغارة عليها في القرن التاسع عشر. لكن الحقيقة تشير إلى أن معاصرين أوروبيين وغربيين وصلوا إلى القرن قبل ذلك بقرن على الأقل وهذا الكتاب يتحدث عن هؤلاء الأشخاص الذين انتهت حياة البعض منهم بشكل مأساوي إن الاستكشاف على مدى التاريخ مرتبط بالعربية في التوسع والسيطرة التجارية حتى السياسية وريادة الشؤون الدينية أو إخضاع هؤلاء الغزاة لأهداف المستكشفين. لكن المؤلف يقول إن المعاصرين الأوروبيين الأوائل في إفريقيا كانوا مدعومين بأفريقية في الوصول إلى هناك وحب المعرفة ويشير إلى أنه عندما سئل أحد المعاصرين لماذا تذهب في تسلك لفة جبل إيفرست رد قائلاً: ببساطة لأنه هناك إذن فإن الفضول الثقافي والرغبة في المعرفة الجغرافية والعلمية والطموح الشخصي الذي تعشش للشهرة كلها أسباب دفعت هؤلاء المعاصرين إلى الانخراط نحو القارة السوداء وعلى سبيل المثال يورد المؤلف قصة جون ليدارد الأمريكي الذي ولد عام ١٧٩١ في كونيتيكت وفتح روستة للماشون والاطلاق والنجار إلى لندن ليتحقق باتفاق كوت الرحالة البريطاني وليشه لحظة اغتياله لم يتوجه ليدارد إلى روسيا لكي يتكشف طريقاً إلى الاسكا وعندما يقبل يعود إلى إنجلترا حيث تقوم الرابطة الأفريقية في بريطانيا بتوثيقه لكي يعمل على استكشاف طريق من الهند إلى النيجر لكن لا ينفع ثم يموت في القاهرة مسعوماً ولم يتجاوز ٣٨ عاماً. نموذج آخر للمغامرين هو الألباني فرديريك هورمان الذي تخفى عام ١٨٠٠ في ركن قلبي وذهب لتسجيع الصحراء الأفريقية على أمل الوصول إلى النيجر وهناك د نيل هوتون الذي كان يتاجر في العبيد والأسلحة. ثم جان لويس جورجيات الاسترقاق السودي الذي اكتشف البترول وأوسمبل وكان يتحدث اللغة العربية بطلاقة وتزياً بالزى العربي



A.  $\frac{1}{2} \sqrt{2}$



National Service

Richard Eyre  
Bloomsbury, 440PP, 2003,  
£18.99



يتناول هذا الكتاب يوميات المؤلف الذي عمل مديراً للمسرح القومي الإنجليزي في الفترة من 1997-1998. وإذا كان الإنجليزي يشتهرون بشيء حتى الآن من تراثهم العريق فإن المسرح القومي يأتي بالطبع في المقدمة. وهو ظاهرة نكاد نكتون فريدة في عالم غلب عليه القناع الخاص الذي امتد إلى كل شيء تقريباً.

وخلال الكتاب يحاول المؤلف أن يرد على أسئلة عديدة تتبادر لأذهان حول دور المسرح القومي في عالم اليوم. وهو من خلال الموقع الذي تشغله والأعمال التي كان يقوم بها يستطيع أن يعطي إجابات مقنعة لتلك الأسئلة. وبالإضافة إلى عمله في الإخراج واختيار المسرحيات فإن المؤلف تعين عليه أن يوازن بشكل مستمر بين ميزانيتي المسرحيات ويعالج مشاكل عديدة إيزرفسها نصم إنتاج بعض المسرحيات والإشراف على ما يتخذ على 800 موظف.

ولكونه شغل وظيفة عامة فإن ريشته أير لديه ملاحظات جديرة بالتسجيل حول السياسات العامة ومدى تدخلها في شؤون المسرح. وعلى سبيل المثال ما هو تأثير الحزبين الكبريين في بريطانيا.. العمال والحفاظون على النشاط الفني.

في يتناول المؤلف قضية المسرح والملكية فيبحث عن محاولات تشخيص المشكلة إليزابيث المترو على المسرح وفضي بعض الناس لذلك.

كما أنه يكتسب من الملاحظات التي كانت تبديها من حين لآخر الأهمية الرائجة مارجرست شقيقة الملكة والواقف الطريفة التي كانت تبهرها هذه الأهمية.

وبالتأكيد لا يترك المؤلف صغيرة أو كبيرة تحدث خلال إدارته للمسرح القومي في إنجلترا ولا يذكروا سواء كانت تتعلق بالمثنيين أو الكتاب أو المخرجين وحتى المواطنين.

Memoirs

Douglas Hurd  
Little, Brown, 534PP, 2003, £ 20



يعد دوجلاس هيرد (لورد هيرد حالياً) واحداً من أشهر وزراء الخارجية في بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية.

وكان كثيرون يعتقدون أنه ولد ليكون وزيراً للخارجية رغم أنه شغل مناصب عديدة في حكومات المحافظين تحت رانسمب مارجرست تاثير قبل أن يتقلد هذا المنصب في نهاية عهدها ثم في عهد جون ميجور.

وقد اطرى النقاد البريطانيون أسلوب كتابة هيرد والبذرة غير العادية على توضيح الفكره بشكل أدبي جذاب.

لقد كان هيرد وزيراً لشئون أيرلندا الشمالية ولعب دوراً مهماً في توقيع الاتفاق الإنكليزي الأيرلندي عام 1998 والذي كان خطوة أساسية تجاه التوصل إلى اتفاق الجمعة الطيبة بعد ذلك ١٣ عاماً.

ثم لعب أيضاً بفضل علاقته الممتازة مع دول الخليج العربي دوراً كبيراً في جهود الدولة لإخراج صدام حسين من العراق.

إلا أن أهم القضايا التي سبذكرها التاريخ ليهره هي الحرب في البوسنة وهي القضية التي تردد هيرد فيها كثيراً ووقع بالحاجة تلو الأخرى لرفض التدخل العسكري الأوروبي في وقت كان الصرب يمارسون فيه التطهير العرقي ضد المسلمين. وقد تعرض هيرد لانتقادات عديدة (الأمريكيون على سبيل المثال) لهذا الموقف.

وبالطبع فإن هيرد ليس غريباً أو شريراً لكن يجب عند هذا الحد نضع تعرضه للدمار والفضاء إلا أن جنود تجربته وثقافته كان لها التأثير الكبير في موقفه هذا فهو مسيحي محافظ لديه رؤية متشددة بشأن كمال الإنسان ومدى أخلاقية أن ترسل قوات لكي تقتال وتقتل آخرين بدون سبب معقول في رأيي.

لكن هل الأخلاق تسمح بشأن يظل العالم يشاهد عمليات القتل تجري ضد فئة معينة في البوسنة دون تدخل.

وهل كان من الأخلاق استمرار تزويد الصرب بالسلاح في وقت يواصلون فيه القتل والتطهير العرقي؟

(مذكرات)

قرب ويشكل علمي على هذه الظاهرة وأسبابها الخلفية ومدى انتشارها في المجتمع المصري خاصة الريف ومدى تأثير ذلك على الأبناء نفسياً واجتماعياً وثقافياً، ودور المعتقد الديني في تعدد الزوجات.

The Sahara Desert: From the Pyramids of Egypt to the Mauntains of Morocco

(الصحراء: من أهرامات مصر إلى جبال المغرب)  
Paolo Novaresio & Gianni Guadalupi  
Cairo-Auc Press, 2003, L.E 240



وتحدث هذا الكتاب عن مساحة شاسعة لا نهائية معظمها بكر لم تتسها يد الإنسان وجدها الطبيعة مارست فيها أفعالها فظهرت الأشكال والألوان والضوء والجمال اللامتناهي.

إنها الصحراء الممتدة من مصر حتى جبال المغرب. سار فيها العرب منذ آلاف السنين ويدا الأوروبيون في استكشافها في القرن التاسع عشر.

ومن خلال وصف عميق، تخرج لنا الصحراء من خلال هذا الكتاب كأنها عملاقاً متعدد الأشكال والجوانب... ساحراً وجذاباً.

وهو. أي الكتاب، يحتوى على مجموعة فائقة من الصور المذهلة من الطبيعة المصنعة والتشعبة في أقصى صورها من رمال وجبال وسماوات. ويعطي المؤلفان صورة عن الحياة اليومية في تلك المنطقة قبل 8 آلاف عام عندما كانت أراضيها خصبة ومأهولة بالحيوانات والزراف ثم سكنها البشر الذين قدموا من الأراضي الواقعة على نهر النيل وكان معلمهم الرئيسي هو تربية الأغنام.

الآن تغير المكان تماماً فقد حلت الرمال والصحراء وجفت الأنهار وأصبحت الصحراء فائقة الجمال تقريباً بالنسبة للبشر استأذوا بعض الوحات. إن الكتاب يستكشف الصحراء من المحيط الأطلسي حتى البحر الأحمر كاشفاً عن المناظر المتنوعة فيها فهناك الحد والواحات والناس مثل البدو والبربر والطواقي وغيرهم.

المصور وهو لؤلؤة تعمل مصورة مقببة في مصر يركز على التقاليد الدينية والحياة الاجتماعية للناس المعادين من الأقباط كاشفاً عن جوانب غير معروفة كثير للقرآن الغربي خاصة على الصعيد الديني لاجتماع مسيحي يعاين كلوساً وفيها مختلفة عن العالم الغربي.

ويتنقسم الكتاب إلى سبعة فصول يبدأ كل منها بمقدمة قصيرة تعمل خلفية عن العادات والتقاليد والمعتقدات التي تظهر بشكل حيوي في الصور التي تلى هذه المقدمة.

وتقول المؤلفات أن الناس في مصر يحيون أن يظهروا ممارساتهم الدينية، فحتى كل محل تجاري أو محل صبر أو حتى محل للكر أو الأسواق التجارية الأخرى والتي يديرها الأقباط تظهر على الجدران والأيقونات القرطبية ولباتينية لتشرية الصورة من الأقباط فإن منهم يمثل جزءاً كبيراً جداً من حياتهم وهذا ينكس على سبيل المثال في الحضور الكبير والماعطس لعمودا والمسابات الدينية التي تجذب الألاف.

إن المؤلف من الفضل الأمثلة على إظهار مدى ارتباط الحياة الاجتماعية بالحياة الدينية وكيف أن الإخلاص للدين يجلب المنفعة والسعادة.

Polygyny in Rural Egypt  
(تعدد الزوجات في ريف مصر)  
Laila S. Shabd  
Cairo-Auc Press, 2003, L.E 15



تسعى هذه الدراسة إلى تقديم حزمة من الأسباب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية لتعدد الزوجات في الريف المصري.

وهي تستكشف بشكل خاص طبيعة العلاقات بين الرجل والمرأة في هذه الطائفة.

وما إذا كانت انكساراً لأسباب اقتصادية واجتماعية وما إذا كانت عرضة للتغيير مع تحريك كل من الرجل والمرأة لأهدافهما الشخصية من هذا الزواج. والكتاب جزء من مشروع لإخضاع الظواهر الاجتماعية في مصر للدراسة. تقوم الدراسة التي تضمها دفقا الكتاب بالتعرف على المؤثرات الاقتصادية والمالية والمكانية في تعدد الزوجات. إن هناك حاجة ملحة لتقصير عن



## لا ساميون .. لماذا؟

إسرائيل في الموضوع الفلسطيني. فتلك السياسات، تُخرج مشاعر اللاسامية من أرواحها العميقة.

ورغم أن الكاتب الإسرائيلي.. ولربما لنفسه من تهمة التبرير سابقة التجهيز.. حرص على أن يوضح رأيه أن: ليس كل مظهر لاسامي هو نتيجة تصرف إسرائيلي في الموضوع الفلسطيني، إلا أنه أراد في الوقت ذاته للإسرائيليين أن يدركوا أن: ليس كل انتقاد لسياسات إسرائيلية هو بمثابة لاسامية، وأن يعرفوا، أو أن يعرف سياساتهم أن التقارير والعصور من قتل النساء والأطفال، في المناطق، والفقر والجوع في مخيمات اللاجئين وتجريف الأراضي وشجار الزيتون... هذه كلها تحول إلى وقود في محرقات اللاسامية، موضحاً، وهو هنا يعكس تياراً متصاعداً، وسط المثقفين اليهود في الخارج. أن إسرائيل تحولت بأفعالها إلى مشكلة لليهود في العالم أجمع مستخلصاً أنه، على إسرائيل أن تغير سياستها حتى لا تلعب لصالح اللاساميين.. عليها على الأقل، ألا تبدو مثلية بهذا الوضوح.

ويستمر بالتأثير سلبي في «الرائس» أن الأمور وصلت إلى حد الخطر بارتفاع الأصوات الغريبة التي تنشئ حق إسرائيل أصلاً بالوجود... ويتساءل، «ما كنا ننتبه إلى أن سنس الإسرائيليين (١٧) يعتقدون أن إسرائيل يجب أن لا تواصل وجودها كدولة شرق أوسطية، ويعتقد شلح أن يتوجب على إسرائيل أن لا تقف نفسها من سؤال ذاتها، لماذا حدث عملية ذرع الترسية هذه من إسرائيل الآن بالذات؟ يبدو أن السبب يكمن في حقيقة أن السنوات الأخيرة لم تكن مجرد جولة أخرى في الصراع وإنما مرحلة أضاف فيها الشعور بأن هذا الصراع غير قابل للحل فعلاً. إذ كان هذا هو الوضع فقد تحولت المستوطنة اليهودية في قلب الشرق الأوسط إلى خطر على كيان دولة إسرائيل».

المعهد الأكاديمية الإسرائيلية لم تنهت بعداً. إذ يشير تقريره أحد معاهد جامعة تل أبيب إلى أن السبب في تصاعد اللاسامية يكمن في التقارب بين إسرائيل وسياستها وبين اليهود في أنحاء العالم من جهة، وبين العداء للصهيونية وللإسامية من جهة أخرى.

ويستمر التقرير أن التقارب بين إسرائيل والولايات المتحدة جعلت من الذين عارضوا العولمة والحرب ضد العراق يصيرون مشاعرهم المناوئة أميركياً في عمليات مناوئة لإسرائيل.. إن الشعور بأن الولايات المتحدة تشترك بتوجيه المسالح الإسرائيلية وكان اليهود يسبقون على الإدارة الأميركية جعل من المولتان تشكلا «محور شرس مقابل، محور التبرير» الذي رسخته الولايات المتحدة.

هل تجد هذه الأصوات ذاتها صاغية في إسرائيل؟ لألس لا. أو هي أفضل الأحوال ليس بالقدر الكافي. فإزايه إعداد يكتب في: «يبدو أن أحرارون، وليس في غيرها، معتبراً أن مشكلة إسرائيل ليست في أنها احتلت أراضي، ضلكتها أصلاً، في حرب الأيام الستة. فالتاريخ لم يبدأ في الخامس من حزيران. إن التحدي الحقيقي أمامنا يقول الكاتب الإسرائيلي، ليس أن نصدق هؤلاء الداعمين للإحتلال، وإنما كيف نستعمل احتلال الأرض كلها، حتى تمنح الأرض كلها للشعب اليهودي، لأنها ملكة، وليست ملكاً لأي شعب آخر في العالم».

أما لو استبدلت رؤية المثقفين في إسرائيل فستعتبر أن اللاسامية لم تزدهر في أوروبا إلا لأن الأوروبيين يحسدون، إسرائيل لتكونوا دولة قوية وتكنولوجيا عظيمة!!



أيما ما كان أمر «جدار اللطم» هذا، فالثابت أن قديماً كان المقصود باللاسامة، شخصاً يكره اليهود. أما اليوم وفي زمن «الإرهاب الفكري» فقد أصبحت الكلمة/ المصطلح، إسرائيلياً، تعني أي شخص يكرهه اليهود. ولا أدنى أن كان يمكن لهم أن يصوموا.. بالتهمة ذاتها.. يهودياً ياراً مثل أرثوذكس صاحب، بعد السقوط، التي مجتذبة المحرفة لأنه عندما منحوه «جائزة القدس» سجل كلمة قال فيها: «أنا قمع الفلسطينيين ولاستعملت في الضفة الغربية خيالة قتل الإجماع والاحتلال» مضيفاً «أن ما بقي من الحلم في مجتمع قديم مسالم في ١٩٤٨ هو الضد تماماً، مجتمع مسلح يائس على خلاف مع جيرانه والعالم».

أين الخطأ؟

### أيمن الصياد

#### أين الخطأ؟ What Went Wrong

هكذا صاغ برنارد لويس (اليهودي المخضرم، في عنوان كتابه المثير للجدل والذي صدر قبل أشهر، ليعط بعد أن يصف ويحدد، من زاوية رؤيته بالتحديد، ممكن المشكلة، أو: الخطأ. كما اختار أن يسميه، في عائلته الإسلامية والثقافة السائدة فيه، طارحاً من الأمام ما تم تبليبه في نهاية المطاف، هنا وهناك، من كثير من راسمي السياسات، وصانعي الاتجاهات.

السؤال ذاته، أو كان هذه المرة بالكتاب ولا ناشر، ولا مروجين للاستنتاجات هنا وهناك، أصبح، وإن على استحياء، ومع اختلاف جديري، في الموضوع، مادة لكتابات عدد من المفكرين والأكاديميين اليهود، خاصة خارج إسرائيل. والذين بقوا يسانفون، علناً، عن «الخطأ» الذي أدى إلى تعاطف غير مبني في مشاعر اللاسامية، في أوروبا. إلى درجة دفعت بها حاكم فرنسا الأكبر إلى مطالبة اليهود الفرنسيين -

للمرة الأولى ربما منذ زمن نصف قرن، إلى التخلي عن «القلنسوة» التقليدية كخطاء للراس، حتى لا يكونوا هدفاً لاعتداءات مستعمدة، وهو الأمر الذي تجلب فعلاً، وفي أكثر صوره حدة، حتى الآن على الأقل، في تجسيرات استنبول الأخيرة.

ورغم حقيقة أن ليس كل ما يوصف باللاسامية هو فعلاً كذلك. بعد أن بات «الانتهاء» هو سلاح، والإرهاب الفكري، المفضل لإخافة كل من يتجرأ على انتقاد المعايير الإسرائيلية. أو يفكر بشكل مستقل، وإن في إطار أكاديمي، في إعادة النظر بطروحات إسرائيلية قديمة، إلا أن الراصد للمزاج العام في أوروبا، وربما في العالم أجمع، لا بد أن يلاحظ نمواً مطرداً لمشاعر العداء لليهود، خاصة بعد أن نجحت الحركة الصهيونية في إيجاد حالة من التماهي بين «الدولة والديانة». فبات اتباع الديانة مطالبون، على الأقل في وعي العامة، بدفع ثمن حماية «الدولة».

وتشير الأرقام إلى أن الستينين الأخيرتين (٢٠٠٢ - ٢٠٠٣) سجلتا رقماً قياسياً بمظاهر اللاسامية عبر أعمال العنف في جميع أنحاء العالم. حيث سجلت ٣١١ عملية عنف استهدفت مواطنين أو مؤسسات يهودية. كمسا تخفيري أيضاً الخريطة التقليدية لعائل اللاسامية في أوروبا، وأصبحت فرنسا وإنجلترا وبريطانيا في صدارة اللانحة.



#### أين الخطأ؟

موجة العداء لليهود حتى قبل تجسيرات استنبول دفعت بالسؤال إلى عناوين المقالات ومدار النقاش في الصحف والحلقات اليهودية التي شرعت بالنقل.

تولى جوت، الكاتب والجامعي الأمريكي (يهودي) قصب في إجابته إلى حد آثار ضده ضربة ربما لم يكن يتوقعها. حين قال في «نيويورك ريفيو أوف بوكس» أن إسرائيل باتت دولة تنموي على مفارقة تاريخية *achronistic* وأنها تبدو بصفتها «المتعصبة» تلك وكأنها «خارج الزمان» والواضح حتى الآن أن المقال ربما نجح في إثارة حجر في بركة أفكار راكدة. صمرا يعود إلى أفكار هيرتزل الأولى قبل حوالي قرن من الزمان.



ربما اتفهم تماماً شعور إبراهيم تيروش (اليهودي) عندما كان ضمن وفد سياحي في زيارة تشخف أكراني قبل سنوات، وأمام صورة ضخمة ليوحنا حبلتسكي، زعيم ترميز القوزاق الذي يقال أنه ذبح اليهود، حين فاجأته المرحمة السياحية التي لم تكن تعرف أنباء يهود إسرائيليين بقولها: «أرون هذا الشخص» لقد عرف قبل منظر ما الذي يجب فعله مع اليهود.. لا ينسى تيروش (الكاتب في «معايير») هذه العبارة أبداً، ولكنه يعترف في مقاله على أيامه أنه، ورغم أن لاسامية جذوراً عميقة في أوروبا، ورغم عدم تولد أسمى، إلا أن سميتها الحالية - كما يقول الكاتب الإسرائيلي، تشتت ولا تشك من الأحداث في الشرق الأوسط. ومن سياسة



## كيف تبدأ حديثك مع الآخرين وتكسب أصدقاء

هذا الكتاب من تأليف د. غابور دون غابور وهو من أشهر علماء الاجتماع في العالم. الكتاب يتحدث عن كيفية بناء علاقات جيدة مع الآخرين وكيفية التغلب على الخجل والقلق الاجتماعي. الكتاب هو جزء من سلسلة "كيف تبدأ حديثك مع الآخرين" التي تصدرها دار النشر.

في كل صفحة

## كيف تبدأ حديثك مع الآخرين وتكسب أصدقاء تأليف دُنْ غَابُور Don Gabor

الجديد هو الطريقة الرئيسية التي تمكنت من نقل أفكارك وآرائك وأحاسيسك وشعورك إلى الناس الذين تقابلهم وهو الوسيلة الأساسية التي تعتمد عليها لبناء الصداقات وتوطيد العلاقات. فإنت عندما تعني «فائدة الحوار» تعني السبيل إلى أي حوار ومتابعته مشكلة حقيقية. يبين الكتاب كيفية فتح «فائدة حوار» وضبط إرسالياتها إلى من تتقني بهم. كما يقدم طرقاً مقترحة لشككت من تطوير مهاراتك من خلال حالات هي من صميم الواقع إنها طرق التي تستطيع أن تتدرب عليها وأن تتقنها على نحو يتسجم مع أسلوب حياتك وبلغاها بناسيت. سيتعلم المذرون الفصل من لغة العمل والحطاب الاجتماعي. ويتعلم الآباء والأمهات التفاعل مع أولادهم وفراد أسرهم. يقدم هذا الكتاب طرق تساعد في توجيه الحديث والتحكم به في ظروف شتى.

• ثمن النسخة بالبالاف 57,70

## أسطورة الكسل

تأليف الدكتور الطبيب مل ليفين  
Mel Levine, M.D.

عندما نُقلِّقُ هبةً الكسل على شخص ما، فإننا بذلك نُصَدِّقُ حكمًا قديمًا به إسمًا. الكسل ليس أكثر من أسطورة — ومن هنا جاء عنوان هذا الكتاب. فكل إنسان يتوق إلى أن يكون منتجًا، ويفضل كل طفل أن ينتج و أجياله المراسية، وأن يبال الشاء على جودته كما يريد كل إنسان بالغ تقديم مردود يستحق عليه الترفع أو زيادة الأجر. ويدخل كل ذلك في إطار السعي الطبيعي نحو التميز ورضى النفس، وهما دافع أساسي قوتي. فإذا كان مردود شخص ما منخفضًا جدًا، علينا ألا نلومه أو ندينه، بل علينا أن نبحث عن السبب الذي دمر مردود هذا الإنسان وإعاق ميله الفطري الطبيعي للإنتاج. «لغة شتيل ثبات» تمكنتنا من مساعدة الأطفال والبالغين الذين يعانون من قصور المردود — لا بل نستطيع أن نحول دون حدوثه. ولكني لكونم فخرًا من ما تمكنتنا ذلك، علينا أن نفهم ما ينبغي أن يصعب به إنسان ما كي يكون منتجًا، وأن نتعرف على نقاط الضعف التي تعترض مسار كثير من الناس.

• ثمن النسخة المجلدة \$11.30 • ثمن النسخة بالبالاف 58,70

## أسطورة الكسل



## وهم التحكم

تأليف سيوم براون  
Syom Brown

إن الهيمنة العسكرية الراهنة تطوري على خطر إغراء أمريكا ودفعها إلى الاعتقاد أن القوة قادرة على حل طيف من مشكلات السياسة الخارجية. يتبع باطرد. يقدم مؤلف الكتاب وصفًا لقادة العسكرية الأمريكية ويشرح أسباب لبقادة استخدام القوة مركزيا في إدارة الولايات المتحدة للسياسة الخارجية. ويقلق الضوء على الأسباب التي تروم الولايات المتحدة التحمي بالحكمة وضبط النفس عند استخدام قوتها القوية. إن هذا التحليل الشوازن جذير أن يقرأه المواطن العادي والباحث وصانع القرار السياسي قراءة متأنية وبخاصة أولئك الذين يمسكون بزمام القوة العسكرية الأمريكية المنشطرة في اصقاع الأرض.

• ثمن النسخة بالبالاف 58,30

## الخروج من الزماد



اسرائيل وفلسطين، الخروج من الزماد البحث عن هوية يهودية في القرن 21 تأليف مارك هـ إليس Marc H. Ellis فيما يرثب العالم برعب الأحداث الجارية في فلسطين وإسرائيل؛ يدرس مارك هـ إليس، الباحث الأمريكي اليهودي، ما يرى أنه أزمة في الهوية اليهودية. ففي هذا الكتاب يقدم رؤية عن الهوية اليهودية على حياة أخلاقية في حقيقتنا، ومن خلال معالجة الطريقة التي قوضت بها دولة عسكرية هذه المبادئ الأصيلة ومؤسسات يهودية متعاونة في أمريكا، يقول، هل يمكن أن يكون هناك أمل ومستقبل، فلي تطلعنا إلى ما وراء ميراث الهولوكوست وتصوير اليهود كضحايا أو جلادين، يصوغ إليس رؤية جديدة لما يعنيه أن تكون يهوديا اليوم.

• ثمن النسخة بالبالاف 58,70

## العولة والفقراء

تأليف : جي. آر. ماندل  
Jay R. Mandle

يحاول هذا الكتاب أن ينفذ العولة من أولئك الذين ينتقلون لها ويعارضونها بقوة، ومن انصارها الذين ينادون بها ويدافعون عنها. والطرح الذي يعرضه المؤلف يشير إلى أن العولة تتوافق مع النمو الاقتصادي الذي يراود ضروريا لتخفيف حدة الفقر. ومن هذا المنطلق ينبغي تشجيع العولة. وفي الوقت نفسه يجب على الحكومات، كما يقول المؤلف، أن تبني سياسات تنظر في حاجات الذين يقعون ضحية فقدان العمل بسبب العولة. لهذا يمكن القول إن الكتاب، في رده على خصوم العولة، يؤكد على الإمكانات الكامنة فيها لتخفيف حدة الفقر، لكنه يوجه انتقاد إلى المدافعين عن العولة، الذين لا يقررون بالتكاليف التي تفرضا هذه العملية على الضحايا الأبرياء..

• ثمن النسخة بالبالاف 57,5

## العولة والفقراء



## شركة الحوار الثقافي

بيروت، ص.ب. 6750 - 13 لبنان

هاتف: 1-802444 +961 • فاكس: 1-790718 +961

E-mail: info@interculturalbooks.com • http://www.interculturalbooks.com

تسلك كتب شركة الحوار الثقافي في جميع البلاد العربية من دار الحوار للنشر والتوزيع - بيروت - لبنان

كما تسلك في الدول التالية من:

مصر : دار العلوم - القاهرة، هاتف: 5751400 وفي المملكة العربية السعودية من: دار الوراق ومن مكتبة جريب في جميع فروعها، وفي الكويت من: مكتبة جريب ومن: الشركة المتحدة للتوزيع والصحف والمطبوعات، وفي قطر من: مكتبة جريب. وفي البحرين من: المكتبة الوطنية، القائمة بـ «أبو ظبي» من: مكتبة الجامعة ومكتبة جريب. وفي لبنان من: دار البعث للنشر والتوزيع، وفي الأردن من: الأهلية للنشر والتوزيع، وفي سوريا من: دار النور للنشر، دمشق، وفي المغرب من: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.



# إستلم مفاتيح سيارة أحلامك



قرض السيارة الجديدة والمستعملة

مع قرض السيارة الجديدة  
والمستعملة من البنك العربي

أقل سعر فائدة

مدة تقسيط تصل إلى ٦٠ شهر

نسبة تمويل تصل إلى ٨٥٪

تأمين على الحياة

أسعار منافسة للتأمين على السيارة

إتصل الآن على ١٩١٠٠ أو ٣٣١٩٩٢٢

يوميًا من ٩ صباحًا حتى ٩ مساءً

www.arabbank.com

## البنك العربي

أكبر شبكة مصرفية عربية

